الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا
للعلوم الانسانية والاجتماعية

أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين

اعداد
محمود محمد عبدالرحمن خياري

إشراف
الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الاردني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

١٩٩١

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٩

واجيـــــزت

الاستاذ الدكتور / عبد الكريـــم خليفـــة مشرفاً

الاستاذ الدكتــور/ عبدالجليل عبد المهدي عضواً

الدكتـــــــور / صـــــلاح جـــرار عضواً

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "

صدق الله العظيم

آية ٢٣ سورة الاحزاب

إهـــــــــــــــد اء

إلـى الـرئـيـس الـراحـل هـواري بـومـديـن

إلـى الاسـتـاذ الـدكـتـور عـبـدالـكـريـم خـلـيـفـة

مـن أجـل أن تـبـقـى الـلـغـة الـعـربـيـة مـعـززة مـكـرمـة فـي الـجـزائـر

مـحـمــود

المحتويـــــات

الموضـــوع	الصفحـــه

مقدمة

لقد كانت الفترة الزمنية الطويلة والغنية التي حكم خلالها الموحدون المغرب والاندلس حافزا لي في البحث عن موضوع جديد يصلح لأن يكون دراسة اكاديمية لاسيما أن الدراسات في آداب العدوتين تنتظر من الباحثين عناية كبيرة في إحياء تراثها الحضاري الإسلامي ، الذي لا يزال أكثره مخطوطا .

وقد سافرت بطلب من أستاذي المشرف - إلى المغرب ، ثم الجزائر فاطلعت على مخطوطات هذه الفترة، وازداد اهتمامي بموضوع الرسائل الديوانية في عهد الموحدين عندما عثرت على مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل " بالخزانة الحسنية تحت رقم ٦١٤٨ ، وتبين لي ان بعض الرسائل التي حققها بروفنصال Provencal غير اصلية ، بل اعيد كتابتها ، بعد ان حذفت منها العلامة السلطانية - والحمدالله وحده - والخاتمة ، فاعدت النظر في دراسات بروفنصال provencal وصححت بعض الاخطاء التي وقع فيها .

وإذا كانت هذه الدراسة تبحث في أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس ، فقد تبين لي أن المحرك الاساسي للرسالة الديوانية هو الحادثة التاريخية ، التي كانت سببا في صدورها لذا رأيت أنه لا يمكن الفصل بين الادب والتاريخ في هذه الدراسة .

وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمة وقد حاولت في الفصل الأول " الإطار السياسي - أن أكشف الاحداث وأربطها بالرسالة الديوانية الموحدية ، واقتصرت على فترة ابن تومرت ، وعبدالمؤمن ، ويوسف ، والمنصور، واعدت تشكيل القبائل الموحدية في الإطار الاجتماعي معتمدا على تصنيف ابن تومرت ، ثم الرسالة الثالثة عشرة في مجموعة بروفنصال Provencal، كما تطرقت إلى ذكر سكان المغرب خلال القرن السادس ونصف السابع ، نظرا لمشاركة البربر ، والعرب ، والغز في الجهاد بالعدوة الاندلسية وهو ما تمثله بعض رسائل المن

بالإمامة ومجموعة بروفنصال provencal، كما تناولت الجانب القضائي معتمدا على مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ ، ثم موضوع المرأة عند الموحدين معتمدا في ذلك على بعض ما ورد في مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل و مجموعة بروفنصال provencal، وختمته بالجانب الحضاري الذي يمثله بيمارستان مراكش . ثم تكلمت عن تطور الثقافة عند الموحدين ، واستشهدت ببعض الشخصيات التي كان لها الفضل في تطور الحركة الفكرية الموحدية .

وأما الفصل الثاني، فقد صنفت فيه الرسائل الديوانية الموحدية إلى سبعة محاور ، وهي : رسائل البيعة ، رسائل التقاديم ، رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رسائل الاعتداءات والشكايات رسائل التوقيعات، رسائل المعاهدات،رسائل الجهاد، واستشهدت بمعظم النصوص المهمة في الرسالة ، التي لها صلة وثيقة بالموضوع ، فازلت بعض الالتباس عنها ، كما اضفت إلى رسائل العدوتين بعض الرسائل التي تناولت موضوع العلاقات بين الموحدين وبعض الجمهوريات الايطالية كما حاولت أن تشمل هذه الدراسة الفترة الموحدية كلها في المغرب والاندلس ، وذلك من نشاة الدولة إلى سقوطها .

وأما الدراسة الفنية لهذه الرسائل ، فقد جعلتها في الفصل الثالث بعد دراسة معظم الرسائل ، فدرست بنية الرسالة الديوانية الموحدية ، كما استخرجت بعض القضايا البلاغية التي تناولتها الرسالة الديوانية في عهد الموحدين كما حاولت أن أركز على الرسائل المخطوطة وطبقتها على نص القلقشندي ، وإن كنت قد خرجت بعدة نتائج فهي لا تزال حتى الآن نسبية .

أما الفصل الرابع فقد درست فيه ثلاثة من اشهر كتاب الرسالة الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين .

وأما الخاتمة فقد اختصرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وكما تنوعت موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية في العدوتين فقد تنوعت مصادرها ، وتاتي على راسها دراسة المستشرق الفرنسي بروفنصال provencal، فقد كان له الفضل في تحقيق هذه الرسائل ودراستها ، وإن لم يسعفه الحظ في الوقوف على اكثر من سبع وثلاثين رسالة .

واما مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل فقد جمع رسائله أحمد بن محمد البلوي بين عامي ٦١٠ ، ٦١٣ وإن كانت معظم الرسائل التي تهمنا تلك التي وردت في زوائد العطاء والمخطوط لا توجد منه إلا نسخة واحدة ، اكلت منه الأرضة قسما كبيرا ، ومست الرطوبة الجزء العلوي من اوراقه ، ولم أتمكن من قراءة كلماته ، وفك رموزه ، إلا بصعوبة كبيرة .

وأما مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ فقد وردت فيه بعض تقاديم القضاة ، والولاة ، وقادة العسكر ، ولا توجد منه إلا هذه النسخة) وعند تصويره لم أستطع قراءة بعض العناوين التي كتبت بالحبر الاحمر - لأن اللون الاحمر لا يظهر عند التصوير - وقد وردت فيه بعض الوظائف الإدارية في الأندلس في بداية القرن السابع الهجري .

اما الرسائل المطبوعة ، فاذكر منها كتاب اعز ما يطلب - الطبعة الجديدة - فقد وردت فيه رسالتان ، الأولى عن ابن تومرت التي فضح فيها سياسة المرابطين ، والثانية عن عبد المؤمن ، التي حث فيها قبيلة كزولة على التخلي عن دعوة المرابطين ، وإلى جانب هذا قمت بدراسة بعض الرسائل في البيان المغرب والمن بالإمامة والروض المعطار ، والذيل والتكملة السفر ٦ والإحاطة ، وإعتاب الكتاب وغيرها من المصادر .

ولقد حرصت في دراستي هذه أن احافظ على الحياد قدر المستطاع حذر الوقوع في انحياز او تعصب الراي او اتجاه معين .

وأما المراجع الحديثة ، فلم اقف على دراسة واحدة تناولت الرسائل الديوانية عند الموحدين ، باستثناء دراسة المستشرق الفرنسي بروفنصال provencal ، التي جعلتني اشك في كل ما كتب ، فقد صرح قبل دراسته لمخطوط القرويين عام ١٩٤١ - أن المخطوط غير متوفر لديه لذا فإنه لن يستطيع أن يقدم وصفا له ، واستنتجت من كلامه انه كان يكتب من ذاكرته ، فقد نسب الرسالة التاسعة عشرة المؤرخة في العشرين من ذي القعدة عام ٥٥٤ هـ إلى ابي جعفر بن عطية ، ورسالة الفصول المؤرخة في الثالث من ربيع الاول عام ٥٥٦ هـ إلى الكاتب نفسه ، مع انه قتل في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٥٥٣ هـ .

وقد كانت مجموعة بروفنصال اول مشكلة تواجهني عند دراستي لهذه المجموعة ، وقد سالت عن مخطوط القرويين بالخزانة العامة ، والخزانة الحسنية بالقصر الملكي في الرباط، فلم اجد جوابا عن سؤالي .

وأما الصعوبات التي واجهت البحث فتكمن في فك رموز مخطوط العطاء وقراءته ، فمعظم الكلمات غير واضحة ، وبعضها الآخر اكلت منه الأرضه قسما كبيرا ، وقد كان من الصعب جدا أن اجد بقية الرسالة في الورقة التالية ، لأن أوراق المخطوط رتبت ترتيبا خطئا ، فضمن الزوائد وردت رسالة وجهت إلى الخليفة محمد الناصر على الورقة ٢٥ وتاتي بقيتها على الورقة ٢٨ كما وجهت رسالة أخرى إلى الخليفة نفسه على الورقة ٢٦ و ٢٧ ثم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، وقد استغرقت مني هذه العملية مدة طويلة حتى اقتنعت أن بعض الأوراق رتبت ترتيبا معكوسا . وإلى جانب هذا ، فإن هناك بعض أسماء الأعلام حذفت واستبدلت برموز كفلان وابي فلان وهذا ما تشتمل عليه كل رسائل التقاديم المبتورة ، وزيادة على هذا ، فإن تعدد المصادر المخطوطة النادرة تجعل من الصعب التعريف بها والخروج بنتائج نهائية ، وقد كان لزوما علي أن اسافر إلى المغرب والجزائر وتونس ودمشق لأحصل على المادة الخام -

المخطوطات - وبخاصة المصادر الفرنسية التي تفتقر إليها مكتبة الجامعة الأردنية .

ولا يسعني في الختام ، إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى استاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة الذي غمرني بفضله وعطفه ورعايته وحلمه وتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة ، فقوم اعوجاجي وسدد خطاي وتحمل اخطائي بصدر رحب فجزاه الله عني كل الخير .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي ، الذي قرأ الرسالة مخطوطة فلم يترك خطأ إلا وصححه وكانت له انتقادات قيمة في توجيه مسار الرسالة ، والأستاذ الدكتور صلاح جرار الذي قرأ الرسالة فكانت له آراء قيمة نبهتني إلى كثير من القضايا المهمة .

فإن تكن إصابة فبتوفيق من الله عزوجل والاستاذ المشرف ، وإن يكن تقصير فقد اجتهدت والله شاهدي .

المملكة الأردنية الهاشمية

١٩٩١/٥/٧

شهد مطلع القرن السادس الهجري ميلاد حركة اصلاحية ، قامت لجمع كلمة المسلمين وحضهم على جهاد "الكفره الملثمين " (١) وإعادة الهيبة والوقار، لمنطقة المغرب والاندلس أيام معركة الزلاقة * ، بعد أن حل الضعف بالدولة المرابطية - ٤٨٨ هـ ٥٤١ هـ - نتيجة عوامل عديدة (٢) ، وذلك اواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، (٣) لتحل محلها دولة شنت ثورة شاسعة ضد الصوفية ، والمدارس الفقهية الجامدة ، التي تعمل بالفروع ونادت بالتوحيد، وصفاء العقيدة الإسلامية ، (٤)

---

(١) اتهم ابن تومرت - المؤسس الروحي لدولة الموحدين - حكام المرابطين بالكفر ونادى بإسقاط دولتهم ، انظر عمار طالبي ، رسالتان موحديتان ، ص ١٠٥، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، مركز الدراسات، والابحاث الاقتصادية ، والاجتماعية ١٩٧٩ ، محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص ٢٦٥ ، تحق، عمار طالبي الجزائر ١٩٨٥ .

(*) الزلاقة (SAGRAJAS) تقع في الشمال من بطليوس ، وفيها انتصر المسلمون بزعامة يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠ هـ) ، والمعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ) ، على ملك الإفرنج بالاندلس الفونس السادس ابن فرديناند الاول وذلك عام (٤٧٩ هـ) ، انظر الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار مادة (الزلاقة) تحق إحسان عباس بيروت ط، ٢ ، ١٩٨٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ص ١١٥-١١٧ ، تحق د إحسان عباس ، دار صادر ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ج٧ ص ١٤١، ١٤٢ ، ط ٦ ، ١٩٨٦، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٥٥، تحق حسين مؤنس ط١ ، ١٩٦٣ .

(٢) انظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٧٧ تحق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي ،ط ١ ، ١٩٤٩ ، سعد زغلول عبد الحميد ، محمد بن تومرت ، وحركة التجديد في المغرب والاندلس ، ص ٨٧ ، جامعة بيروت ١٩٧٢ ، محمد عبدالله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، ق ١ ص ٨٧ ، ط ١ القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) هو ابوالحسن علي بن محمد بن يوسف بن تاشفين اللمتوني امير المسلمين بمراكش ولد عام ٤٤٧ هـ توفي عام ٥٣٧ هـ ، انظر ابن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس ، ص ٤٥٩ الرباط ، مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، ص ٨٤ تحق، سهيل ادريس ، عبدالقادر زمامة ، الدار البيضاء ١٩٩٠ ، علي بن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص ١٥٧ ، الرباط ١٩٧٣ ، الناصري الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ، ص ٦١ ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

(٤) عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ص ٧٨، ابن تومرت ص ٨٠٧.

كان مرجع هذه الحركة الإصلاحية ، التي قامت في المغرب الأقصى ببلاد السوس *) إلى محمد بن تومرت ، مهدي الموحدين ، الذي قدر لدعوته في عهد الخليفة الأول عبدالمؤمن بن علي أن "تملك إفريقية ... وأكثر جزيرة الاندلس " (١) على حد قول عبدالواحد المراكشي .

ولد محمد بن عبدالله (٢) بن تومرت (٣) الملقب باسافو (٤) بقرية أيجلي أن وارغن (٥) ببلاد السوس بالمغرب الأقصى من قبيلة

(*) هي مجموعة من المدن قاعدتها قرية ابن تومرت ايجلي ان وارغن ، واخرها بلاد السوس مدينة نول لمطة في بادية الصحراء الكبرى ويخترق بلاد السوس نهر كبير يصب في المحيط الاطلسي يسمى وادي ماسة او ماست ، الروض المعطار ، مادة (السوس) ، مؤلف مجهول كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ٢١١ ، ٢١٢ تحق ، سعد زغلول عبدالحميد ، الدار البيضاء ١٩٨٥ ، الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج ٣ ص ٢٢١ ،
.OPVS, GEOGRAPHICM, NAPOLI ROMA

(١) المعجب ، ص ٢٣٠ .

(٢) يذكر بروفنصال ، انه كان يتسمى باسم بربري ، ولم يستبدل اسم محمد به إلا بعدما أراد ان يتاسى ، بكل اعمال الرسول وقد اعطي له اسم محلي منذ ميلاده ، وبعد عودته من رحلته المشرقية راى انه مادام قد اتخذ لنفسه اسم محمد ، يجب ان يكون اسم والده عبدالله PARIS 1932, LEVI PROVENCAL, ISLAM.DOCCIDENT. P٢٦٧, وانظر هامش ٦ من HENRI BASSET ET HENRI TERRASSE. SANCTUAIRES ET FORTERESSES ALMOHADES P13. COLLECTION. HESPERIS, NO 5, 1932 .

(٣) يذكر بروفنصال ، ان تومرت هو اسم امراه ، وربما كان اسم إحدى جداته إحياء لنظام الامومة القديم , OP, CIT ,P٢٦٧ . ويذكر مارسي ان كلمة تومرت معناها البهجة او الفرح ، وذلك لفرحة امه به عند ميلاده ، فغلبت عليه هذه الصفة . G,MARCY ,LES PHRASES, BERBERES DES DOCUMENTS INEDITS D HISTOIRES ALMOHADES, P 65 HESPERIS T 14, 1932 .

واعتقد ان مدلول الكلمة الصحيح يعني ابن بلدي ، وذلك للروح القبلية والإقليمية المعروفة عند البربر ، وان نقطة التاء سقطت ، وتغير موقع الميم فاصبحت تومرت بدلا من ثمورت .

(٤) كلمة بربرية ، معناها الضياء ، لقب بها لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمسجد للقراءة والصلاة ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٣٧ تحق علي مكي ، الرباط ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦٥ .

(٥) المعجب ص ١٧٨ عبدالله علام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ص ٤٤ دار المعارف ١٩٧١ .

هرغـه (١) ، إحـدى بطـون قبيلـة مصمودة ، أكثر القبائل البربرية عددا وعدة (٢) عام ٤٨٥هـ ، باتفاق معظم المؤرخين (٣).

اتجه ابـن تومـرت فـي طلـب العلـم من قريته الـى مراكش * ثم جزيرة الاندلس ، فقرأ على يد علماء (٤) قرطبة ** ، ومن المرية *** شد الرحال إلى المشرق (٥) على عادة المغاربة ، والاندلسيين، وشاهد أثناء رحلته المشرقية ماكان عليه العالم الإسلامي من ضعف .

---

(١) المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب ص ٢٦ طبع ضمن كتاب DOCUMENTS, INEDITS D HISTOIRE ALMOHADE , LEVI PROVENCAL, PARIS 1928 , TEXTE ARABE

المعجب، ص ١٧٨، تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٥٦١، النويري، تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الارب في فنون الادب ص ٣٩٥، تحق ، مصطفى ابو ضيف، وجدة ، ISLAM D OCCIDENT P 262 , 263 . ويذكر بروفنصال ان هرغة أصلها ارغن ، وهي كلمة بربرية ، وعربت بعد ذلك واصبحت هرغة ، اما ابن ابي زرع فبعد ان ذكر هرغة اضاف ، وقيل من كنفيسة .

(٢) المعجب ص ١٧٨ ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٤٥ .

(٣) انظر مناقشة ، وتحليل الاراء عند ، RACHID BOUROUIBA, IBN TUMART, P 12 - 15 2ER, EDITION, SNED, ALGER 1982.

(*) مراكش ، من مدن المغرب الاقصى ، ومعناها بالبربرية اسرع المشي نظرا لتمركز لصوص القوافل بها قديما ، وكان اهلها يشربون من ماء الابار ، ثم جلب إليها الماء بعد تدهينها من طرف يوسف بن تاشفين ، ملكها بنو عبد المومن بعد زوال دولة المرابطين ، الروض المعطار ، مادة (مراكش) ، نزهة المشتاق ،ص ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ص ١٩٣ ، دار صادر ١٩٧٩ ، ومن مراكش انظر

GASTON DEVERDUM MARRAKECH DES ORIGINES A 1912, EDITION TECHNIQUE, NORD AFRICAINE, RABAT 1959 .

(٤) نظم الجمان ، ص ٤ ، الحلل الموشية ، ص ١٠٤ .

(**) قرطبه CORDOBA ، من اعظم المدن الاندلسية ، سورها من الحجارة وبها جامع كبير مشهور ونهرها عليه قنطرة عظيمه ، وكان بها اكبر علماء المسلمين ، انظر الروض المعطار مادة (قرطبه) ، ابن حوقل ، صورة الارض،ص ١٠٨ بيروت، صبح الاعشى ج ٥، ص ٢١٨، ٢١٩ .

(***) المرية ALMERIA، اسسها امير المسلمين الناصر لدين الله بن عبد الرحمن بن محمد عام ٣٤٤ هـ ، يحدها البحر من ناحية الشرق ، وهي مركز للتجارة ، اهم منتوجاتها الحرير وصناعة النحاس ، الروض المعطار مادة (المرية).

(٥) المعجب ص ١٧٨ ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٤٦ ، نهاية الارب، ص ٣٩٦ ، الانيس المطرب ، ص ١٧٣ ، لسان الدين بن الخطيب ، رقم الحلل في نظم الدول ، ص ٥٧ ، المحمدية ، ط ١٣١٦هـ ، الزركشي تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ٤ تحق ، محمد ماضور ، تونس ط ٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦٥.

فالخلافة العباسية تلفظ آخر انفاسها ، والفاطمية تتخبط بين السنيين والشيعيين ، فقد جاء على لسان ابن جبير (١) في رحلته (٢) : "... انه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لانهم على جادة واضحة لا بنيات لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية ، فاهواء ، وبدع ، وفرق ضالة ، وشيع إلا من عصم الله عزوجل من اهلها كما انه لا عدل ولا حق ، ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين اعزهم الله ... اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين (٣) لو كان له أعوان على الحق".

أما المغرب فلم يكن في راي ابن تومرت باحسن حالا من المشرق فقد افتى فقهاء قرطبة بحرق كتب أبي حامد الغزالي (٤) "وبالذات "إحياء علوم الدين "(٥) .

---

(١) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني ، ولد ببلنسيا عام ٥٣٩ هـ او ٥٤٠ هـ ، برع في الفقه والحديث والنثر ، ولكن شهرته جاءت من خلال رحلته إلى المشرق (ت ٦١٤هـ) بالاسكندرية ، انظر جذوة الاقتباس ص ١٧٣، عبدالحي بن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ٦٠ ، ط دار إحياء التراث العربي ، لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطه في اخبار غرناطه ، تحق محمد عبدالله علام ج ٢ ص ١٦٨ القاهرة ١٩٧٣ ، وانظر مقدمة رحلة ابن جبير ص ٥ ، ٦، دار صادر ، ط ٢، ١٩٨٣.

(٢) رحلة ابن جبير ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) هو ابو المظفر صلاح الدين الايوبي ، ولد عام ٥٣٢ هـ، سلطان مصر والشام ، من اعظم قادة المسلمين في القرن السادس الهجري ، انتصر على الإفرنج بارض فلسطين ، بمعركة حطين ، واسترجع مدينة يافا وطبرية وعكا ، وكان فتحه القدس عام ٥٨٣ هـ ، انظر ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ج ٩ ، ص ٩٥ وما بعدها ، وفيات الاعيان ج ٧ ص ٣٩ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٩٨ .

(٤) هو ابو حامد بن محمد الغزالي نسبة إلى صناعة الغزل من يقول بتشديد حرف الزاي ، او إلى غزالة وهي قرية من قرى طوس ، ولد عام ٤٥٠ هـ وكانت وفاته عام ٥٠٥هـ ، وهو حجة الإسلام فيلسوف متصوف له حوالي مئتا مصنف ، رحل إلى نيسابور ، ثم بغداد والحجاز والشام ومصر ، من اثاره إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، وله كتب بالفارسية ، انظر عنه وفيات الاعيان ج٤ ص ص ٤١٦ - ٢١٩ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠ .

(٥) انظر الاستقصاء ، ج ٢ ص ٧٥، نظم الجمان ، ص ٤ ، ١٥، الحلل الموشية ، ص ١٠٤ ، المعجب ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، حسين مؤنس ، نصوص سياسية من فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ص ص ١٠٧-١٠٩ ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، م ٣ العدد ١ عام ١٩٥٥، سعد غراب ، حول إحراق المرابطين لاحياء الغزالي، ص ١٣٣، ١٣٤، اعمال الملتقى الاول الاسباني التونسي عام ١٩٧٩.

فحرمت الدراسات الكلامية واعتبرت سبيلا إلى الكفر ، وبدعة في الدين ، لكن كل هذه الخلافات بين الفقهاء لم تكن لتفيد الناس في تلك الفترة ، وبناء على هذه الأحداث وغيرها اعتبرت دولة المرابطين مجسمة كافره في رأية (١).

وفي رسالة تاشفين بن علي بن تاشفين (٢) الموجهة الى أهل بلنسية * يؤكد فيها الالتزام بمذهب الإمام مالك ، ونبذ كتب الغزالي ، فقد جاء في الرسالة (٣) : "... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه ، وخاصة-وفقكم الله-كتب أبي حامد الغزالي فليتتبع أثرها ، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها وتغلّظ الأيمان على من يتهم بكتمانها " .

ويبدو أن ابن تومرت بحث وهو بالمشرق عن الطريقة التي يمكن من خلالها الوصول إلى هدفه بأقصى سرعة ، ودحض دولة المرابطين فاتخذ المهدوية قناعا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلا لتحقيق هدفه .

----

(١) أعز ما يطلب ، ص ٢٦٠ .

(٢) هو ابو المعز ، وقيل ابو عمر ، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي ، بويع عام ٣٥٧ هـ ، كانت ايامه كلها حروب ، وانتهت بمقتله بمدينة وهران ، انظر الانيس المطرب ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، جذوة الاقتباس ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، الحلل الموشية ، ص ١٢١ .

(*) بلنسية VALENCIA هي مدينة سهلية ، وقاعدة من قواعد الاندلس ، يصب فيها نهر يجري في ناحية الشمال ويحدها من ناحية الشرق مرسية ، ومن الغرب طرطوش ، وهي على جانب بحيرة حسنة قرب بحر الزقاق ، الروض المعطار ، مادة (بلنسية) ، صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) مخطوط الاسكوريال ، رقم ٥٣٨ ، ورقة ١٢ ب ، هذه الرسالة كتبت في العشر الاول من جمادى الاولى عام (٥٣٨ هـ) ، اما حرق كتاب إحياء علوم الدين ، فقد كان عام (٥٠٢ هـ) او (٥٠٣ هـ) في حياة الغزالي مثلما يؤكده صاحب الاستقصاء ج ٢ ص ٧٥ ، اما الرسالة التي بعث بها تاشفين بن علي بن تاشفين ، فهي تؤكد حرق كتاب الإحياء ، والبحث عنه ، على الرغم من مرور مدة طويلة على هذه الحادثة ، وقارن نص الرسالة بما ورد عند حسين مؤنس ، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ص 112 مجلة المعهد المصري م ٣ العدد ١ عام ١٩٥٥ .

ويبدأ البيذق (١) في سرد أخبار ابن تومرت ابتداء من دخوله مدينة تونس ، فكان كلما مر بمدينة (٢) يامر بالمعروف وينهى عن المنكر بالوعظ والإرشاد مرة وبالقوة إن وجد سبيلا لذلك ، مثلما فعل يوم عيد الفطر ببجاية * (٣)، حيث وجد النساء قد اختلطن بالرجال ففرقهم بعصاه .

وبدخوله مدينة مراكش اتجه مع اصحابه نحو "مسجد مومعة الطوب فمكثنا إلى يوم الجمعة ، ثم اقبل إلى جامع علي بن يوسف بن تاشفين ، فوجد علي بن يوسف قاعدا ... والوزراء واقفون ، فقال له الوزراء الق (٤) السلام على الامير فقال لهم واين الامير ؟ إنما ارى جواري منقبات فلما سمع ذلك علي بن يوسف حط" النقاب عن وجهه وقال لهم صدق ، فلما رآه المعصوم قال له : الخلافة لله وليست لك يا علي بن يوسف " (٥) .

---

(١) هو ابو بكر علي المنهاجي الملقب بالبيذق من اصحاب ابن تومرت ، وهو صاحب كتاب اخبار المهدي بن تومرت ، وكلمة البيذق تدل على إحدى قطع لعبة الشطرنج ، وهي تستعمل وصفا للرجل القصير

DOCUMENTS, INEDITS D HISTOIRE ALMOHADES ,INTRODUCTION P11

(٢) من المدن التي مر بها ابن تومرت بعد عودته من المشرق، انظر كتاب المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق ، عبد الحميد حاجيات ، ص ٣٤، ص ٣٦ ، ص ٤٦، ص ٥١ ، ص ٥٣ ، ص ٥٥ ، الجزائر 1974 ، الحلل الموشية ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، نهاية الارب ، ص ٤٩٦، ٤٩٧ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٦٧ IBN TUMART PP 33-45
MARRAKECH DES ORIGINES A 1912 P 153 .

(٣) اخبار المهدي بن تومرت ص ٣٦ تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ص ٤٦٧.

(*) بجاية : هي مدينة من المدن الجزائرية ، تقع بين جبال شامخة ويحيط بها البحر من ثلاث جهات واهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء والمشرق وبها دار لصناعة الاساطيل ، الاستبصار في عجائب الامصار ص ص ١٢٧- ١٢٩ ،نزهة المشتاق في اختراق الافاق ص ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٤) في الاصل ود" .

(٥) اخبار المهدي بن تومرت ص ٥٦ ، ٥٧ ، لم نجد اثرا لهذه الرواية في المصادر التي رجعنا إليها باستثناء البيذق المتحمس للدعوة الموحدية ، وبناء على ذلك فلا يمكن الاعتماد عليها ، وقد أشار إلى ذلك عبد الله علام ، في كتابه الدولة الموحدية بالمغرب، ص ٥٩٩ .

يبدو أن المقام لم يطب له بمراكش فشد الرحال إلى اغمات* ثم بلاد السوس حيث قبيلة هرغة ، والمصامدة فوفدت عليه الجموع تستمع إليه ، فراح يحدثهم عن حالهم ، وعما يحدث تحت حكم وسيطرة المرابطين ، ويستشهد لهم بادلة من القرآن الكريم والحديث النبوي ويبدو أن ابن تومرت كان مقتنعا اشد الاقتناع بنفسه ، و بنجاح دعوته ،وبخاصة سكان منطقة المغرب العربي ، لما عرفوا به من تعبد ، وتقوى وصلاح وتمسكهم بكل شيء يمت بصلة إلى دينهم ، فلن يترددوا في التشبث بأي دعوة كونها تهدف إلى صلاح عقيدتهم وإصلاح معتقداتهم (١)

وفي عام ٥١٥ هـ (٢) تمت بيعته على انه المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد ان ملئت ظلما وجَوّرا واطلق على اصحابه اسم "الموحدين" لأنهم يوحدون الله الواحد القهار (٣) .

ويستمر في مهمته التربوية ، من آمن به من المصامدة باللسان العربي أو البربري ممن لا يفهم غيره ، حيث اصبح في هذه السنه يشكل خطرا على المرابطين المتهمين بالكفر والانحراف عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه النقطة ،التي ركز عليها في بداية دعوته ستبقى سائرة المفعول إلى نهاية الدولة ، حيث نجد الرسائل الموحدية تستمر على المنهج نفسه الذي نادى به ، وهو العودة إلى الكتاب والسنة (٤) .

(*) اغمات : تقع جنوب المغرب الاقصى ، وهي مدينتان متقابلتان ويقابلها جبل درن فإذا كان زمن الشتاء تحللت الثلوج فيسيل دوبانها على مدينة اغمات ، صبح الاعشى ج ٥ ص ١٦٦ ، معجم البلدان ج١ ص ٢٢٥ ، نزهة المشتاق ج ٣ ص ٢٣١ .

(١) الفرد بل ALFRED, BEL، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ص ٢٥٩ تر ، عبدالرحمن بدوي ط ٢ بيروت ١٩٨١ ، ISLAM D OCCIDEMT ,P 26.

(٢) الحلل الموشية ، ص ١٠٧ ، نظم الجمان ، ص ٧٧ ، الانيس المطرب ، ص ١٧٦ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٦٩ ، تاريخ الدولتين ص ٦ ، ابن القنفذ ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، ص ١٠٠ تقديم و تحق ، محمد الشاذلي النيفر ، وعبدالمجيد التركي ، تونس.

(٣) حسن إبراهيم حسن ، التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ص ٢٩٦ ط القاهرة ١٩٦٧.

(٤) انظر مخطوط الخزانة الحسنية ، رقم ٤٧٥٢ (الرباط) ، الرسالة مؤرخة بتاريخ منتصف شهر شوال عام ٦٢٦ هـ ، ورقة ٦٩ ، وانظر كذلك ورقة ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،وورقة 75، الرسالة مؤرخة بتاريخ غرة ذي القعدة عام ٦٣٠ .

لكن ابن تومرت لم يتوقف عند مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل تجاوزها إلى مرحلة التهديد والإنذار ، واستعمال القوة (١) ووجه جيشا في تسع غزوات (٢) لجهاد المرابطين تغلب عليهم في معظمها ، وزادته هذه الانتصارات طمعا في فتح مراكش ، فبعث إلى القبائل المجاورة يستنفرهم لذلك وجعل الونشريسي (٣) على راس الجيش ولكن الكفة مالت لصالح غيره ، وانتهت المعركة بمقتل الونشريسي نفسه ، وأربعة من اصحابه ، وكانت هزيمة البحيرة (٤) أول هزيمة يتلقاها الجيش الموحدي في حياة ابن تومرت ، وكانت إيذانا بنهايته (٥) ، وبداية عهد جديد بحكم عبدالمؤمن بن علي (٦) عام ٥٢٤هـ ، فغزا غزوته الطويلة التي دامت سبع سنوات (٥٣٤هـ - ٥٤١هـ) وانتهت بفتح المغرب الأوسط والأقصى معا (٧) .

بعد وصول خبر هزيمة الموحدين بمعركة البحيرة سأل ابن تومرت عن عبدالمؤمن ، ولما عرف انه حي يرزق طلب من البيذق ان يخبره

---

(١) انظر الرسالة الموجهة إلى المرابطين في الحلل الموشية ص ١١١.

(٢) انظر اخبار المهدي بن تومرت ، ص ص ٦٥ - ٧١.

(٣) هو ابو محمد عبدالله بن محسن الونشريسي المشهور بالبشير من اصحاب ابن تومرت، المعروف بالونشريسي نسبة إلى جبال الونشريس بالمغرب الاوسط ، قتل عام ٥٢٤ هـ ، اخبار المهدي بن تومرت ص ٦٤ ص ٧١ ، ٧٢ ، نهاية الارب ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، الحلل الموشية ، ص ص ١٠٦- ١٠٨ ، documents inedits dhistoire almohade, p 27 ، 28 , Texte Arabe .

(٤) يقصد بالبحيرة البستان انظر اخبار المهدي بن تومرت ص ٧٣ ، ٧٤ ، نظم الجمان ص ١١٨، ١١٩ ، نهاية الارب ص ٤٠٤ . Ibn tumart ، p .70، Marrakech des origines A 1912 P 155, 156

(٥) تتفق معظم المصادر على ان ابن تومرت توفي عام ٥٢٤هـ، بعد معركة البحيرة بفترة قصيرة ، انظر ذلك في op. cit. p p 73-76.

(٦) هو ابو محمد عبدالمؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان الطاجري الكومي الندرومي مؤسس دولة الموحدين في المغرب والاندلس - ٤٨٤-٥٥٨ هـ ، انظر ترجمته في الانيس المطرب ص ١٧٣ وما بعدها ، المعجب ص ٧٠ ، ٧١ وفيات الاعيان ج ٣ ص ص ٢٣٧ - ٢٤١ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٧) الانيس المطرب ص ١٧٦، ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين) تحق الاساتذة محمد بن تاويت ، محمد إبراهيم الكتاني ، محمد زنيبر ، عبدالقادر زمامة ص ص ١٥-٣٠ ، دار الغرب الإسلامي بيروت دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط ١، ١٩٨٥. Sancturaires et forteresses Almohades . p 26 .

بان أمر الموحدين باقٍ إلى قيام الساعة (١) فقد كان عبدالمؤمن من اكثر المقربين من ابن تومرت لذا أمر بطاعته "ما دام مطيعا لربه" (٢) واستخلفه للصلاة (٣) ، وعينه على أن يتولى أمر الموحدين من بعده (٤) .

ونظرا لاقتناع عبدالمؤمن بإمامة المهدي بن تومرت، اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين كما اتخذه ابو بكر الصديق من قبله (٥) وكان - ابن تومرت - يرى أن الحكم من بعده سيستمر على النحو الذي سار عليه الخلفاء الراشدون (٦) لكن بدلا من استمرار الحكم الموحدي على المنهج نفسه الذي رسمه ابن تومرت ، قام الخليفة الجديد بتغيير نظام الحكم في حياته من نظام الشورى إلى نظام الوراثة يرثه أبناؤه من بعده ، ويستمر حكم الموحدين للمغرب ثم الاندلس بيد ابناء عبدالمؤمن ، وينتقل من يد المصامدة إلى قبيلة كومية بالمغرب الأوسط .

---

(١) اخبار المهدي بن تومرت ص ٧٤، ٧٥، نظم الجمان ص ١٢٣، الحلل الموشية ص ١١٦ ، الاستقصاء ج ٢ ، ص ٨٩ ، Sancturaires et forteresses Almohades p . 23 , Marrakech des ogigines A 1912 p 157 , charle andre julien, histoire de lafrique du nord. p 101. paris 1966 .

(٢) المعجب ، ص ١٩٦ .

(٣) الانيس المطرب ، ص ١٨٤ . histoire de la ville de rabat p 52 .

(٤) تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٤٧٢ . Marrakech des origines A 1912 ,p 157 ,sancturaires et forteresses Almohades ,P24.

(٥) حسين مؤنس ، عقد بيعة بولاية العهد ، لابي عبدالله محمد المعروف بالخليفة الناصر، ص ١٥٠ ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة م ١٢ ج٢ ديسمبر ١٩٥٠، وقارن ما ورد في الانيس المطرب ، ص ١٨٥، و أمز ما يطلب، ص ٢٣١، ٢٣٢ . La berbgerie musulmane et lorion au mogen age 2en chapitre .p 253 . Jean, brignon. histoire du maroc. p 98.

(٦) أمز ما يطلب ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

لقد عين عبدالمؤمن عام ٥٤٩هـ ابنه محمدا وليا للعهد (١) وجعل أولاده ولاة على البلاد ، ووضع لكل منهم وزيرا يساعده في إدارة اعماله (٢) وعلى الرغم من ذلك فقد كان ،عبدالمؤمن يشترط الكفاية ، والصلاح في ولي العهد ، لذا أسرع في خلع ابنه محمد لما ظهر منه من شرب الخمر على مرأى من اشياخ الموحدين (٣) وعين بدلا منه أخاه يوسف (٤) .

هذه الأحداث فجرت غضب بعض القبائل الموحدية ، وعلى راسها عبدالعزيز ، وعيسى أخوي ابن تومرت، فخرجا من فاس * إلى مراكش ، وعبد المؤمن يومئذ بسلا ** ، فقام بتدبير انقلاب لكنه فشل ، وقبض الخليفة عبدالمؤمن عليهما وقتلا ، وشركائهما في هذه العملية (٥).

---

(١) الانيس المطرب ، ص ١٩٤ ، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٤٩، الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، جعلها النويري عام ٥٥١ هـ ، نهاية الارب، ص ٤٤٨، Robert Bruschvic ,la barberie orientale sous les hafsides 2en chapitre , p 263 .

(٢) الانيس المطرب، ص ١٤٩، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٥٠ ، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٩١ ، الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٣
Marrakech des origines A 1912 , p 168 .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٧، ٨، عصر المرابطين والموحدين ق ١ ، ص ٣٩٤.

(٤) هو ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن بن علي ولد عام ٥٣٣هـ وتوفي بمراكش عام ٥٨٠ هـ ولي الخلافة بعد وفاة والده عام ٥٥٨ هـ . انظر ترجمته في الحلل الموشية ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، الانيس المطرب ، ص ٢٠٥ وما بعدها ، المعجب ، ص ٢٣٦ وما بعدها ، وفيات الاعيان ج ٧ ص ١٣١ ، وما بعدها .

(*) فاس، مدينتان بينهما نهر كبير ياتي من عيون صنهاجة ، وعليه في داخل المدنية أرحاء كثيرة تطحن بها الحنطة اما المدينة الشمالية فهي لقرويين، وتسمى الجنوبية الاندلس، نزهة المشتاق ص ٢٤٢ ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، صبح الاعشى ج ٥ ، ص ١٤٨ .

(**) سلا الحديثة تقع على ضفة البحر، وكانت في القديم من الزمان مدينة عالية على ميلين من البحر ولها مرسى كبير ، نزهة المشتاق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٥٠ ،الانيس المطرب ، ص ١٩٥ ، الاستقصاء ج ٢ ، ص ١٢٤ ، مجموع رسائل الموحدية ص ص ٣٨-٤٧، الرسالة الحادية عشرة ، sancturaires et forteresses Almohades, p 27 .

لقد كانت أخبار المغرب كالعادة تصل مسامع أهل الأندلس، فقد اتصل علي بن عيسى بن ميمون المنتزي قائد الأسطول المرابطي (١) في قادس * بعبد المؤمن عام ٥٤١ هـ ، أثناء حصاره لمدينة فاس (٢) ، وقدم له الطاعة بعد شيوع خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب للموحدين بجامع قادس ، وكانت لأول مرة يخطب فيها للموحدين بجزيرة الاندلس .

كما وفد عليه أثناء حصاره لمراكش زعماء الاندلس ومعهم كتاب يتضمن بيعة أهل الأندلس ، وطلبوا منه جهاد النصارى ، واسترجاع ما أخذ من الأراضي الإسلامية بسبب ما حدث من انقسام بين صفوف المسلمين (٣) ، ورغبة في توسيع ملك الموحدين أرسل الخليفة عبد المؤمن في شعبان عام ٥٤١ هـ ، ثلاثة جيوش إلى جزيرة الأندلس(٤)، فتحرك الأسطول الموحدي ، وقصد شريش ** ، وكانت اول مدينة اندلسية تدخل زمرة الموحدين صلحا عام ٥٣٩ هـ ، لذا سموا سكانها بالسابقين في الدعوة الموحدية من أهل الأندلس (٥) .

ودخل الموحدون إشبيلية * بعد محاصرتها برا وبحرا ، ودان أهلها للموحدين عام ٥٤١ هـ (٦) وأدرك الخليفة عبد المؤمن الموقع

---

(١) هو قائد الاسطول المرابطي بجزيرة الاندلس عامة ، وجزيرة قادس خاصة .

(*) قادس Gadiz، جزيرة بالاندلس طولها من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلا ، وعرضها في أوسع المواضع ميل ، وبها صنم سميت به الجزيرة ، وقد هدمه علي بن عيسى بن ميمون ، الروض المعطار ، مادة (قادس) .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ ، نهاية الارب ، ص ٤٠٣ .

(**) شريش ، jerez ، كورة من كور شذونة بالاندلس ، وهي قريبة من البحر ، الروض المعطار مادة (شريش) .

(٥) الانيس المطرب، ص ١٨٨، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٥ ، تاريخ ابن خلدون ، ج٦ ، ص ٤٨٧ ، الاستقصاء، ج ٢ ص ١١٦ .

(*) اشبيلية Sevilla من المدن الاندلسية بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام و يعتمد أهلها على تجارة الزيت ، الروض المعطار مادة (إشبيلية) .

(٦) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٥ .

الاستراتيجي الذي يحتله جبل طارق، فبعث برسالتين الأولى مؤرخة في العشرين من ذي القعدة عام ٥٥٤ هـ وجهها إلى الطلبة والموحدين يأمرهم ببناء مدينة عتيقة عند سفح جبل طارق (١) تكون منطلقا للجيوش الموحدية ، وقاعدة حصينة لهم ، والرسالة الثانية مؤرخة في التاسع من ربيع الأول عام ٥٥٥ هـ (٢) .

وعلى الرغم من اهتمام عبدالمؤمن بأمر الأندلس، فإنه لم يفكر في الجواز إليها إلا بعد خضوع إفريقيا، وفي شهر ذي القعدة من عام ٥٥٥هـ، عبر الخليفة بحر الزقاق ** ونزل بجبل طارق (٣) ، وسماه جبل الفتح كما سمى المدينة مدينة الفتح نية منه في إعادة ما فقده المسلمون من أراضي الأندلس (٤) ، ولكن المنية وافته دون ان يكون له ذلك .

فخلفه ابنه ابو يعقوب يوسف، لكن الخليفة الجديد ظل يلقب بالأمير لمدة خمس سنوات نظرا لعدم موافقة إخوته على توليته الحكم بعد وفاة والدهم الخليفة عبدالمؤمن عام ٥٦٣هـ حيث أصبحت الرسائل تنعته بلقب أمير المؤمنين (٥) .

---

(١) مجموع رسائل الموحدية ، ص ٩٧ ، الرسالة التاسعة عشرة .

(٢) المن بالإمامة ، ص ١٢٩ .

(**) بحر الزقاق هو الداخل بين البحر والمحيط الذي عليه سبتة ، ويضيق من ناحية الشرق الى الغرب حتى يكون عرضه ثمانية عشر ميلا وموقعه الساحل الاندلسي بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس ، الروض المعطار مادة (الزقاق) .

(٣) الانيس المطرب ،ص ٢٠٠ ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٦٩ ، المن بالامامة ، ص ٩٢ ، الحلل الموشية ، ص ١٤، ١١٥ ، وجعلها النويري عام ٥٥٦ هـ ، نهاية الارب ، ص ٤٢٧ .

(٤) امين توفيق طيبي، جبل طارق معقل إسلامي عبر القرون الوسطى ، الحلقة ١ ، ص ٧ ، مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ العدد ٥١ كانون الاول ١٩٨٣ ، بيروت .

(٥) انظر الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤٦، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣١٥ ، وقارن الرسائل الواردة بالمن بالإمامة ص ٢٠١ ، ص ٢٣٣ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، حيث لقب بالأمير إلى عام ٥٦٣ هـ حيث اصبح اميرا للمؤمنين ، انظر الرسائل الواردة بالمصدر نفسه ص ٢٧٥ ،ص ٢٧٩ ، ص ٢٩٢ .

اهبة ولا استعداد " (١) فهلك يوم السبت الثامن عشر لربيع الأول عام ٥٨٠ هـ (٢) .

فخلفه ابنه يعقوب الملقب بالمنصور (٣)، وقد تميزت ايامه بالخير والاستقرار والأمن "فكانت الظعينة تخرج من بلاد نول (لمطة حتى تصل) (٤) برقة * وحدها لا ترى من (يعارضها) (٥) ولا من (يكلمها)(٦) " (٧).

وفي عهده فتحت قفصة ** ، وقلعة رباح ***، ومجريط ****، وإشبيلية وكانت وقعة الأرك ***** عام ٥٩١ هـ أعظم انتصار حققه

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ٥٠٤ .

(٢) المصدر السابق، (قسم الموحدين)، ص ١٦٤، نهاية الارب، ص ٤٣٣، وذكر ابن ابي زرع انه توفي في ربيع الثاني، ص ٢١٥، رقم الحلل، ص ٨٥،وذكر عبدالواحد المراكشي انه توفي في السابع من رجب،ص٢٦١.

(٣) هو ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولد بمراكش عام ٥٥٤، او ٥٥٥ هـ، وتمت بيعته بعد وفاة والده يوسف يوم الأحد التاسع لربيع الاول عام ٥٨٠ هـ، انظر الانيس المطرب ص ٢١٦، المعجب، ص ٢٦١، البيان المغرب(قسم الموحدين) ص١٠٧ .

(*) برقة ، من المدن الليبية ، كانت تعرف بانطابلس ولما دخلها العرب اصبحت تسمى ببرقة نظرا لكثرة حجارتها المختلطة بالرمل، وتقع على البحر وتحدها الصحراء الكبرى من ناحية الجنوب، كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٤) في الاستقصاء، فتنتهي إلى. (٥) في المصدر نفسه ، يعرض لها.

(٦) في المصدر نفسه ، يسومها بسوء .

(٧) الانيس المطرب ، ص ٢١٧ ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٨ .

(**) قفصة ، من المدن التونسية وهي مدينة حسنة ذات سور ونهر جار بها وتشتهر بزراعة الحناء والقطن، نزهة المشتاق، ص ٢٧٧، ٢٧٨ .

(***) قلعة رباح ، Calatrava ، من المدن الاندلسية ، تقع بين قرطبه ، وطليطلة بنيت في عهد بني امية ، الروض المعطار مادة (قلعة رباح) .

(****) مجريط Madrid، من المدن الاندلسية بناها محمد بن عبدالرحمن وهي مدينة صغيرة وقلعة منيعة وكان لها زمن الاسلام مسجد، وتقع على مقربة من طليطلة . وهي اليوم عاصمة إسبانيا الروض المعطار مادة (مجريط) .

(*****) الارك Alarcos هو اسم لسهل واسع يقع خلف جبال Sierra Morena ، وكانت حاجزا كبيرا بين الاندلس ودولة قشتالا النصرانية ، وحصن الارك حصن منيع يقع قرب قلعة رباح ، وهو اول حصن لالفونس الثامن وتسمى الان sta maria de Alarcos، الحلل الموشية ، ص ١٥٩. هامش رقم ٥ ، الروض المعطار مادة (الارك).

الموحدون ، ببلاد الأندلس ، حيث كانت اشبه بمعركة الزلاقة في عهد يوسف بن تاشفين (١) عام ٤٧٩ هـ، وكانت بينهما اثنا عشر ومائة عام، وبينها وبين حطين ****** سبع سنوات بزعامة صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام وبلغ صدى وقعة الارك أن "اغرب وشر"ق وغر"ب واعرق، واشام، وانجد ، في معمور الارض واتهم ... (و) لم يسمع في سلف ؟ بشبهه ، ولا تقدمه مثيل يقاس عليه " (٢) .

وذهب سيركور sirkore إلى أن الموحدين ابرزوا قوة لا مثيل لها في معركة الأرك، اذ لم تتلق الجيوش المسيحية هزيمة مماثلة منذ ثلاثة قرون (٣)، ويضيف المؤرخ الالماني يوسف اشباخ انه " لم يبلغ سلطان الموحدين قط ما بلغه عقب موقعة الأرك "(٤) .

ودعا الخليفة يعقوب المنصور إلى حرق كتب الفروع والاعتماد على الكتاب والسنه ، وجمع الأحاديث من المصنفات العشر ، فكان بعمله هذا يكمل ما ابتداه ابن تومرت من قبل ولكن على الرغم من هذا العمل الذي قام به واكمله الخليفة الجديد سيرا على سبيل من سبقه ، فقد قام بتغيير جذري في اتجاه الدعوة الموحدية حيث تنكر لعصمة ومهدوية ابن تومرت(٥) وكان يسأل الناس عما يقراون، فيغضب إذا رآهم

---

(١) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقون سلطان المرابطين، واول من تلقب منهم بامير المسلمين ، بطل معركة الزلاقة (ت ٥٠٠)هـ انظر الانيس المطرب، ص ١٣٦ ، ١٣٧، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ص ١١٢ - ١٣٠ .

(******) حطين تقع بارض فلسطين، وموقعها بين طبريا وعكا، وتكمن شهرة حطين بالمعركة التي وقعت عام ٥٨٣ هـ بين صلاح الدين الايوبي سلطان مصر والشام وملوك الإفرنج وكانت نتيجة لاقتحام الجيش الإسلامي الساحل الفلسطيني، صبح الاعشى، ج ٥ ، ص ص ٥٢٦-٥٢٩ .

(٢) ابو القاسم البلوي، مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ، ورقة ٣٠ ، الخزانة الحسنية (الرباط) رقم ٦١٤٨ .

(٣) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٥) المعجب ، ص ١٩١ .

يهتمون بتآليف ابن تومرت ويبتعدون عن الكتاب والسنة (١) ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على فساد عقيدة ابن تومرت ، وتنكر الناس لها ابتداء من المشاكل الداخلية التي واجهتها الدولة في بدايتها اي بعد وفاة داعيتها مباشرة ، إلى درجة ان الخليفة المامون (٢) امر بإسقاط إمامة المهدي ، فبعث برسالة ، إلى الموحدين يخبرهم بذلك ، فقد جاء في الرسالة "... ولتعلموا اننا نبذنا الباطل واظهرنا الحق وان لا مهدي إلا عيسى بن مريم ، وما سمي مهديا إلا انه تكلم في المهد وتلك بدعة قد ازلناها ، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها ، وقد ازلنا العصمة عمن لا تثبت له عصمة ، فلذلك ازلنا عنه رسمه ، فتسقط وتبت وتمحى ولا تثبت ، وقد كان سيدنا المنصور رضي الله عنه هم ان يصدع بما به الآن صدعنا وان يرقع للأمة الخرق الذي رقعناه "(٣).

وامر المامون بمحو اسم ابن تومرت من السكة الموحدية (٤) وتدويرها بعد ان كانت مربعة في عهد ابن تومرت وإلغاء ذكر اسمه من الخطبة ، بالاضافة إلى قطع النداء بعد الصلاة والنداء عليها بتامليت الإسلام ، وهي إقامة الصلاة باللسان البربري وكذلك سؤدود وناردي واصبح والحمد لله .(٥)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.

(٢) هو ابو العلاء إدريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، كانت خلافته خمس سنين وثلاثة اشهر ، ولد بمالقة عام ٥٨١ هـ وتوفي عام ٦٢٩ هـ انظر ترجمته في الحلل الموشية ، ص ص ١٦٣ - ١٦٦ ، الانيس المطرب ، ص ص ٢٤٩-٢٤ ، تاريخ ابن خلدون ج٦ ، ص ص ٥٢٨-٥٣٢ .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٢٥١ ، الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٥٣٠ .

(٤) الحلل الموشية ، ص ١٦٤ ، المؤنس ، ص ١٢٦ ، رقم الحلل ، ص61، ومن السكة الموحدية انظر مقال Alfred bel, contribution, A letude des dirhems de lepoque Almohade PP 1-68 Hesperis T 16 Annee 1933.

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦، تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٥٣٠، الاستقصاء، ج٢، ص ٢٣٨ .

ولم يكتف بكل ما فعله بل لعن المهدي بن تومرت على منبر جامع المنصور بمراكش قائلا " ... يا أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، فإنه لا معصوم الا الأنبياء ولا مهدي إلا عيسى ، وإنا قد نبذنا أمره النحيس ."(١)

لكن هذا الانتصار الذي احرزه المسلمون في الأرك لم يكن الفوز الاخير على النصارى في الاندلس ، بل كان بمثابة الاستعداد لجولة أخرى عام ٦٠٩ ، وانكسار شوكتهم في معركة العقاب * ، حيث "لم تقم لأهل المغرب بعد ذلك قائمة " (٢) .

ففي الأندلس بدأت المدن الإسلامية تقع فريسة بيد الإسبان ، فبينما كانت الدولة الموحدية تعاني من الفوضى ، والضعف الذي تسرب إليها نتيجة للصراعات بين القادة الموحدين الضعاف ، وتسلط الأشياخ ، كانت الدول النصرانية ، في تلك الفترة تسعى لتشكيل قوة واحدة (٣) فيما بينها .

اما العامل الأساسي لسقوط أعظم دولة إسلامية قامت في المغرب والاندلس فلا يكمن في نتائج معركة العقاب وحدها بل في عوامل عديدة (٤) . اما المغرب ، فانقسم على نفسه بعدما كان يشكل وحدة متكاملة شملت المغرب والاندلس معا .

---

(١) الانيس المطرب، ص ٢٥١ ، الاستقصاء ، ج٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الروض المعطار ، مادة (العقاب) .

(٣) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤٠٢ .

(٤) انظر ، روجي ليفورنو ، حركة الموحدين ، في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ص ص ١٠٢-١٢٥ ، ترجمة امين طيبي - ليبيا تونس - ١٩٨٧ ، تاريخ المغرب العربي العصر الاسلامي ج ٢ ، ص ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، محمد المنوني ورقات من الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، ص ص ٥-٨ ، الرباط ١٩٧٩ .

(*) العقاب ، ذكرت بكسر العين وضمه ، وتقع بين جيان ، وقلعة رباح ، وتعرف في المراجع الغربية باسم هضاب تولوسا las navas de tolosa ، وردت في المصادر العربية باسم العقاب او حصن العقاب ، الروض المعطار مادة (العقاب) محمد بن عبد العزيز ، موقعة او هضاب تولوسا ، ص ٨٧ ، مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ ، العدد ٥٧ ، يوليو ، ١٩٨٣ .

وفي عام ٦٤٥هـ قام أبو الحسن السعيد بن علي بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي الكومي (١) " يريد مكناسة ** وبني مرين أولا ثم تلمسان *** ، ويغمراسن ثانيا ثم إفريقية وابن حفص ثالثا لكن مشروعه باء بالفشل ، وقتل في صفر عام ٦٤٦ هـ . (٢)

"واضحت تينمل **** مسرحا لماساة شائكة كان هذا في عهد قرر فيه المرينيون الثائرون القضاء على آخر ما بقي من الماحدين الموحدين الذين هموا بالصمود في وجههم ، وكان آخر بقايا هذه السلالة أن ألقت بتينمل التي كانت مهد سلطانهم " (٣) .

---

(١) بويع يوم الجمعة العاشر من جمادي الثاني عام ٦٤٠ هـ وتوفي في منسلخ صفر عام ٦٤٦ هـ ، انظر ترجمته في الانيس المطرب ، ص ٢٥٦ ، والاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، وما بعدها .

(**) مكناسة تقع بالمغرب الاقصى وهي مجموعة من المدن تتصل باربعة من المدن وتقع في طريق سلا ، الاستبصار ، ص ١٨٧ ، نزهة المشتاق ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(***) تلمسان مدينة بغرب المغرب الاوسط، والبعض يقول تنمسان بالنون موضعا* من اللام ، وهي قاعدة بني عبدالواد زناتة وتشبه المدن الاندلسية إلى حد كبير ، نزهة المشتاق ، ص ٢٤٨ ، كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٠ ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٢) الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، انظر تفاصيل ذلك في الانيس المطرب ، ص ٢٧٥ ، والذخيرة السنية للمولف نفسه ، ص ٧١-٧٣ ، ط الرباط ١٩٧٢ .

(****) تينمل وتكتب تينمال وتينملل وتين ملل ، وهي قرية بجنوب المغرب الاقصى ، وتقع على جبل عال ، إذا كان فصل الشتاء صعب الصعود إليها ، وبها يقع قبر ابن تومرت وعبدالمؤمن ، وابنه يوسف ، ويذكر عبدالهادي التازي ان تين ملل كما ذكرها ابن صاحب الصلاة معناها بالبربرية "تين" ويقصد بها الذات و "إيمل" ومعناها الحواجز ، المن بالإمامة ، ص ١٤٩ ، هامش 1 ، نزهة المشتاق ص ٢٣٠ ، الاستبصار ، ٢٠٨ .

(3) - Sancturaires et forteresses Alnohades. P 31, 32.

الإطار الاجتماعـــــــي

قام هيكل دولة الموحدين في أساسه على نظام الطبقات الشعبية فقد رتب ابن تومرت المجتمع الموحدي على هذا الأساس ، وذلك حسب اسبقية كل فرد ، وكل قبيلة في استقبال الآراء التومرتية ، وهذا قبل إعلان الدعوة ، أو بعد إعلانها لذا قام مؤسسها بتشكيل دولة بنيت في أساسها على نظام الجماعات الشعبية والطبقات القبلية .

لكن معظم المصادر التي تناولت هذه القضية لا تتفق في ذكر أسماء القبائل الموحدية أو أسماء الأشخاص ، وضبطها أثناء ترجمتها من البربرية إلى العربية ، وأسبقيتها في استقبال الدعوة وعددها والعمل الذي كلف به كل شخص ، فقد ورد اختلاف كبير في ذكر اسماء العشرة أو اهل الجماعة ، وهم أول من بايع المهدي بن تومرت ، فعددهم سبعة عند اليسع الذي اخذ عنه ابن القطان (١) ، وعشرة عند ابن القطان (٢) واثنا عشر في رواية المقتبس (٣) ولا يمكن الاعتماد على رواية المقتبس أو المعجب في ذكر القبائل الموحدية في فترتها الأولى ، نظرا لإدماجها لقبيلة كومية ، وهي القبيلة التي ينتمي إليها عبدالمؤمن بن علي ، ومقرها ندرومة قرب تلمسان (٤) ، ولو صح ذلك لوجدنا ذكرا لقبيلة البشير الونشريسي (٥) وهو الآخر من المغرب الأوسط لانتسابه إلى سلسلة جبال الونشريس او عبدالواحد الشرقي (٦) وهو الآخر من المنطقة الشرقية للمغرب الأوسط او المغرب الأدنى ، وهؤلاء الثلاثة صاحبوا ابن تومرت من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى . وهم من أهل الجماعة العشرة إن صح عدد الذين بايعوا ابن تومرت عام (٥١٥ هـ تحت شجرة الخروب (٧) .

---

(١) نظم الجمان ، ص ٧٦ . (٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧-٨٠.

(3) documents inedits dhistoire almohade p 32 , 33 texte arabe .

(٤) اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٤١ .

(5) ibid p 27 texte arabe . نهاية الارب ، ص ص 400-403

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٤ ، الحلل الموشية ص ١٠٨ ، تاريخ الدولتين ص ٦ . La berberie Musulmane et lorient au moyen age p 259 .

وبناء على تضارب الروايات سنعتمد في ذلك على رواية ابن القطان ، لتوافقها مع مصادر اخرى من ناحية ضبط العدد الكامل لأهل الجماعة واتفاقها بعض الشئ مع ذكر القبائل الموحدية (١) .

فأولها العشرة أو أهل الجماعة ، وهم أول من بايع ابن تومرت من السابقين الأولين،(٢) ويليهم أهل الخمسين ،وأهل السبعين ، وهم بمثابة مجلس الأمة والطلبة ، وهم علماء الموحدين والحفاظ ، وهم صغار الطلبة وأهل الدار ، ويعني بهم اهل بيت ابن تومرت وَهَرْغَة ، وهي قبيلة ابن تومرت ، وأهل تِينَمَلّ ، وهم بطون متعددة من قبيلة مَصْمُودَة وغيرها وجَدْمِيُوهْ ويتكون بعضها من الرعية ، وجَنْفِيسَة وهي أفصح القبائل البربرية واكثرها عدداً وهَنْتَاتَة وهي كثيرة العدد ايضاواهل القبائل ، وهم هَزْمِيرة وهِيلاَنَة وهَزْرَجَة (٣) وهي القبائل التي ناصرت ابن تومرت في بداية الدعوة ، والجُنْد وهم المتطوعون والغُرَاتْ (٤) .

لكن اثناء معركة البحيرة عام ٥٢٤ هـ قتل أربعة من أهل الجماعة والكثير من طبقة الخمسين والسبعين ، وكانت عملية التمييز الدموية (٥) التي قام بها الونشريسي عام ٥١٩ هـ حيث قتل فيها الكثير ممن دخل الدعوة الموحدية واستمرت هذه العملية أربعين يوما لتمييز الخبيث من الطيب .

---

(١) الانيس المطرب ص ١٧٦، الحلل الموشية ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
La berberie musulmane et lorient au moyen age p 260
Histoire du Maroc p 30.

(٢) المصادر نفسها ونظم الجمان ، ص ص ٧٧-٨٠،
op. cit p 260 , ibid p 30 .

(٣) المعجب ، ص ٢٤١ .

(٤) هم الاحداث الصغار الاميون، نظم الجمان، ص ٢٨، او الغزاة وهم الرماة ، الحلل الموشية ، ص ١٠٩، او الغرات جمع غر وهو الصبي الصغير ، نظم الجمان ص ٢٨ ، هامش ٣ .

(٥) عن عملية التمييز التي قام بها الونشريسي، انظر، نظم الجمان ص ١٠٢، ١٠٣، اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٧٢,٧١، نهاية الارب ص ٤٠١، ٤٠٢، documents inedits dhistoire almohadle
p p 35-37. texte arabe , ibn tumart, pp 68-70.

ونظرا لعدم اطمئنان ابن تومرت لقبيلة هزميره قتل منهم خمسة عشر الفا حسب ابن القطان وجردهم من كل ممتلكاتهم ووزعها على الموحدين . (١)

وكان ارتداد بعض القبائل عن الدعوة الموحدية بعد وفاة ابن تومرت ، زيادة على الثورات التي واجهتها الدولة في عهد عبدالمؤمن ، ومحاولة اغتيال عبدالمؤمن من طرف أخوي ابن تومرت .

وقام عبدالمؤمن بقتل كثير من اهل قبيلة منانة الجبل عام ٥٣٣ هـ نظرا لدخولها في الدعوة الموحدية ، وارتدادها ثلاث مرات واستمرت العملية شهرا وثلاثة ايام حسب ابن قطان (٢) .

ودخول العنصر الجديد المتمثل في القبائل العربية في الدعوة خاصة ان عبدالمؤمن اعتمد عليهم عام ٥٤٨ ، اثناء تعيين ابنه وليا للعهد (٣) وجلب عبد المؤمن اربعين الف فارس من قبيلة كومية وجعلهم حرسه الخاص .(٤)

كل هذه الأحداث، وغيرها ادت بالخليفة عبدالمؤمن لتغيير النظام الذي وضعه ابن تومرت من قبل ، فبعث برسالة إلى طلبة تلمسان يخبرهم بإعادة تقسيم طبقات الموحدين إلى ثلاث طبقات ، وذلك حسب اقدمية كل قبيلة وكل شخص في دخوله الدعوة الموحدية ، فكان التصنيف الجديد مخالفا لترتيب ابن تومرت .

فالطبقة الاولى تشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية والمشاركين في البحرية أو الذين صلوا خلف ابن تومرت وصحبوه، الطبقة الثانية وتشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية بعد البحيرة اي بعد عام ٥٢٤

---

(١) نظم الجمان ص ٩٣، ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤١، وانظر نهاية الارب، ص ٣٩٩ .

(٣) البيان المغرب (القسم الموحدي) ص ٤٩ .

(٤) الانيس المطرب ، ص ٢٠١، ٢٠٢ .

هـ حتى فتح مدينة وهران * وتشمل سكان الناحية الغربية من المغرب الأوسط ، وبعض المدن الأندلسية التي قدمت البيعة لعبد المؤمن والطبقة الثالثة وهي أوسع الطبقات حيث تشمل كل من دخل في الدعوة الموحدية ، ابتداء من عام ٥٤٠ هـ أي بعد فتح وهران إلى يوم صدور المرسوم فما فوق ذلك دون تحديد (١) .

وبصدور هذه الرسالة ، يمكن الاعتماد على رواية المقتبس(٢) ورواية المعجب (٣) حيث اصبحت كومية تمثل الدرجة الثانية بعد قبيلة ابن تومرت ،(٤)زيادة على هذه الاحداث والتغييرات التي احدثها الخليفة عبد المؤمن ظهر عنصر جديد في الدولة الموحدية ، وهو عنصر اشياخ الجماعة الذين استولوا على منصب اهل الجماعة في الترتيب الاول فاصبح الخليفة عبد المؤمن يعتمد عليهم في تسيير شؤون الدولة واستشارتهم في معظم الأمور ، وتضاعف نفوذ الأشياخ إلى درجة ان احد ابناء الأشياخ ، قتل إبراهيم اخا عبد المؤمن ، فغضب الخليفة ، وطلب ان يقتل القاتل ، لكن طلبه قوبل بالرفض من طرف الاشياخ (٥) ، وتضاعف نفوذهم وازدادت اهميتهم ، وتدخلهم في كل شؤون الدولة ، حتى مجئ المامون الذي طلب محو اسمهم من المراسيم (٦) .

اما سكان المغرب والاندلس خلال القرن السادس، ونصف السابع ، فقد شملت البربر ، والعرب ، واهل الذمة ، والغز وهم الاتراك .

(*) وهران مدينة كبيرة تقع غرب المغرب الاوسط ، قال الحميري انها اسست في عام ٢٩٠ هـ ولها مرسى كبير ، الروض المعطار مادة (وهران) الاستبصار ، ص ١٣٤ .

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٥٤ الرسالة الثانية عشرة .

(2) documents inedits dhistoire almohade p 44 texte arabe.

(٣) المعجب ، ص ٣٣٩ .

(٤) الانيس المطرب، ص ٢٠٢، وانظر اخبار المهدي بن تومرت، ص ١٠١.

(٥) اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٩٩ .

(٦) الإحاطة ج١، ص٤١٣، ٤١٤.

البربر هم سكان المغرب الأصليون ، لذا لن نتعرض لهم هنا وأما العرب فعلى الرغم من وجودهم بالمغرب والاندلس فقد قام عبدالمؤمن بجلب عدد كبير منهم إلى جنوب المغرب الأقصى للتخفيف من حدة العصبية القبلية ، ودمجهم في القبائل البربرية ، والاعتماد عليهم في الحروب بالاندلس نظرا لعدم تمكن القبائل البربرية من القيام بذلك ، اثناء توسع الرقعة الجغرافية الموحدية ، فشارك العرب في الجهاد بالاندلس ايام الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن ، واعتبروا من الجيوش المحررة للمدن الاندلسية وحمايتها (١).

ونقل الخليفة المنصور عام ٥٨٤هـ عددا كبيرا منهم إلى المغرب الأقصى(٢)،فكان لهذا العدد الغفير الذي توافد على المغرب الاقصى الفضل الكبير في تعريب القبائل البربرية وانتشار اللغة العربية في هذه المنطقة .(٣)

اما اهل الذمة فإذا كان ابن تومرت قد اعتبر اهل اللثام كفرة ، فكيف هو الحال بالنسبة لأهل الذمة من اليهود والنصارى ؟

فقد كان عبدالمؤمن متزمتا تجاههم لذا خيرهم عام ٥٥٤ هـ بعد فتحه تونس ، بين الإسلام او السيف (٤) وامر جميع عمال بلاده ان يترك لهم الاختيار بين مغادرة البلاد او اعتناق الاسلام فمن اسلم فلا فرق بينه وبين المسلمين ومن امتنع عن ذلك فقداحل دمه وماله ، وكان نتيجة هذا الاختلاط ان قتل عدد من مسلمي الاندلس من قبل اليهود الذين يدعون الاسلام (٥) .

لكن بمجيئ المنصور ميز اليهود بلباس يعرفون به ، وهو عبارة عن، ثياب كحلية ذات اكمام طويلة تصل إلى اقدامهم ، واما العمائم التي عرفوا بها فجعلها "كلوتات" في ابشع صورة (٦) .

---

(١) المن بالإمامة ، ص ٢٠٣ .

(٢) الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٦٢ . la berberie musulmane et Lorient au moyen age p 263 .

(٣) الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٥٨ .

(٤) الاستقصاء ج ٢ ، ص ١٣٧ . ibid p 269 .

(٥) انظر المن بالامامة ، ص ١٢٩ .

(٦) المعجب ، ص ٣٠٤ . ibid p 269 , 270 .

ويقول الزركشي (١) بانه " في سنة خمس وتسعين امر المنصور اليهود بعمل الشكلة وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ، وجعل لهم برانس وقلانس زرقا ".

لكن عبدالواحد المراكشي بعد انتهائه من كلامه السابق يضيف " ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني،منذ قام امر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة انما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ، ويصلون في المساجد ، ويقرئون اولادهم القرآن جارين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم" (٢) .

ولكن في عهد الخليفة المامون نال اهل الذمة -النصارى - قسطا كبيرا من الحرية ، فاسترجعوا بعض ما افتقدوه في بداية الدولة حيث سمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية فقامت بمراكش كنيسة تضرب فيها النواقيس (٣) .

اما الغز فهم الأتراك الذين استعملهم الخليفة يوسف في الجهاد بالاندلس (٤) وربما كانت الطبقة الرابعة عشرة التي اختلف في تسميتها ضمن طبقات الموحدين هم الغز نظرا لتسميتهم بصغار الأميين ،ربما كان هذا لعدم معرفتهم باللغة العربية أو البربرية ، لذا صنفوا في آخر طبقة كونهم "غرباء" عن المنطقة ، ولكن ليس هناك اي دليل يثبت صحة هذا الافتراض او عدم صحته .

واوصى المنصور بالغز قبل وفاته (٥) نظرا للدور الكبير الذي لعبوه في الجهاد بالاندلس ، فعبد الواحد المراكشي يقول إن المنصور اكرمهم (٦) " وبالغ في تكرمتهم ، وجعل لهم مزية ظاهرة على

---

(١) تاريخ الدولتين ، ص ١٦ . (٢) المعجب ، ص ٣٠٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٦، ص ٥٣٠، ٥٣١، الاستقصاء ج٢، ص ٢٣٦
pierre de cenival, leglise chretienne de marakech a4 13 siecle p 74, Hesperis annee 1927, 1 cr triestre

(٤) الانيس المطرب ، ص ٢١٣ ، ص٣٢٦ .

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٢٣٦ .

(٦) المعجب ، ص ٢٨٩ .

الموحدين ، وذلك ان الموحدين ياخذون الجامكية ثلاث مرات في كل سنه ، في كل اربعة اشهر مرة ، وجامكية الغز مستمرة في كل شهر لا تختل وقال : الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين ان هؤلاء غرباء لا شئ لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية ، والموحدون لهم اقطاع والاموال المتاصلة)هذا مع انه اقطع اعيانهم اقطاعا كاقطاع الموحدين او اوسع " .

واهتمت الدولة الموحدية بالسلطة التشريعية ، واولتها اهمية في اختيار القضاة وتقديمهم حيث يعين القاضي مباشرة من قبل الخليفة نفسه ، فاحتل القضاة المكانة المرموقة عند الموحدين فيختار لهذه المهمة احسنهم واعدلهم لان " الاحكام الشرعية احق ما قدم احكامه وحفظ بجميل الاعتناء نظامه لانها القطب الذي تدور عليه مصالح الامة والملجا الذي يفزع إليه بالامور المهمة لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال ونحمد منه المناحي والخلال ، باذلين اقصى الوسع في الانتقاء موثورين من اجتمعت فيه اوصاف الذكاء والنقاء "(١) .

ويؤمر القاض بان يحكم بما جاء في الكتاب والسنة (٢) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) والسير على سبيل السلف الصالح (٤) وما اجتمعت عليه الامة (٥) .

وفي السادس عشر من شهر ربيع الاول عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة بعث الخليفة عبدالمؤمن رسالة إلى الطلبة والشيوخ والاعيان بالاندلس شملت معظم القوانين الشرعية من رفع احكام القتل إلى الخليفة قبل إصدار الحكم الاخير فيها ، وظلم بعض الولاة ، وضرب الناس بالسياط (٦)

---

(١) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٧٥٢ ، ورقة ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٦١، ورقة ٦٤، ورقة ٦٩ ، ورقة ٧٥.

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٦٧، ورقة ٧٣، ورقة ٧٥، ورقة ٧٨.

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٧١، ورقة ٨٣.

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ٦٤.

(٦) انظر المن بالامامة ص ٢٢٨، ومخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ١٣٧ .

وتزويج المراة دون استبراء)ومحاربة كل انواع المسكرات، والبحث عن الاماكن المشبوهة في منعها والتاكد مما يحل شربه من الرُّب" (١) وما يمنع (٢) .

اما المراة الموحدية فقد كانت اقل ظهورا واختلاطا في المجتمع ، إذا قورنت بالمراة المرابطية ، ويعود ذلك في راي عبدالله علام ، إلى مكونات البيئة الاجتماعية التي فرضتها عليها الحياة الصحراوية التي عاشها المجتمع المرابطي ، فالمراة الصحراوية هي عماد الأسرة حيث تتحمل أعباء الحياة الاجتماعية والاقتصادية في حين يقتصر عمل الرجل على حماية القبيلة (٣) .

لكن هذا الأمر لم يؤد إلى الانتقاص من حريتها، بل على العكس من ذلك، فابن رشد (٤)يرى انه ليس هناك اي فرق بين الرجل والمراة اللهم إلا انها اضعف منه في العمل ، فطبيعة المراة هي نفسها عند الرجل وإنما يكمن الاختلاف في الأعمال لا غير ، والبرهان على ذلك في رايه ، انها قادرة على المشاركة في الحروب والفلسفة (٥).

وبدات قصة المراة الموحدية بدخول ابن تومرت مراكش ، وذلك انه التقى أخت السلطان علي بن يوسف ، وهي مسفرة ، صحبة جواريها فوبخها ، وضرب دوابهن إلى أن وقعت اخت الامير على الارض (٦).

---

(١) الرب" هو نوع من الشراب يتناوله سكان الجبال بالخصوص لمواجهة البرد، الاستبصار ص، ٢١١، انظر مجموع رسائل موحدية ، ص ١٦٥،١٦٦، الرسالة الثالثة والعشرون .

(٢) نظم الجمان ، ص ص ١٥٠-١٦٧ .

(٣) الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٤٣ .

(٤) هو ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد من اهل قرطبة انظر عنه ، ابن ابي صبيعة عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص ص ٥٣٠-٥٣٢ ، عبدالملك المراكشي ، الذيل والتكملة السفر ٦، ص ص ٢١-٣١، تحق إحسان عباس دار الثقافة بيروت ط ١، ١٩٧٣.

(٥) احمد امين) ظهر الاسلام، ج ٣، ص٢٧٤، ط المصرية ١٩٥٢، حسن السائح الحضارة الاسلامية في المغرب، ص ٢٣٤، الدار البيضاء ط ٢، ١٩٨٦.

(٦) نهاية الارب، ص ٣٩٧، La berberie musulmane et lorient Au moyen age p 256.

وكان لهذا أن منع اختلاط النساء بالرجال ، ومنع سفورهن خارج بيوتهن،ولما كان عبدالمؤمن قد فرض التعليم وجعله اجباريا ومجانيا (١) لكل الموحدين بحيث يشمل النساء والرجال ، شاركت المراة في هذا الميدان ، وابدعت فيه إلى درجة أن بعض المثقفات نلن تقديرا واسعا ففتحت امامهن ابواب القصر ليعلمن فيه (٢) .

وتذكر لنا بعض المصادر ،اسماء النساء اللآئي برزن في هذا الميدان مثل اسماء العامرية التي مدحت عبدالمؤمن و قولها :

عَرَفْنَا النَّصْرَ وَالْفَتْحَ المُبِينَا لِسَيِدِنَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا
إذَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمَعَالِي رَأَيْتُ حدِيثَكُمْ فِينَا شُجُونَا (٣)

وحفصة بنت الحاج الركونية ، المشهورة بجمالها وحسبها ،التي علمت النساء بدار الخليفة المنصور بن يوسف (٤)، وهي القائلة (٥)

اَغَارُ عَلَيكَ مِنْ عَيْنَيّ (رَقِيبِي) (٦) وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِكَ وَالْمَكَانِ
وَلَوْ انِي خَبَأتُكَ فِي عُيُونِي إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي.

وبلغت الاميرة زينب بنت يوسف بن عبدالمؤمن درجة عالية من علم الكلام ، ولمعت إلى جانب ذلك في ميدان الثقافة والعلم (٧).

---

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٢ ،الرسالة الثالثة والعشرون.

(٢) محمد المنوني العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، ص ٣٣ ط٢ الرباط ١٩٧٧.

(٣) المقري، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ج ٦ ص ٧٢، تحق، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت ط ١، ١٩٨٦، انظر عنها ومن غيرها عبدالعزيز بن عبدالله المراة المراكشية في الحقل الفكري صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد م ٦ العدد ١-٢ ص ٢٦٠.

(٤) العلوم والاداب والفنون ص ٣٤، الدول الموحدية بالمغرب ص ٢٤٤ .

(٥) النفح، ج ٥، ص ٣٠٩، ترجمتها في التكملة رقم ٢١٢٢ .

(٦) عند louis di giacomo, une pootesse andalouse du tenps des almohades hafsa bint alhdj ar - rukuniya p95 Hespenis annee t 347 . (وص)

(٧) العلوم والاداب والفنون، ص ٣٢ الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٤٤,٢٤٢ .

وبلغت منزلة المراة الموحدية درجة مرموقة حتى إن الرحالة ابن جبير رثى زوجته ام المجد باكثر من خمس موشحات)وافرد في رثائها اكثر من ثلاثمائة بيت في ديوانه (١) .

ومن عادات النساء عند الموحدين استعمال التمائم ، وتزيين بطون الاكف و ظهور السواعد بالحناء (٢) .

وفي رسالة الفصول - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - أمر الخليفة عبدالمؤمن بن علي رجال السلطة بالبحث عن المنكرات " والنساء المفسدات المتفننات في طرق الغواية"(٣) .

ويصف عبد الواحدالمراكشي بيمارستان (٤) مراكش الذي شيد في عهد الخليفة المنصور بانه لا يعتقد " ان في الدنيا مثله ، وذلك ان - المنصور تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وامر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف ، والماكولات واجرى فيه مياها كثيرة تدور على البيوت زيادة على أربع برك في وسطه إحداها من رخام ابيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير الاديم ، وغيره بما يزيد عن الوصف ، ويأتي فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام ، وما ينفق عليه خاصة ، خارجا عما جلب إليه من الادوية ، و اقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال ، واعد فيه للمريض ثياب ليل ونهار للنوم من

---

(١) الذيل والتكملة السفر ٥ ق ٢، ص ٦٠٨ تحق إحسان عباس بيروت ١٩٦٥ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ، ورقة ٤٤ .

(٣) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٤، الرسالة الثالثة والعشرون .

(٤) بيمارستان كلمة فارسية من كلمتين بيمار وتعني المريض، واستان وتعني المكان ... فمعنى بيمارستان دار المريض " عبدالهادي التازي ، المنشآت الصحية بالمغرب عبر التاريخ ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد ١٣ ، ١٤ ، السنة ٤ ، ص٦٩ ، تموز- كانون الاول ١٩٨١.

جهاز الصيف والشتاء ، فإذا نقه المريض فإن كان فقيرا أمر له بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنيا دفع إليه ماله وترك وسببه ، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت ، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ، ويدخله يعود المرضى، ويسأل من أهل كل بيت يقول كيف حالكم ؟ وكيف القومة عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ، لم يزل مستمرا على هذا إلى أن مات رحمه الله " (١).

ونستخلص من كلام عبدالواحد المراكشي ، القيمة الحضارية للعمارة الموحدية ، في ترتيب بيمارستان مراكش واستخراجه ، وغيره من المنجزات الأخرى التي تشهد على تطور الفكر والطابع العصري الموحدي فيما يتعلق بشكله الخارجي والداخلي معا ، من حيث اختيار الموضع المناسب لبنائه ، وزخرفته بأجمل النقوش زيادة على تزيينه بالبرك المائية في وسطه ، وإذا كان شكله الخارجي يوحي بنوع من الثراء الذي وصلت إليه الدولة (٢) في عهد المنصور فإن ما يهمنا هنا هو التنسيق والتركيب الداخلي ، من حيث إدخال قنوات المياه لكل الحجرات ، وتوفير أحسن فراش للمريض ،وإنفاق ثلاثين دينارا يوميا من أجل الطعام، وما جلب إليه من الأدوية والصيادلة والأطباء، وتوفير لباس المريض ليلا غير الذي يرتديه نهارا، وهذا حسب فصول السنة إلى آخر الصورة التي قدمها عبدالواحد المراكشي في وصف بيمارستان مراكش لذا قيل عنه " بأنه يخلف وراءه مصحات أوربا المسيحية، وتخجل منه حتى اليوم -أي عام ١٩٢٦- مستشفيات باريس(٣)".

---

(١) المعجب، ص ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) انظر الانيس المطرب ، ص ٢١٧، ٢١٨ .

(٣) عبدالعزيز بن عبدالله تطور الفن في عهد الموحدين، ص ٧٣، مجلة البينة السنة الأولى العدد 9 يناير ١٩٦٣ .

الإطار الثقافي

لقد كانت الفترة الموحدية من الفترات المزدهرة حضاريا في تاريخ المغرب والأندلس حيث تذكر لنا المصادر أعدادا وافرة من العلماء والأدباء والمفكرين في مختلف الميادين والعلوم ،ولذلك فإن الفضل يرجع إليهم في إحياء الحركة الفكرية واستمرارها وانتعاشها خلال القرن السادس ونصف السابع، على الرغم من سقوط بعض المدن الأندلسية في يد النصارى ، والهزيمة التي ابتلي بها المسلمون في معركة العقاب .

وتزخر كتب التراجم بعدد كبير من الأدباء والمفكرين العاملين في مختلف المعارف العلمية ، التي حفل بها البلاط الموحدي ، وكان سباقا إلى تشجيعها وإحيائها .

فأجريت المرتبات على " الأطباء والمهندسين ، والكتاب والشعراء "(١) وبدون شك أن المرتبات ، كانت تصرف على غير هؤلاء من المفكرين .

وبتشجيع الخلفاء للبحث ، ازدهرت الثقافة ، واطلق عنان الفكر ، وأحييت الفلسفة حيث بلغت " أوج نموها "(٢) بعد ان كانت محظورة عند المرابطين ، وكان الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي من المتحمسين لترجمة كتب أرسطو طاليس الفيلسوف الإغريقي (٣).

ولم تكن هذه الحركة مقتصرة على أصحابها، والمختصين بها فقط، بل شملت الخلفاء والأمراء .

فقد كان ابن تومرت محبا للعلم، والعلماء متبحرا في الفقه، وراوية الحديث (٤) وهَمَّ خليفته ، وتلميذه عبدالمؤمن بن علي بالسفر إلى المشرق لطلب العلم لولا التفاؤه بمعلمه ، وكان هو الآخر محبا

---

(١) المعجب ، ص ٢٤٠ .

(٢) ليفي بروفنصال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية، ص ٣٥، تطوان ١٩٥١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .   (٤) الانيس المطرب ، ص ١٨١.

للعلماء يطلبهم ، ويجري عليهم الرواتب (١) ، عالما بالفقه ، حافظا للحديث حجة في النحو ، واللغة والادب إلى غير ذلك من المعارف الأخرى السائدة في عصره (٢) ،اما ابنه الخليفة يوسف فكان هو الاخر متبحرا في النحو واللغة العربية (٣) إلى جانب مشاركته في الفلسفة والطب (٤) .

ونمت الفلسفة عند الموحدين وكان ابن تومرت قد اتخذ من قضية حرق كتب ابي حامد الغزالي اكبر حجة للقضاء على حكم المرابطين ، إلى جانب الإتهامات الأخرى التي وجهها إليهم كالكفر والخروج ، عن الدين ، ولذلك اعيدت إلى الغزالي المكانة التي كان يجب ان يحظى بها عند المغاربة والاندلسيين ، وتقلص نفوذ الفقهاء الذين كانوا سببا في حرق كتبه ، فحد من حريتهم على عكس ما كانوا يمتازون به ايام المرابطين، وازدهرت الفلسفة ايام الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي ، فقد حدا به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من اجزائها ، وبدا من ذلك بعلم الطب ، فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي اكثره مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل ، ثم تخطى ذلك إلى ما هو اشرف منه من انواع الفلسفة وامر بجمع كتبها "(٥) .

ولم يقتصر إهتمام الخليفة يوسف على اقتناء الكتب الفلسفية ، لكنه سعى إلى جلب المختصين بها فحظي مجلسه بالفيلسوف ابي بكر بن طفيل ، ونال إعجاب الخليفة إذ لم يكن يغادر مجلسه ليلا ولا نهارا (٦) ، وإليه يرجع الفضل في تقديم الفيلسوف ابن رشد إلى الخليفة .

---

(١) الحلل الموشية ، ص ١٥٠، المعجب، ص ٢٠٠ .

(٢) الانيس المطرب، ص ٢٠٣، المونس ، ص ١١٧ .

(٣) المعجب ، ص ٢٣٨ . (٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

(٥) المعجب ، ص ٢٣٨ . (٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠،

Histoire de lafrique du nord, p 12

ويذكر عبدالواحد المراكشي، ان ابا بكر بن طفيل قال لابن رشد (١)"(إن أمير المؤمنين) يتشكى من قلق عبارة أرسطو طاليس - أو عبارة المترجمين عنه - ويذكر غموض اغراضه ،ويقول لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ، ويقرب اغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس، فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، إني لأرجو ان تفي به لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك ، وقوة نزوحك إلى الصناعة و ما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر (٢) سني واشتغالي بالخدمة وصرف غايتي إلى ما هو اهم عندي منه ، قال ابو الوليد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص مالخصته من كتب ارسطوطاليس ".

ويختم عبدالواحد المراكشي كلامه عن الخليفة يوسف، ومدى شغفه بتعلم الفلسفة وإعجاب ابن رشد به فيقول :(٣) " لم يكن في بني عبدالمؤمن فيمن تقدم منهم وتاخر ملك بالحقيقة غيرابي يعقوب".

ولم يحد يعقوب المنصور عن سلفه بل شارك في معظم العلوم المنتشرة آنذاك (٤) وحرص عبدالمؤمن على انتشار المعاهد العلمية في ارجاء المغرب والأندلس، فقد فرض التعليم (٥) مما ادى إلى انتشار العلم وكثر تردد عامة الناس على معاهد العلم سواء اكانوا احرارا ام عبيدا، ماداموا تحت الراية الموحدية .

وعين الخليفة عبدالمؤمن بن علي الحفاظ، - صغار الطلبة - على حفظ مؤلفات ابن تومرت ككتاب " اعز ما يطلب ")وكتاب الموطا فكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف (٦) كانهم ابناء ليلة من المصامدة،

----

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ . (٢) في الاصل، كبرة .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٤) الانيس المطرب، ص ٢١٥

(٥) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٢، الرسالة الثالثة والعشرون

(٦) بالغ صاحب الحلل الموشية في ذكر العدد، ويرجع gaston deverdum ان العدد الهائل للحفاظ يمثل مدة دفعات des marakech origines a ١٩١٢ p ١٦٩ .

وغيرهم ، فقصد بهم سرعة الحفظ، والتربية على ما يريده فياخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس،ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه ... ويوما ياخذهم بسان يجدفوا على قوارب، وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة ، فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالعطاء ، وتارة بالادب، وكانت نفقتهم ، وسائر مؤونتهم من عنده كذلك " (١).

واكمل يعقوب المنصور عمل جده ، حيث بنى المدارس للطلاب، فانتشرت دور العلم في المغرب والاندلس (٢) ، وكان والده الخليفة يوسف من المهتمين باقتناء انفس الكتب، فعين من يسأل عنها ويجلبها له ، وحفل مجلسه بعدد كبير من العلماء الذين كان يجلبهم إليه الفيلسوف ابو بكر بن طفيل (٣)، ومن بينهم ابن رشد ت ٥٩٥ هـ (٤).

وجلب الخليفة عبد المؤمن بن علي العلماء من الاندلس إلى المغرب الاقصى.ومن المدن المغربية الاخرى إلى مراكش، وحذا حذوه ابنه يوسف وحفيده المنصور فكانا يقيمان المجالس العلمية في قصورهم ، ويختاران لها احسنهم ، وأرسخهم علما ، وعادة ما يفتتح المجلس بمسالة معينة يطرحها الخليفة لتناقش بين الحضور (٥) .

وحفاظا على نظام هذه المجالس، فقد رتبت حسب الاختصاصات والمواضيع ، "فهناك مجلس للمذاكرة في الأدب، ومجلس للمذاكرة في العربية وهلم جرا "(٦) ووضع لهذه المجالس نظام معين لا تحيد عنه ،

---

(١) الحلل الموشية ، ص ١٥٠ .

(٢) انظر الانيس المطرب، ص ٢١٧ ، رقم الحلل ص ٥٥ .

(٣) انظر ترجمته في وفيات الاعيان ج ٤ ، ص ٥٦ المغرب في حلى المغرب ج٢ ص ١١٩ .

(٤) المعجب، ص ٢٤٢ ، وانظر ترجمته عند ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص ٥٥٣ رقم ١٤٩٧ تحق السيد عزت العطار الحسيني القاهرة ١٩٥٦ ، الذيل والتكملة السفر ٦ ، ص ٢١ ، رقم ٥١.

(٥) العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٣٩.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

حيث يجلس قاضي الجماعة عادة إلى جانب الخليفة ويأتي بعده رئيس الأطباء، فأكبر علماء الحضرة ثم باقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مستوياتهم (١) .

وبلغت حرية القول في عهد الموحدين إلى درجة أن الشاعر الجراوي استطاع أن يخرج على الخليفة يوسف بقوله المشهور دون أن يرد عليه أو أن يعاقبه (٢).

ومدح أبو محمد عبدالله بن أبي العباس التيفاشي الخليفة عبدالمؤمن بقوله :

ماهز عطفيه بين البيض والأسل   مثل الخليفة عبدالمؤمن بن علي

فأشار إليه الخليفة أن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار (٣).

وأعطى الخليفة يعقوب المنصور أحد الشعراء ألفي دينار لبيتين أنشدهما مهنئا إياه بانتصاره في معركة الأرك (٤) .

ونظرا لهذه التشجيعات المادية والمعنوية التي كان الخلفاء والأمراء يحيطون بها رجال العلم والأدب فقد شهدت الحركة الفكرية ازدهارا لا مثيل له في ظل بني عبدالمؤمن وكان لهذا الازدهار أن ظهرت أسماء لامعة من العلماء والمفكرين في مختلف النشاطات .

وعلا صيت الفيلسوف ابن رشد عند الخليفة يوسف، وابنه يعقوب المنصور، إلا أن الأيام تنكرت له بسبب الوشاة، والحساد، فأبعده

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٢٩ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ج ٣، ص ١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ج ٣، ص ٢٤٩، المؤنس ص ١١٧، شجرة النور الزكية، ص ١١٧، تاريخ الدولتين ص ١٤، وذكر اسمه "محمد بن عمر التيفاشي".
la poesie a lepoque de abd al-mumin p ٧

(٤) آنجل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٢٧ ترجمة حسين مؤنس ط ١ القاهرة ١٩٥٥.

الخليفة المنصور، وامر بحرق كتبه الفلسفية فحدثت بذلك نكبته (١).

ويخبرنا ابن رشد عما لقيه ايام نكبته من العامة حيث يقول (٢) " اعظم ما طرا علي في النكبة اني دخلت انا وولدي عبدالله مسجدا بقرطبة، وقد حانت صلاة العصر فثارت علينا بعض سفلة العامة فاخرجونا منه ".

ولم يكن العداء الموروث للفلسفة مقتصرا على العامة، والفقهاء فقط، فهذا ابن جبير الرحالة المشهور، نراه يطلق لسانه بالتشنيع على الفلاسفة، خاصة ايام نكبة ابن رشد فمن قوله في هذا الميدان :

قَلَّتْ بِأَفْعَالِهَا الشَّنِيعَةْ طَائِفَةٌ عَنْ هُدَى الشَّرِيعَةْ
لَيْسَتْ تَرَى فَاعِلاً حَكِيمَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الطَّبِيعَة (٣)

وقوله ايضا :

يَاوَحْشَةَ الإِسْلَامِ مِنْ فِرْقَةٍ شَاغِلَةٍ أَنْفُسَهَا بِالسَّفَهْ
قَدْ نَبَذَتْ دِينَ الهُدَى خَلْفَهَا وَادَّعَتْ الحِكْمَةَ وَالفَلْسَفَة (٤)

لكن الخليفة يعقوب المنصور تدارك بعد ذلك الخطا الذي وقع فيه فاستدعاه إلى حضرة مراكش وعفا عنه .

وإلى جانب الفلسفة، برزت مجموعة كبيرة من المتصوفة الذين تحرروا من القيود السائدة عند المرابطين، وإن كانت آراؤهم متأثرة في أغلب الأحيان بالنظريات والآراء الفلسفية أيضا، ويأتي على رأسهم ابو بكر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العربي ت ٦٣٨هـ " برع في علم التصوف، وله في ذلك تواليف جليلة (٥)، ومنهم احمد بن

---

(١) المعجب، ص ٣٠٥، وانظر رسالة ابو عبدالله بن عياش في هذه القضية، الذيل والتكملة السفر ٦ ص ٢٦-٢٨.

(٢) المصدر نفسه، السفر ٦، ص ٢٦.

(٣) النفح، ج ٣، ص ١٤٤، ظهر الاسلام ص ٢٤٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤٤ .

(٥) التكملة، ج٢ ص ٦٥١، رقم ١٦٧٤، الذيل والتكملة السفر ٦، ص ٤٩٣، رقم ١٢٧٧، في عنوان الدراية ابو عبدالله ص ١٥٦، رقم ٣٢ .

محمد مبثوت ت ٦٢٥ هـ " كان من أكابر مشايخ الصوفية في وقته "(١)، ومنهم ميمون بن محمد بن عبدالحق بن أحمد ت ٦٥٦هـ (٢)، وعبد الجليل بن موسى الأوسي القصري، ت ٦٠٦، (٣) . وإبراهيم بن محمد بن خلف بن سوار بن أحمد ت ٦١٦هـ (٤)، وابو الحسن علي بن محمد الخزاجي ت ٦٦١ هـ .(٥)

ونشطت العلوم الدينية عند الموحدين نظرا لايمان الخلفاء واهتمامهم بعقيدتهم، فالخليفة يوسف بن عبدالمؤمن كان يحفظ احد الصحيحين ومن المرجح انه صحيح البخاري (٦) اما كتب الفروع فقد احرقت في عهد الخليفة المنصور، وعاد الناس مرة اخرى إلى الكتاب و السنة (٧)، وكان لهذا ان لمعت عدة اسماء عند الموحدين، الذين ذاع صيتهم في الفقه، والحديث والقراءات، إلى غير ذلك من العلوم الدينية، فمن الفقهاء ظهر ابو محمد عبدالله بن محمد عبدالسلام الهذلي ت ٥٧٤ هـ " كان فقيها عالماً متقنا كثير الانقباض والخير والدين والورع " (٨)، ومنهم ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالسلام الغساني ت ٦١٩ هـ، فإلى جانب تقدمه في علم الفقه كانت له معرفة جيدة بمختلف وجوه القراءات (٩) ومنهم ابو مروان عبدالملك ابن محمد بن عبدالملك الانصاري ت ٥٩١، (١٠).

---

(١) المصدر السابق، السفر ١ ق ٢ ص ٤٨٦، رقم ٧٥ تحق محمد بن شريفة بيروت .

(٢) الاحاطة، نصوص جديدة لم تنشر ص ٣٨، رقم ٢٦، تحق عبدالسلام شقور، المغرب ١٩٨٨ .

(٣) ابن الزبير صلة الصلة ص ٣١ رقم ٤٤،

(٤) التكملة، ج ١، ص ١٦٦، رقم ٤٣٤ .

(٥) المصدر السابق، ص ١١٩، رقم ٢٤٢ .

(٦) المعجب، ص ٢٣٨ . (٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٨ .

(٨) الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر، ص ٨٨، رقم ١٠٠ .

(٩) المصدر نفسه، ص ١٧١، رقم ١٧٦ .

(١٠) الذيل والتكملة السفر ٥، ق ٢ ص ٣٥، رقم ٨٣، الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٤، رقم ٢٤٢.

ومنهم ابو بكر محمد بن طاهر بن العامري ت ٥٥٧ هـ (١). وإلى جانب الفقه لمع كثير من المحدثين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فمن بينهم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد الفهري ت ٥٥٠ هـ الملقب بأبي هريرة لسعة حفظه للحديث، ومن مؤلفاته كتاب الأربعين حديثا" صنفه على مذاهب أهل التصوف وطرائق ذوي العبادات " (٢)، ومنهم أبو بكر بيش محمد بن علي بيش العبدري ت ٥٨٢هـ يقول عنه ابن الأبار بأنه " كان حافظا للحديث .... قلما كان يغيب عنه شئ في صحيح البخاري لحظة ... والف على صحيح البخاري تأليفين الأول سماه بالصحيح والثاني جمع الأحاديث الذي زاد مسلم في تخريجها على البخاري "(٣)، ومنهم أبو جعفر أحمد الأزدي ت قبل ٥٨٠ هـ (٤) .

وإلى جانب الفقه والحديث برع أبو محمد قاسم بن الحاج محمد بن المبارك ت ٥٥٩هـ في علم القراءات والتجويد (٥)، وعبدالله بن محمد ابن علي بن عبدالله ت ٥٩١هـ كان سكان المرية وما جاورها يزدحمون عليه في شهر رمضان لسماعه في المسجد، وعلا ذكره بالاندلس ثم استدعاه الخليفة يعقوب المنصور عنده بمراكش (٦)، ومنهم ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالسلام ت ٦١٩ هـ (٧) .

أما اللغة العربية فعلى الرغم من اعتماد ابن تومرت في نشر دعوته على البربرية، بين سكان جبال المنطقة الجنوبية للمغرب

---

(١) ملحق الاحاطة الجديدة نصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٥٢ .

(٢) الذيل والتكملة السفر ٥ ق ٢، ص ٦٧١، رقم ١٢٦٧، التكملة، ج٢، ص ٤٨٥، رقم ١٣٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ج ١، ص ٢٢٨، رقم ٦١٠، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص ١٥٦، رقم ٤٧٩، بيروت ط ١٣٤٩هـ .

(٤) الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، ص ١٧١، رقم ٢٨٣ ط ١٩٦٧ .

(٥) الذيل والتكملة السفر ٥ ق ١، ص ١٥٧، رقم ١١٤ .

(٦) التكملة ج ٢، ص ٨٢٧، رقم ٢٠٨٠ .

(٧) الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر، ص ١٧١، رقم ١٧٩ .

الأقصى البعيدين عن المدن، فقد أصبح لسانها اللسان العربي منذ فترة وجيزة، وعمت اللغة العربية معظم المناطق النائية بعد انتشار كلمة الموحدين بها، فازدهرت العلوم اللغوية أكثر في العدوتين وأمست اللغة العربية السائدة بين أوساط البربر.

فقد كان عبدالمؤمن وابنه يوسف عالمين بالنحو واللغة مجيدين لهما، ويعد محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف ت ٥٥٧ هـ من أشهر النحويين في هذه الفترة ترك تصانيف كثيرة منها "تقويم اللسان وشرح مقصورة ابن دريد ... إلى غير ذلك من المقالات الكثيرة في النحو واللغة"(١)، وبرز موسى بن عبدالرحمن بن يحيى المعروف بالحموي ت ٦٠٩ هـ " كان أستاذا في اللغة والنحو " (٢)، ومنهم ابن خروف الأديب النحوي ت ٦٠٩ هـ له عدة مؤلفات منها كتابه " شرح على كتاب سيبويه "، و"شرح لكتاب الجمل " (٣) .ومنهم أبو بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبدالملك (٤) .

ونظرا لكثرة النحويين ظهرت عدة مدارس نحوية .واستقلت كل واحدة برأيها في عدة قضايا إعرابية (٥).

وأما الأدب فإننا لو استخرجنا كل الابيات والمقاطع الشعرية من المصادر لتبين لنا أن معظم خلفاء وامراء دولة الموحدين، كانوا شعراء، أو ميالين لقرض الشعر .

---

(١) الذيل والتكملة، السفر ٦، ص ٧٠، ٧١، رقم ١٦٢، التكملة، ج ٢، ص ٦٧٥، رقم ١٧٠٩.

(٢) الإحاطة بنصوص جديدة لم تنشر، ص ٢٣، رقم ١ .

(٣) الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، ص ٨١، رقم ٢٨، تحق إبراهيم شبوح، دمشق ١٩٦٢، شجرة النور الزكية، ص ١٧٢، رقم ٥٥. جذوة الاقتباس ص ٤٨٤، رقم ٥٤٨، الذيل والتكملة، السفر ٥، ق ١ ص ٣١٩، رقم ٦٣٥.

(٤) برنامج شيوخ الرعيني، ص ٧٩، رقم ٢٧.

(٥) عبدالله كنون، النبوغ المغربي، ج١، ص ١٢٦، ط ٢ بيروت ١٩٦١.

ويذكر البيذق (١) ان ابن تومرت لما حضرته الوفاة سمع وهو بمنزله صوتا خلف الباب يقول :

كاني بهذا البيت قد باد اهله   وقد درست اعلامه ومنازله

فرد ابن تومرت :

(كَذَاكَ) (٢) أُمُورُ ٱلنَّاسِ يَبْلَى جَدِيدُهَا
وَكُلُّ فَتًى حَقًّا سَتَبْلَى (خَصَائِلُهْ) (٣)

فاجابه الهاتف :

تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلٌ   وَإِنَّكَ مَسْؤُولٌ فَمَا أَنْتَ قَائِلُهْ ؟

فرد ابن تومرت : (٤)

أَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ شَهِدْتُهُ   وَ (ذَلِكَ قَوْلٌ لَيْسَ تَخْفَى)فَضَائِلُهْ

فاجابه الهاتف :

فَخُذْ عِدَّةً لِلْمَوْتِ إِنَّكَ مَيِّتٌ   وَقَدْ أَزِفَ الأَمْرُ ٱلَّذِي أَنْتَ نَازِلُهْ

فرد ابن تومرت : (٥)

مَتَى ذَاكَ خَبِّرْنِي هُدِيتَ فَإِنَّنِي   سَأَفْعَلُ مَا قَدْ (قُلْتَ لِي) وَأُعَاجِلُهْ

فاجابه الهاتف : (٦)

تَبِيتُ ثَلاثًا بَعْدَ عِشْرِينَ لَيْلَةً   إِلَى مُنْتَهَى شَهْرٍ فَمَا أَنْتَ كَامِلُهْ

ومدح ابن تومرت تلميذه عبد المؤمن بقوله :(٧)

(تَجَمَّعَتْ) (٨) فِيكَ (أَشْيَاءٌ) (٩) خُصِصْتَ بِهَا
فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ

---

(١) اخبار المهدي بن تومرت، ص ٧٨ .

(٢) في الانيس المطرب (كذلك)

(٣) المصدرنفسه (محاسنه).

(٤) في المصدر نفسه (ذاك مقال ليس تحصى) .

(٥) في المصدر نفسه (قلته) . (٦) الانيس المطرب، ص ١٧٩، ١٨٠ .

(٧) الانيس المطرب.

(٨) في المعجب ووفيات الاعيان (تكاملت)

(٩) في المعجب (اخلاق) وفي وفيات الاعيان (اوصاف).

(اَلسِنُ) (١) ضَاحِكَةٌ وَاَلكَفُ مَانِحَـــــةٌ (٢) (٣)
(وَاَلصَدْرُ) (٤) (مُتَسِعٌ)وَاَلوَجْهُ مُنبَسِطُ

وخـرج عبدالمؤمن بصحبة وزيره ابي جعفر بن عطية إلى أحد بساتين مراكش فشاهدا جارية فقال عبدالمؤمن مرتجلا :(٥)

قَدَّت فُؤَادِي مِنَ الشُبَاكِ إِذْ نَظَرَتْ
فقال ابن عطية : حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى العُشَاقِ بِالمُقَلِ
فقال عبدالمؤمن : كَأَنَمَا لَحَظُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَـــا
فقال ابن عطية : سَيْفُ اَلمُؤَيَدِ عَبْدُ اَلمُؤْمِنِ بْنِ عَلِـــي

واورد ابـن أبـي زرع ابياتا للخليفة المامون بن يعقوب المنصور في مجزرة مراكش عام ٦٢٧ هـ يقول فيها (٦):

أَهْلُ الحَرَابَةِ وَاَلفَسَادِ مِنَ اَلوَرَى يَعْزُونَ فِي التَشْبِيهِ لِلذُكَـــارِ
فَفَسَادُهُ فِيــهِ الصَــلَاحُ لِغَيْـــرِهِ بِالقَطْعِ وَالتَعْلِيقِ فِي الأَشْجَارِ
(فَتَرَاهُمُ) (٧)ذِكْرَى إِذَا مَا أَبْصَرُوا فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأَسْوَارِ
وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاةُ أَرْبَـابِ النُهَـى وَاَلعَدْلَ مَأْلُوفُ بِكُـلِ جِـــوَارِ (٨)
لَوْ عَمَّ (حِلْمُ) (٩) اللَـهِ سَائِرَ خَلْقِـــهِ مَاكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ النَـارِ (١٠)

ومن شعراء هذه الفترة، نذكر أبا بحر صفوان بن إدريس بن إبراهيم ابـن عبدالرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي، صاحب زاد المسافر، ت٥٩٨

---

(١) في المعجب والحلل الموشية (فالسن) .

(٢) في وفيات الاعيان (النفس) .

(٣) في المعجب (منشرح) وفي وفيات الاعيان (واسعة) .

(٤) المعجب ص الحلل الموشية، ص ١١٩، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٢٣٨ .

(٥) الانيس المطرب، ص ٢٠٣، النفح، ج ٧، ص ١٨٦، شجرة النور الزكية، ص ١٣٥ .

(٦) الانيس المطـــرب، ص ٢٥٢

(٧) فـــي الحـــلل الموشـــية (ذكراهم) .

(٨) البيت ناقص في الحلل الموشية .

(٩) في المصدر نفسه ،(حكم) . (١٠) المصدر نفسه ص ١٦٦.

هـ قال عنه عبد الملك المراكشي انه كان "من جلة الادباء البلغاء ومهرة الشعراء ناقدا مدركا مفوها بليغا ممن جمع له التقدّم في النظم والشعر" (١) ومن شعره (٢) :

سَقَى مَضْرَبَ الخَيْمَاتِ مِنْ عَلَمَيْ نَجْدِ
أَسَحَّ غَمَامِي أَدْمُعِي، وَالحَيَا (الرَّعْدُ) (٣)
وَقَدْ كَانَ مِنْ دَمْعِي كِفَاءً وَإِنَّمَا
يُجَفِّفُهَا مَا بِالضُّلُوعِ مِنَ الوَقْدِ
فَإِنْ فَتَرَتْ نَارُ الضُّلُوعِ هُنَيْهَةً
فَسَوْفَ تَرَى تَفْجِيرَهُ لِلْحَيَا العَدِ"
وَإِنْ ضَنَّ (صَوْبُ) (٤) المُزْنِ يَوْمًا فَأَدْمُعِي
تَنُوبُ كَمَا نَابَ الجَمِيعُ عَنِ الفَرْدِ
وَإِنْ هَطَلاَ يَوْمًا بِسَاحَتِهَا مَعًا (٥)
فَأَرْوَاهُمَا مَا (هَبَّ مُنْشَأَ الوَدِّ) (٦)

ومنهم أبو عبدالله محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ابن مرج الكحل ت ٦٤٤، (٧) ومن شعره :

يَا نَظْرَةً أَوْدَتْ بِشَرْخِ شَبَابِي   وَقَضَى عَلَيَّ نَعِيمُهَا بِعَذَابِ
مَا كُنْتَ أَحْسَبُ نَظْرَةً مِنْ نَظْرَةٍ   تَقْضِي عَلَى مُشْتَاقِهَا بِعِقَابِ (٨)

ومنهم ابو بكر محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله بن قسوم ابن اصبغ بن إبراهيم بن المهني اللخمي ت ٦٣٩ (٩) ومن شعره :

---

(١) الذيل والتكملة، السفر ٤، ص ١٤٠، رقم ٢٦٤ .

(٢) الإحاطة نصوص جديدة لم تنشر، ص ٥٦.

(٣) في النفح، (الرغد)   (٤) في المصدر نفسه (صوب).

(٥) في المصدر نفسه (صاب من منتهى الود) .

(٦) المصدر نفسه ج٧، ص ٦٥. انظر ترجمة صفوان بن ادريس في المغرب ج٢، ص ٢٦٠، مقدمة زاد المسافر...

(٧) برنامج شيوخ الرعيني، ص ٢٠٨، رقم ١١١، الذيل والتكملة، السفر ٦، ص، ١١٠، رقم ٣٩٧، التكملة ج ٢، ص ٣٣٦.

(٨) إبراهيم بن مراد، مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها، ص ٢٢٥.

(٩) الذيل والتكملة السفر ٦ ص ٢٤٣، رقم ٧٠٥، برنامج شيوخ الرعيني، ص ٩٢، رقم ٣٤، التكملة ج ٢ رقم ٦٤٩، م ١٦٦٩.

فَضَحِكْنَا وَكَانَ الضّحكُ مِنَّا سَفَاهَةً
وَحَقَّ لَنَا أَهْلَ البَسِيطَةِ أَنْ نَبْكي
أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّنَا
سَنَحْيَا لِمُلْكٍ أَوْ سَنَحْيَا إلى هَلْكِ
هَلِ المَرْءُ إلاّ كَالزُّجَاجَةِ كُلَّمَا
تَخَلّلَهَا صَدْعٌ أُعِيدَتْ إِلَى السّبْكِ (١)

وكان لكثرة الشعر والشعراء عند الموحدين ان جمعت بعض هذه الاشعار في دواوين كثيرة نذكر منها : ديوان ابن الابار ت ٦٥٨، (٢) وديوان أبي القاسم محمد بن علي بن البراق الهمداني ت ٥٩٥هـ (٣) وديوان أبي بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم ت ٦٤٩هـ (٤) وديوان ابي العباس احمد بن علي بن عبدالملك ت ٥٧٨ (٥) وديوان ابي علي عمر بن شيخ المكرم أبي موسى (٦) وديوان ابي العباس احمد بن عبدالسلام الجراوي ت ٦٠٩، (٧)، وديوان أبي العباس احمد بن يعيش ت ٦٠٥ (٨) وديوان ابن مرج الكحل (٩) ت٦٣٤.

اما الكتب الشهيرة التي الفت خلال هذه الحقبة فيأتي على راسها الموسوعة الشهيرة التي الفها ابو الحجاج ابن يوسف الشيخ البلوي في جزئين وسماها "ألف باء" وسعى فيها لتعليم ابنه الصغير ، حيث لم يترك علما إلا تناوله، وقد تكلم فيها عن الحساب والطبيعة وعلم

---

(١) الذيل والتكملة، السفر ٦، ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر نفسه، السفر ٦، ص ٢٥٩ .

(٣) بغية الملتمس، ص ١٤٥، رقم ٢٤٥ .

(٤) الذيل والتكملة، السفر ٦ ، ص ٢٤٣، رقم ٧٠٥.

(٥) التكملة، ج١، ص ٨٠، رقم ٢١٢ .

(٦) الحلة السيراء ج٢، ص ٢٨٤.

(٧) التكملة، ج ١، ص ١٢٨، رقم ٢٢٣ .

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧، رقم ٢٥٤ .

(٩) برنامج شيوخ الرعيني، ص ٢٠٩، التكملة ج٢، ص ٦٣٦، رقم ١٦٥٦ .

الاجتماع، وعلم الأديان، والنحو، والصرف والفقه واللغة، والشعر إلى غير ذلك من المعارف الثقافية التي أوردها البلوي (١) .

وألفت في هذه الفترة مجموعة قيمة من المصادر التي تناولت الفترة التي ساد فيها حكم بني عبدالمؤمن للعدوتين، أو ألفت لأغراض دينية أخرى .

منها كتاب ابن تومرت " أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعلم العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، وأعز المطالب، وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال " (٢)، واختصر عنوان الكتاب عند طبعه فكان " أعز ما يطلب " وله أيضا مختصر صحيح مسلم (٣) و " محاذي الموطا "(٤) والجدير بالذكر أن كتاب " الامامة " و "المرشدة " ألفهما أول مرة بالبربرية ثم أعاد ترجمتهما بعد ذلك الى اللغة العربية .

وكتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، لأبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (٥) .

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب تأليف عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي ت ٦٢٥هـ (٦) وكتاب "التشوف إلى رجال التصوف "

---

(١) صلة الصلة، ص ٢١٧، رقم، ٤٢٦، ظهر الاسلام، ص ٩١، تاريخ الفكر الاندلسي، ص ١٧٩.

(٢) نشر مرتين، الاولى عام ١٩٠٣، والثانية، عام ١٩٨٥، بالجزائر .

(٣) موجود بمكتبة ابن يوسف بمراكش، تحت رقم ٤٠٣.

(٤) نشر بالجزائر عام ١٩٠٧.

(٥) نشر أول مرة عام ١٩٢٨، باريس،تحقيق بروفنصال provencal والثانية عام ١٩٧١، بالرباط، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، والثالثة عام ١٩٧٤، بالجزائر، تحقيق عبدالحميد حاجيات .

(٦) نشر أول مرة بسلا،المغرب عام ١٩٣٨، والثانية بالقاهرة، عام ١٩٤٩، وطبع مرة أخرى عام ١٩٦٣، تحقيق، محمد سعيد عريان بالقاهرة، والمرة الثالثة بدمشق عام ١٩٧٨، وهو مختصر كتاب المعجب .

لابن الزيات يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي ت ٦٢٧ ، (١) وكتاب " زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر " لصفوان بن إدريس ت٥٩٨ هـ.(٢)

وإلى جانب العلوم اللغوية والأدبية اهتم الموحدون بالعلوم التطبيقية كالحساب والهندسة ، وعلم النبات، والأعشاب، والطب .

ومن الاطباء المشهورين نذكر ابا عبدالله محمد بن سحنون الكومي الندرومي ت٦٣٤ ،، اشتغل بصناعة الطب مع الفيلسوف والطبيب ابن رشد واستدعاه الخليفة محمد الناصر (٣) فخدمه وخدم ابنه المستنصر (٤) من بعده (٥) .

ومنهم ابو بكر محمد بن علي بن احمد بن عبدالرحمن ت ٦٢٤هـ(٦)، وأبو عبدالله محمد بن الحسن بن ابراهيم، كان حيا عام ٥٩٨هـ (٧)، ومحمد بن أحمد بن عامر البلوي الطرطوشي ت ٥٥٩هـ (٨)، له كتاب

---

(١) نشر بالرباط عام ١٩٥٨.

(٢) نشر، ببيروت، عام ١٩٣٩.

(٣) هو ابو عبدالله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن لقب بالناصر لدين الله، بويع في حياة ابيه وجددت له البيعة بعد وفاة والده عام ٥٩٥ هـ، توفي عام ٦١٠ هـ، بعد معركة العقاب، انظر عنه الانيس المطرب ص ص ٢٣١-٢٤١، تاريخ الدولتين، ص ١٨،١٧. جذوة الاقتباس، ص ص ١٦٢-١٦٤ . رقم ١١٤، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ص ٢٣٦-٢٦٥، تاريخ ابن خلدون ج٦، ص ص ٥١٥-٥٢٣.

(٤) هو ابو يعقوب يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبدالمؤمن، بويع بعد وفاة والده وتوفي عام ٦٢٠، انظر عنه، الانيس المطرب، ص ص ٢٤١-٢٤٣، جذوة الاقتباس ص ٥٤٧، رقم ٦١٤، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ص ٢٦٥-٢٦٩، تاريخ ابن خلدون ج٦، ص ص ٥٢٣-٥٢٥.

(٥) عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص ٥٣٧، معجم أعلام الجزائر ص،٣٣.

(٦) التكملة، ج ١، ص ٦١٩، رقم ١٦١٨، الذيل والتكملة السفر ٦، ص ٤٣٣، رقم ١١٦٥.

(٧) التكملة ج ٢، ص ٥٦١، رقم ١٥١٣، الذيل والتكملة، السفر٦ ص ١٥٩، رقم ٤٢٧ .

(٨) التكملة، ج ٢، ص ٤٩٥، رقم ١٤٦٨، الذيل والتكملة السفر ٦، ص ٧، رقم ٧.

في الطب سماه " الشفاء " ومنهم ابو مروان عبدالله بن محمد بن عمر بن خلف الهمداني المعروف بابن قيلان ت ٦٠٩هـ، بمعركة العقاب، تفوق في صناعة الطب، وقوانينه، وكان متفوقا في علاج الناس (١) .

أما الصيدلة، وتركيب الادوية وصناعتها من الاعشاب، والعقاقير نذكر منهم ابا جعفر احمد بن السيد الغافقي ت ٥٥٩هـ له كتاب سماه الأدوية المفردة (٢) .

ومن الذين برعوا في صناعة الادوية والطب، ابو العباس احمد بن محمد المعروف بابن الرومية، ت ٦٣٤هـ له باع في صناعة الأدوية وإلى جانب ذلك كان طبيبا ماهرا، له معرفة جيدة بعلم النبات، وتمييز العشب (٣)، ومنهم يحيى بن بقي المعروف بالسلاوي " اشتغل بالطب وظهر فيه فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه " (٤) .

أما الهندسة، فبلغت اوج عظمتها عند الموحدين، والدليل على ذلك أن أحمد بن باسة الذي كشف عنه ابن صاحب الصلاة لأول مرة يعتبر من احسن المهندسين المعماريين الذين كان لهم الفضل في بناء مدينة جبل طارق مع المهندس ابن يعيش (٥) .

وبلغت العمارة الموحدية، من الدقة والفخامة إلى درجة ان ابن باسة المهندس عندما هم ببناء صومعة جامع الخيرالدا giralda حفر الاساس إلى أن بلغ مكان الماء ثم ردم البئر بالحجارة ووضع البلاط على الماء ليتاكد من قوة، وتحمل الأساس لهذا البناء العظيم (٦) .

---

(١) الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر ص ١٠٣ ، رقم ١٣١، إبن الابار ، المعجم ، ص ١٦٨، رقم ١٤٩ .

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٨٢ .

(٣) التكملة ، ص ١٢١، رقم ٣٠٤، الذيل والتكملة السفر ١ ق٢، ص ٤٨٧، رقم ٧٥٨، تحق محمد بن شريفة .

(٤) بغية الملتمس، ص ٤٩٨، رقم ١٤٦٥.

(٥) انظر مجموع رسائل موحدية ص ٩٨,٩٧، الرسالة التاسعة عشرة ، المن بالامامة ، ص ٥١، ٥٢، ص ٨٠ ، ص ١٩٠، ص ٣٨٢، ص ٣٨٥، ص ٣٩١.

(٦) المن بالامامة ، ص ٤٩١.

وعلى الرغم من أن الموحدين مالوا إلى التقشف في بداية مرحلة تأسيس الدولة، وقاموا بهدم العديد من المنشآت المرابطية نظرا لمظاهر الترف والزخرفات العديدة (١)، فقد شهدت العمارة والعلوم الهندسية تطورا ملحوظا خاصة في منبر جامع عبدالمؤمن بن علي بمراكش، الذي صنعه الحاج يعيش، وإليه يرجع الفضل في بناء مدينة جبل طارق (٢) .

أما مسجد عبدالمؤمن بن علي بمراكش، فقد كان منبره ينفتح من تلقاء نفسه، إذا صعد عليه الخطيب، أما مقصورة المسجد، فتتسع لألف شخص، وتتحرك بوساطة عجلات ثبتت في أسفلها، وترتفع المقصورة لدخول الخليفة وخروجه كل هذا يتم في هدوء تام (٣)، ويصف المقري الطريقة الميكانيكية للتابوت الذي وضع بداخله مصحف عثمان بأنه ذو باب بدفتين يفتح بمفتاح، حتى إذا فتح الباب، خرج الكرسي، ووقع عليه المصحف بطريقة آلية مركبة، ويبقى الكرسي يتحرك، فإذا عاد إلى مكانه غلق الباب تلقائيا (٤) .

ونختم قولنا عن الحركة الفكرية عند الموحدين بعلم الحساب، والرياضيات، ويأتي على رأس هؤلاء العلماء، ابو محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن الياسمين ت ٦٠٠، أو ٦٠١، هـ هو صاحب الأرجوزة المشهورة في علم الجبر (٥) .

وعبدالرحمن بن عيسى بن محمد بن الحسن بن عيسى ت ٥٥٧هـ، له معرفة كبيرة بعلم الحساب والمساحة، والتكسير (٦)، ومنهم ابو

---

(١) الانيس المطرب، ص ٦٢.

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ٩٧، الرسالة التاسعة عشرة .

(٣) الحلل الموشية، ص ١٤٥، يقول gaston deverdum بأن المصحف يحتوي على اربع صفحات بخط عثمان فقط Marakech des origines A ١٩١٢, w ١٨٠٠.

(٤) النفح، ج٢، ص ١٤٥ . Voir, ibid, p ١٧٦,١٧٧.

(٥) التكملة ج ٢، ص ٩٢٣، رقم ١٥٦ .

(٦) الاحاطة نصوص جديدة لم تنشر، ص ١٩٩، رقم ٢١٧.

العباس الفضل بن محمد بن احمد بن إسحاق ت ٥٦٤هـ (١)، ومنهم ابو عبدالله محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرحمن ت ٦١٨هـ، (٢) .

وبلغت النهضة العلمية خلال هذة الفترة اوج عظمتها، الأمر الذي جعل "هوليونساردو فيبوناتشي"Hilyonardo , fiponatchi صاحب برج بيشا piza، السفر إلى بجاية لدراسة الرياضيات على غير عادة الايطاليين، في ذلك الوقت " وتعلم الرياضيات والهندسة بالعربية والأرقام العربية، وبالكسور، والصفر الذي كان ثورة في تاريخ الرياضيات والعلوم في مدينة بجاية " (٣) .

---

(١) الذيل والتكملة السفر ٥، ق ١، ص ٥٤٠، رقم ١٠٦.

(٢) التكملة ج ٢، ص ٦٠٨، رقم ١٦٠، الذيل والتكملة السفر ٦ ، ص، ١٤٤ رقم ٣٧٣

(٣) مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة الثقافة "الجزائر " ص ٣٩، ٤٠، العدد ٩٩، عام ١٩٨٥ .

الفصل الثاني

موضوعات الرسائل الديوانية الموحدية

اعتمد الخلفاء الموحدون في نشر دعوتهم على الشعر، وأولوا النثر اهمية كبيرة لما يتضمنه من أساليب بلاغية في مخاطبة العقل، والوجدان معا.

فقد كان للرسالة الموحدية الصادرة، عن ديوان الخليفة، وديوان الأمير، وديوان القاضي، وزن ومدى في مختلف الاماكن التي وضع بنو عبدالمؤمن أيديهم عليها.

فكان الكتاب الديواني نشرة دعائية تبث من خلالها القوانين، وتعكس آراء الحكام في إصدارهم للقوانين، والتشريعات، وإذاعة الأخبار اليومية، التي تحمل إلى الأمة بشرى الانتصارات، والفتوحات، ولهذه الأسباب لم تال السلطة جهدا في البحث عن الكاتب الأنسب لهذه المهمة، فكم من كاتب "بليغ أصاب الغرض في كتابه فاغنى (صاحبه)(١) عن الكتائب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب"(٢).

فالكاتب الديواني، إن لم يكن شاهد عيان للحادثة فهي قريبة منه، واقتصر نقل الرواية على شخص، او شخصين، قبل ان تصل إليه فالرسالة الديوانية هي اقدم مصدر يجب العودة إليه لمعرفة الحادثة التاريخية كما حدثتفي الاصل.

ولا تقتصر اهمية الرسالة الديوانية الموحدية على ما تحمله من سمات فنية انفردت بها عن قرينتها في مصر والشام(٣)، بل تتعدى ذلك، إلىإلقاء الضوء على مجموعة من الحوادث التاريخية الغامضة، التي نستخلص منها قضايا الأحداث التاريخية وجملة من الجوانب الحضارية، كالجانب الإداري واهم الوظائف التي سادت عند الموحدين، وأسلوب الحكم، والطريقة التي تم بوساطتها تعيين الولاة والقضاة والعمال وقادة الجيش)إلى جانب هذا)،فهي تبرز خط سير المجال الاقتصادي، والعلاقات الخارجية مع الدول المختلفة في حالتي السلم والحرب معا.

---

(١) ناقصة في صبح الاعشى، ج١، ص ٩٨.

(٢) قانون ديوان الرسائل، ص ١٠٠، لابن الصيرفي، ط١، مصر ١٩٠٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٠.

ولم تقتصر الرسالة الديوانية الموحدية على كاتب الديوان، بل شارك الخلفاء والأمراء، في تحبيرها.

فقد بعث الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي والي سجلماسة رسالة بخط يده إلى ملك غانة، يعاتبه فيها لقطع الطريق عن تجار المغرب(١)، وكتب الخليفة المامون، رسالتين الأولى عام ٦٢٤هـ وجهها إلى الرعية، دار موضوعها، حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢)، والثانية وجهها بدورها إلى الرعية أيضا، والمتمثلة في إسقاط اسم المهدي من المراسيم الموحدية(٣).

وبعث الخليفة المرتضى(٤) رسالتين بخط يده إلى الخليفة الواثق(٥) يستعطفه، وينفي عن نفسه الاتهام الموجه إليه، حول اخفاء اموال المسلمين(٦).

وبعد دراسة هذه الكتب تبين لنا انها تدور في الغالب حول موضوعات عدة، كإعادة تقسيم طبقات الموحدين(٧) واتهام حكام المرابطين بالكفر، وحض الموحدين على جهادهم(٨) واعتداء سفن البيشيين على سفن المسلمين قرب ميناء تونس(٩).

---

(١) النفح، ج ٤، ص ١٠٤. (٢) الاحاطة، ج١، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) الحلل الموشية، ص ١٦٤، ١٦٥، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٤) هو أبو حفص عمر بن السيد اسحاق ابن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن، بويع بعد وفاة الخليفة السعيد ابن الخليفة المامون عام ٦٤٦هـ وخلع عام ٦٦٥، من طرف الواثق بالله، انظر الانيس المطرب ٢٥٨، ٢٥٩، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٨٧، تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٥٤٢، ٥٤٣.

(٥) هو أبو العلاء إدريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر بن عبد المؤمن لقب بالواثق، بويع عام ٦٥٦، وقتل عام ٦٦٧، انظر الانيس المطرب، ص ص ٢٥٩ - ٢٦١، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٤٤٧، ٤٤٨، تاريخ ابن خلدون ج ٦، ص ص ٥٤٨-٥٥١.

(٦) المصدر السابق، ص ٤٤٣.

(٧) مجموع رسائل الموحدية ص ص ٤٩ - ٥٥. الرسالة الثانية عشرة.

(٨) Documents inedits dhistoire Almohade. pp ٨-١.
Texte Arabe. أمز مايطلب ص ص ٢٥٧ - ٢٦٤

(٩) التاريخ الديلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٨٨، ص ١٩٢.

أما الموضوعات المهمة التي تناولتها الرسالة الديوانية الموحدية بالمغرب والأندلس فقد اتسمت بصورة عامة بوحدة موضوعية، بحيث نستطيع أن نضع لها عنوانا نستخلص منه محتوى الرسالة، وقد حصرنا هذه العناوين في سبعة محاور أساسية.

رسائل البيعة :-

دخل نظام الحكم عند الموحدين طورا جديدا بعد وفاة ابن تومرت مهدي الموحدين، فتحول من نظام اختياري إلى نظام وراثي، فقد عين عبدالمؤمن ابنه محمدا" وليا للعهد، ثم عدل عن ذلك قبيل وفاته فأعطاها لابنه يوسف، وهكذا، أضحى الحكم وراثيا في بني عبدالمؤمن، ولم تشذ هذه السنة مرة واحدة خلال حكمهم للأندلس والمغرب الكبير.

ونستهل هذا اللون من الرسائل ببيعة عبدالمؤمن نفسه، فمن الوفود التي وصلت إلى حضرة مراكش وفد بيعة الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم محمد بن الحاج فبعد أدائهم لمراسيم البيعة، بعث الخليفة عبدالمؤمن رسالة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية، موجهة إلى القاضي أبي القاسم يخبره فيها بوصول الوفد وأدائهم للبيعة دون أن ينسى ذكر أسماء الوفد الذي ناب عنه في البيعة، مقدرا الظروف التي حالت بينه، وبين ترأسه للوفد حيث يقول "... وقد وصلنا أخوكم الشيخ أبو محمد، وابنكم أبو الحسن، وصاحبكم الشيخ الكاتب أبو عبدالله بن زرقون أكرمهم الله بتقواه - فأدوا من حق هجرتهم البر ما قلدوه، ونالوا من خير الزيارة والبيعة ما عقدوه، ثم انصرفوا مبرورين مسرورين بما لقوه من بركة هذا الأمر الكريم، ووجدوه، وقام عذركم - وفقكم الله على ساقه فقبل، ومثل ولاؤكم نائبا عن الوصول فوصل"(١).

ومن هذا الضرب من الرسائل أيضا كتاب آخر بعث به الخليفة عبدالمؤمن بن علي من إنشاء أبي جعفر بن عطية من حضرة مراكش، المؤرخ في الثاني من صفر عام ٥٤٤هـ الموجه إلى الشيخ أبي فلان

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ٤، الرسالة الثانية.

وجماعة المشيخة بقرطبة ، دون ذكر اسم الشيخ ، حيث يقول " ... وقد وفد لنا - اكرمكم الله - اصحابكم الشيوخ ، ابو محمد ، وابو الحسن ، وابو عبدالله - وفقهم الله - فالقوا بهذه الحضرة - حرسها الله - عصا تيسارهم ، ونالوا من الزيارة المبرورة والبيعة الكريمة منتهى طلبهم واختيارهم " (١).

وفي سياق الكلام اخبر ابا فلان والمشيخة بقرطبة بوصول بيعتهم وشكرهم داعيا، وناصحا لهم بالثبوت والتقرب من الله عزوجل بهذه البشرى التي استمسكوا من خلالها بأمر ابن تومرت مهدي الموحدين.

والواضح من خلال الرسالتين أن الوفد الاول هو نفسه الوفد الثاني القادم من قرطبة ،فوفد القاضي ابي القاسم محمد بن الحاج يتكون من ثلاثة اعضاء وهم، ابو محمد، ابو الحسن، وابو عبدالله بن زرقون(٢)، والوفد الثاني يتكون من اعضاء الوفد الأول، ومن خلال ذلك نستنتج ان الشيخ ابا فلان في الرسالة الثانية هو القاضي، وابو القاسم محمد بن الحاج(٣) قاضي قرطبة في الرسالة الأولى.

بين عامي ٥٤٣، و ٥٤٤، بعث الخليفة عبدالمؤمن بن علي رسالة من حضرة مراكش إلى طلبة سبتة * يخبرهم فيها بوصول خطابهم المبشر بانتصار الموحدين بمرسى المرية ، وحصارهم مدينة مالقة **(٤). وبعدها بمدة يسيرة وصل وفد قرطبة ، وفي عام ٥٤٣، ملك الموحدون

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦، الرسالة السادسة .

(٢) انظر ترجمته في التكملة رقم ٨٢٤، شجرة النور الزكية ،ص١٥٨،رقم ٤٨٦ .

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق رقم ٧٧، و شجرة النور الزكية ، ص ١٥٢، رقم ٤٧٦ .

(*) سبتة ، من المدن المغرب الاقصى يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وتقابل جزيرة الاندلس من ناحية الشمال وقد جلب اليها الخليفة يوسف الماء عام ٥٨٠، الاستبصار ص ١٣٧، الروض المعطار، مادة (سبتة). معجم البلدان ج٣، ص ١٨٢.

(**)مالقة ، malaga ،من مدن الاندلسية ، تقع على شاطئ البحر، وهي كثيرة الديار ومن منتوجاتها التين الذي يحمل إلى مصر والشام والعراق، الروض المعطار، صفة جزيرة الاندلس، مادة (مالقة).

(٤) مجموع رسائل موحدية ، ص ص . ١ - ١٣، الرسالة الخامسة .

قرطبة ، كما ذكر ذلك ابن ابي زرع (١)، و نستنتج من ذلك أن بيعة اهل قرطبة الثانية هي تجديد عهد للبيعة الأولى، ويمكن ان نحصر تاريخ البيعة الأولى بين ١٦ من شهر ربيع الأول عام ٥٤٣هـ (٢)، وهو التاريخ الذي ذيلت به رسالة الخليفة عبدالمؤمن بن علي، وبين ١١من شهر ربيع الثاني عام ٥٤٣هـ ، أي أن المدة المحصورة بين البيعة الأولى والثانية لم تتجاوز عاما واحدا.

ومن رسائل البيعة بولاية العهد، الرسالة التي كتبها ابو جعفر بن عطية عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي برباط الفتح الموجهة إلى الطلبة بسبتة وطنجة *(٣) وجميع من بها من الموحدين، والأعيان والعامة والخاصة، يعلمهم بالقرار الذي اتخذته العشائر العربية الهلالية والقبائل المقيمة بشرق المغرب - مناطق تونس وغيرها - بتقديم محمد ابن الخليفة عبدالمؤمن بن علي وليا للعهد " .. رأينا ان نعلمكم بما عقد إخوانكم الموحدون على تقوى الله ورضوانه ... وذلك أن كثيرا من أولياء هذه الدعوة العلية وإخوانها من اشياخ الاقطار وأعيانها ... وكانت هذه العشائر العربية الهلالية، والقبائل الشرقية الصنهاجية، ومن معها من حاضرة وبادية من إقليمها ... صرحوا لأول لقائهم بما أضمروه، وابدوا سرهم المكنون واظهروه، واعلموا ان محمدا - وفقه الله هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيروه، ورغبوا في تقديمه على بلادهم"(٤)، ثم انتقل

---

(١) الانيس المطرب، ص ١٩١.

(٢) نظم الجمان، ص ص ١٥٠ - ١٦٧، documents inedits dhistoire 1mohade, PP ١٣-١٧. Texte arabe.

(*) طنجة من المدن المغربية تطل على البحر وتقابل جزيرة الاندلس من ناحية الشمال ويذكر صاحب الاستبصار في عجائب الامصار انه كانت بها قنطره على بحر الزقاق، الى ساحل جزيرة الاندلس، انظر الاستبصار، ص ١٣٨، الروض المعطار، مادة (طنجة)، المعلومات نفسها

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ص ٥٥ - ٦١، الرسالة الثالثة عشرة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧، الرسالة الثالثة عشرة.

لتوضيح النية من هذا القصد، وانه لم يكن في نيته تنصيب ابنه محمد وليا للعهد" ... وتمت بين ذلك كله على غير قصد تنويه وما نظهره منه مثل الذي ننطقه ونطويه"(١).

ويقول في الرسالة نفسها "... فاعلموا- وفقكم الله - بان ذلك ليس له في نفوسنا عقد سابق، ولا نظر لاحق، ولا طرق الضمير من ابنائه طارق"(٢).

وجاء في رسالة أخرى بعث بها إلى الأشياخ والأعيان والكافة بسبتة المؤرخة في ١٢ من ربيع الاول عام ٥٥١، "... وان ذلك لم يكن له عندنا قصدٌ متقدِّم ولا عهدٌ متوهم، لكنه امر اراده الله فاتمة "(٣)، ثم انتقل إلى الحديث عن ابي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من اصحاب المهدي العشرة المقربين ، وقد تم الاتفاق بينه وبين الخليفة عبدالمؤمن بن علي، على ان يتولى ابو حفص الحكم من بعده لكننا وجدناه عام ٥٥١هـ يقول "... وتقدَّمتهم الشيخ الأجلِّ اخونا ابو حفص عمر بن يحيى - اعزَّه الله بتقواه- فقال:هذا امرٌ نحن بتقديمه، واعلم بوجوبه، ولزومه واولى بتاميره علينا وتحكيمه، ونحن السابقون إلى مبايعته على حدود الشرع ورسومه"(٤).

وتمت بيعة السيد الأمير محمد ابن الخليفة عبدالمؤمن بان "... ابتداها الشيخ الأجل ابو حفص المذكور بيمناه وتتابع الأشياخ والطلبة ... وسائر إخوانهم المؤمنين قبيلا بعد قبيل"(٥).

لكننا وجدنا ابن الاثير يقول ضمن أحداث ٥٥١هـ إنه " في هذه السنة امر عبدالمؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده، وكان الشرط

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨، الرسالة الثالثة عشرة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩، الرسالة الثالثة عشرة.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٢، الرسالة الرابعة عشرة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٨، ٥٩، الرسالة الثالثة عشرة.

(٥) مجموع رسائل موحدية، ص ٦٠، الرسالة الثالثة عشرة.

والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلي عمر الامر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده ،أحب أن ينقل الملك إليهم ، فأحضر أمراء العرب من هلال وزغب وعدي وغيرهم إليه ووصلهم واحسن إليهم ،ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد أن نجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس إليه بعدك ففعلوا ذلك،فلم يجبهم إكراما لعمر لعلو منزلته في الموحدين وقال لهم إن الأمر لأبي حفص فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن وأجاب إلى خلع نفسه) فحينئذ بويع محمد بولاية العهد وكتب إلى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم من الأموال شيئا كثيرا (١).

ويقول ابن عذاري " تحرك ابو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش إلى مدينة سلا ليشيع كبراء العرب الوافدين عليه بالطاعة مع بعض امرائهم من إفريقية ، وفي نفسه ان يربط العهد الميمون الطاهر المصون ، فلما وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على اوفى شروطها وربوطها ، وأمر بالكتب في وصف الحال ورغبة الموحدين في البيعة المذكورة المؤذنة لهم ببسط الآمال ، وذلك من إنشاء ابن عطية "(٢).

ويقول الوزير ابن سراج." وبايع عبد المؤمن قبل وفاته ولده محمدا[*] بولاية العهد ، وكانت ولاية العهد سابقا لأبي حفص عمر ، كان من العشرة من أصحاب ابن تومرت ، وهو أكبر الموحدين فأجاب إلى خلع نفسه والبيعة لمحمد بن عبد المؤمن "(٣).

لكن قبل وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي بفترة وجيزة)خلع ابنه محمدا[*])وجعل بدلا منه ابنه يوسف، لكن هذا الأخير ، بقي مدة خمس سنوات يلقب فيها بالأمير نظرا لعدة مشاكل واجهته في الفترة الأولى من حكمه ، وفي عام ٥٦٣هـ تمت بيعته باجماع الموحدين ، وتسمى بعدها بأمير المؤمنين، وهو اللقب الذي اتخذه الخلفاء الموحدون وفي هذا

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٩، ص ٥٠.

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٤٩.

(٣) الحلل السندسية ، ج ٤ ق ٢، ص ٩٩١.

يقول ابن قنفد القسنطيني "... ولم يتسم في اوله بامير المؤمنين ولا خطب له بذلك ولا كتب في صدور كتبه العلامة لامتناع الشيخ المجاهد المقدس ابي حفص، -رحمه الله - من مبايعته حتى يختبر أمره، وكان الملك إذا الح عليه في ذلك يقول الشيخ ابو حفص لرسوله : (لا ابايعه حتى يظهر منه من الخصل الحميدة ما يستوجب به المبايعة) وبقي على ذلك نحو خمس سنين ثم استصوب الشيخ حاله وبايعه وجددت له البيعة، وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة "(١).

وفي هذا العام، وصل كتاب من حضرة مراكش إلى والي إشبيلية السيد ابي إبراهيم إسماعيل بن الخليفة عبد المؤمن بن علي، بأمر تجديد بيعة أهل الأندلس، فوجه والي إشبيلية رسالة إلى أبي عبد الله بن أبي إبراهيم والي غرناطة، يأمره بتجديد البيعة للأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي، واورد ابن صاحب الصلاة اربع رسائل تتعلق بهذا الأمر العزيز(٢).

واستهلت البيعة المباركة بأهل إشبيلية بزعامة واليهم السيد إسماعيل ابن الخليفة عبد المؤمن، وتمت البيعة ضمن الرسالة المؤرخة في منتصف شهر جمادي الثاني عام ٥٦٣هـ، ومما جاء فيها "... فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد ... على تجديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ابي يعقوب ابن أمير المؤمنين خلد الله امرهم، وأوعزهم نصرهم بالاسم المبارك الكريم الذي أول من دعا به الفاروق(٣) رضوان الله تعالى عليه، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضا اوجبه الشرع وجوب الإلزام ... فبايعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة، وعدل وعبادة، والتزمناها على اليسر والمنشط والمكره "(٤).

---

(١) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) المن، ص ص ٢٥٩-٢٦٦.

(٣) إشارة إلى لقب امير المؤمنين الذي اتخذه الخليفة الثاني يوسف بعد ان كان يلقب بالامير من قبل، وهو تنبيه الى لقب امير المؤمنين الذي اتخذه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

و مـن كـتب البيعة التي أوردها ابن صاحب الصلاة ، كتاب أهل غرناطة ، المرسل إلى الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، يحمل التاريخ نفسه الذى ذيل به كتاب أهل اشبيلية المؤرخ في منتصف جمادى الثانية عام ٥٦٤ هـ ومما ورد فيه بعد الصدر " ... اجتمعت نفوسهم (اهل غرناطة) ... ان يجددوا البيعة المباركة لسيدنا ومولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين ابي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين ... بالاسم المبارك العظيم الذي أول من له فيه عمر بن الخطاب فأقر ذلك لنفسه لقبا واسما ... جددنا الآن من بيعة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ابي يعقوب بن أمير المؤمنين ادام الله تاييدهم على الاسمية المباركة العظيمة الموسومة فرضا أوجبه الدين والإسلام وحقا اقتضاه شرع محمد نبينا عليه السلام واتباعا لما فعله أصحابه البرره الخيار الأعلام الصحابة العشرة ... اقتداء فيها ببيعة الشجرة "*(١).

ووصلت حضرة مراكش رسالة الشيخ أبي عبدالله محمد بن إبراهيم والي غرناطة تحمل التاريخ نفسه للرسالتين السابقتين - منتصف جمادى الثانية عام ٥٦٤هـ . المرسلة - بفتح السين - إلى الخليفة الجديد يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ومما جاء فيها بعد البسملة والتصلية والترضية على الإمام المعصوم المهدي المعلوم والدعاء للخليفة الجديد " ... وانه وصلني كتاب السيد الاسنى ابي ابراهيم ابن أمير المؤمنين الخليفة رضي الله عنه ومعه نسخة الكتاب المبارك العزيز المبدي من البشائر ما اربى على التكميل والتتميم ... من تجديد البيعة الكريمة والاسمية المباركة الموسومة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين، ادام الله لهم السعد والتمكين، والفتح المبين، إلى ما اعلموا فيه مما أسبل الله أثرها على الموحدين وطائفة المؤمنين من توالي الفتوح، واتصال الخير الممنوح

(*) يقصد بيعة الحديبية وبيعة ابن تومرت تحت شجرة الخروب.

(١) المن بالامامة ، ص ٢٦٢ .

وترادف الأمطار، ورخص الأسعار، ** مما يقل لذلك شكر الشاكر ، ووصف الواصف وذكر الذاكر، وعند وصول الكتاب الكريم إلى الخديم الطالع عليه بعجائب الفتوح والسرور بادرنا إلى التيمن بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا وذخر معادنا "(١).

وفي الثاني عشر من شهر شوال من العام نفسه بعث الخليفة يوسف برسالة من حضرة مراكش إلى طلبة غرناطة يعلمهم بوصول وفد البيعة إلى حضرة مراكش ، وادائهم للبيعة ، وتلمس من خلال ، رسالة الخليفة يوسف أن البيعة تتم ، إما بالمصافحة او برفع اليد اليمنى ، دلالة على قبول البيعة "... وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من غرناطة ، -حرسها الله - والموحدين وفق الله جميعهم ووقفنا عليه ، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين باغرناطة وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل التوحيد واعيانهم ، من الأمر الذي أوجبوا على انفسهم المبايعة عليه، وإعطاء صفقة اليد فيه "(٢).

وبهذه الطريقة تمت بيعة الأمير محمد قبل وفاة الخليفة عبد المؤمن "... وانعقدت البيعة المذكورة باتفاق جميعنا على الشمل والعموم ... وابتداها الشيخ الأجل ابو حفص المذكور بيمناه "(٣)، فبعد أسبوعين من وفاة الخليفة الثاني يوسف بن عبد المؤمن، بعث الخليفة الثالث يعقوب المنصور رسالة من إنشاء ابن محشرة، وجهت إلى الطلبة والموحدين، والأشياخ والأعيان والكافة بغرناطة مؤرخة في ٧ من جمادي الأول عام ٥٨٠هـ يعلمهم بتمام بيعته من طرف الموحدين والأعيان والكافة بالطريقة نفسها التي تتم من خلالها بيعة الخلفاء السابقين حيث يقول " ... وبادر الاعيان من الموحدين وغيرهم -، وفقكم الله - إلى البيعة وسارعوا، وترادف العبيد وتتابعوا واعطى

(**) اشارة الى كثرة الخيرات ايام الخليفة يوسف.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٢) المن بالامامة، ص ٢٦٥.

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ٦٠، الرسالة الثالثة عشرة.

الجميع مفقة أيديهم بإخلاص من سرائرهم وبايعوا، والتزموا فروض البيعة بشروطها وقيودها ... وبايعونا على ما بويع عليه الإمام المعصوم المهدي المعلوم، وخليفته سيدنا الامام أمير المؤمنين - رضي الله عنهما - وسيدنا الإمام أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين "(١).

ثم انتقل إلى الحديث عن الهدف الأساسي الذي كتبت من أجله الرسالة، وهو انتظار بيعة أهل غرناطة "... ورأينا - وبالله التوفيق - أن نعرفكم بهذا الأمر الأعظم الأخطر لتاخذوا منه بالحظ الأوفر ... ولتدخلوا بالانتظام في سلكه مداخل طائفته المفلحة وحزبه المظفر، فتلقوا وافده الأكرم، بالقبول سمعا وطاعة، وانشروا نبأه الأفخم. في جهاتكم وجنباتكم إشادة وإشاعة، وخذوا عهده المؤكد الألزم على كافة أهل حواضركم وبواديكم فئة فئة وجماعة جماعة "(٢).

واللافت للانتباه أن الكاتب استهل الرسالة بقوله " ... من الأمير يعقوب ابن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين " (٣)، ونستنتج من هذا أن الخليفة الجديد لم يلقب بعد بأمير المؤمنين، ويحلل بروفنصال هذه القضية بقوله : إن الكتاب أرسل بعد أسبوعين من وفاة الخليفة يوسف، وتمت بيعة الخليفة الجديد من طرف الموحدين والقبائل العربية كما هو ظاهر أعلاه وينتظر يوم الجمعة حتى تتم البيعة العامة أمام جمهور المصلين بالمسجد ويتخذ بعدها لقب أمير المؤمنين كما هي العادة السائدة عند الموحدين (٤).

وبعد وفاة الخليفة الخامس المستنصر بالله بن محمد الناصر ابن يعقوب المنصور بن يوسف الشهيد بن عبدالمؤمن بن علي الكومي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٢، الرسالة السابعة والعشرون.

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ١٦٣، الرسالة السابعة والعشرون.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٨، الرسالة نفسها.

(4) Un receueil de lettres officielles almohade p ٥٦.

الندرومي ، بايع أشياخ الموحدين كرها الخليفة الجديد عبدالواحد وذلك في ضحى يوم الأحد ١٢ من ذي الحجة عام ٦٢٠هـ بحضرة مراكش على حد قول ابن ابي زرع (١) ، لكن الخليفة الجديد خلع بعد ثمانية اشهر وخمسة أيام (٢) أو ستة أيام عند ابن عذاري (٣) وعندها عرف الخليفة الجديد بعبد الواحد المخلوع ، ومن المعلوم ان حادثة الخلع وقعت لأول مرة في تاريخ الموحدين ، لكن بعد بيعته بأيام قليلة وجدنا السيد أبا زيد والي بلنسية يبعث برسالة إلى حضرة مراكش يبايع من خلالها الخليفة السادس عبدالواحد (٤) حيث يقول " .. ولما هبت عيون البشائر عن نومها وتشرفت خطبة الجمعة إلى الدعاء لأيام المخصوصين بيومها، وعلم العبد أن الترغيب في المسارعة إلى الخير حكم من أحكام الشريعة وقصد موالي نيل الثواب من اكرم ذريعة . وأن خير هذه البيعة السعيدة قد تعين إعلانه وإبداره وفرضها من قبيل ما يجب في أوائل الوقت أداؤه الزمها نفسه ... ودعا الناس إليها فاقبلوا مطيعين إلى الداعي مسرورين بعقد اسم التقوى"(٥).

وختمها بالدعاء للخليفة الجديد سادس خلفاء الموحدين" ... ربنا إنك تعلم ما نخفي وهو اعتقاد الطاعة وما نعلن وهو الشكر جهد الاستطاعة ، فاحفظ اللهم إمامنا المرتضى بما حفظت به الائمة الذين بالحق قضوا)وعلى إظهاره مضوا وإلى رحمتك ورضوانك افضوا، اللهم امتعه بعوارفك الجسام، واقسم له من إسعادك وتوفيقك أفضل الاقسام،

---

(١) الانيس المطرب، ص ٢٤٣،

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٩.

(٤) هو ابو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبدالمؤمن، بايعه اشياخ الموحدين على كره منه عام ٦٢٠هـ وهو في سن الشيخوخة ثم خلع بعد ثمانية اشهر من بيعته. الانيس المطرب، ص ٢٤٣،٢٤٤، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٩، ٢٧٠، تاريخ ابن خلدون ج ٦، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٥) مخطوط جائزة الحسن الثاني، ورقة ٤ أ الخزانة العامة الرباط، رقم، د ٤٥٠٢.

واجعل زماننا به واثق العلاقة والابتسام، وانصره على اعدائك الكافرين بما قلدته من الماضيين الرأي والسلام)آمين آمين آمين والحمدالله رب العالمين" (١)

تقاديم الولاة وقادة العسكر والقضاة :-

لاحظنا ان رسائل التقاديم المتوافرة لدينا إلى الآن تنحصر بين عهد الخليفة المامون وعهد الخليفة المترضى، وقد وردت كلها بمخطوط الخزانة الحسنية المبتور البداية والنهاية لجامع مجهول (١) ـ باستثناء رسالة واحدة صادرة عن ديوان الخليفة المستنصر ابن الخليفة محمد الناصر ، ومعظم هذه التقاديم لا نعرف من اي منطقة صدرت أو لأي ناحية من نواحي البلاد الموحدية وجهت باستثناء بعض منها وهو قليل جدا وهي الصادرة من العدوة الاندلسية والموجهة إلى إحدى مناطقها .

و نستهل هذا الصنف من الرسائل بكتاب الخليفة المستنصر ابن الخليفة محمد الناصر إلى جماعة الموحدين بإشبيلية ، المؤرخ في الحادي و العشرين من شهر رمضان عام ٦١٢ هـ، يخبرهم بان مدينتهم تحظى عنده بمنزلة خاصة،و ان مصالحها مقدمه على جميع المصالح، و مهما بعدت المسافات فهي لا تغيب عنه "...فإذا وزنت الوسائل كانت

---

(١) مخطوط جائزة الحسن الثاني، ورقة ٤ ب، الخزانة العامة رقم د ٤٥٠٢، عام ١٩٨١.

(٢) يقول جامع هذه الرسالة في الورقة ٧ من مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢." انتهى ما في اثناء المجموع من المكتتب في تقاديم الولاة على البلاد، واقرار من فيه المصلحة لسد الثغور ولضبطها من القواد، وما الفيت انا من هذه التقاديم مما لم يكن في المجموع، ولم تتحصل في ذلك الموضوع، ما اثبته إن شاء الله مع هذه ليكون بها متصلا وبها مكملا، حتى تتساوى انسياقا وترتبط مساقا، وتلتئم انتظاما واتساقا لتختص هذه التقاديم بمكانها، وتتبين ببيانها، وتجري في التماثل مماقي مثانيها، ثم ملء بعد ذلك بتقاديم القضاة معاني المجموع ومما وجدته في غيره لتنحصر القاب كما اردته، وتتحصل فائدة ما اردته، وآتي بعد ذلك بالصكوك والظواهر، وغيرهما مما لم ترتبط في هذه الفنون ولا تدخل في هذه العيون وتكون منحازة وحدها، ومعطاة ما عندها، حتى لا يقع في الكتاب غلط، ويكون بعضه ببعض مرتبط، وان وجدت شيئا بعد تمام هذا القصد من هذه الانواع، وحصلت على امتاع هذا المتاع، فاورده ان شاء الله شاملا واطلعه هلالا كاملا."

وسائلها أرجح، و إذا عرضت الأمور الجلايل كانت أمورها أسمى و انجح". (١)

فبعد وفاة السيد أبي اسحاق والي إشبيلية، ابن الخليفة يوسف قدم الخليفة المستنصر واليا جديدا، وهو أبو إسحاق ابن الخليفة المنصور حيث يقول "... وقد بلغنا ما كان من وفاة الشيخ الأجل الاثر لدينا أبي اسحاق ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين رحمه الله وكرم منقلبه ومأواه"(٢).

وانتقل بعدها ليعرف أهل إشبيلية بخلقه ومحاسنه وأمانته وتقواه فيقول : "... فلقد كان الأمين الغيب البعيد ورعه والمنزع الذي كان ينزعه من الريب، وكان لأهل إشبيلية إليه المتاب الذي رفعته السنون وأنسي به الأباء والبنون فإنا لله على ذهابه وإنا إليه راجعون "(٣) وانتم احق الناس أن تعزوا به كل البعاد، وتونسوا بعده لما كان بينكم وبينه من الوداد، أن يكون لكم من نظرنا ما تستقبلون به الزمان جديدا"(٤) .

ويتضح من خلال الرسالة، أن الخليفة المستنصر، بعث هذه الرسالة، وتحرك بعدها الوالي من مراكش، قاصدا إشبيلية "... وقد عينا لكم من تعرفون إيالته الحميدة، وطريقته المرضية السديدة الشيخ الأجل الأعز الأسنى الأثير الأفضل أبا اسحاق ابن سيدنا الإمام المنصور أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين ابن سيدنا الإمام أمير المؤمنين جعل الله مقدمه عليكم سعيدا وعرفكم به نموا على كل ماعهدتم من الخير ومزيدا، فارتقبوا قدومه عليكم فلن يكون بحول الله بعيدا"(٥).

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٧٠.

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٧٠.

(٣) اقتباس من الآية ١٧١ من سورة البقرة (ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ).

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٧٠. (٥) المصدر نفسه، ورقة ٧٠.

لقد مربنا ، ان الخليفة عبد المؤمن بن علي جعل ابناءه ولاة على البلاد لكن اتضح لنا انه خلال الفترة الأخيرة لعهد الموحدين، أصبح الخليفة ، يقدم ولاة ، من غير أبناء الخلفاء ، وهؤلاء الولاة هم في غالب الأحيان من الذين بايعوا الخلفاء وخدموهم وضحوا في سبيل خدمة الدولة ، ويأتي في درجة اقل من درجة الوالي، العامل الموحدي وهو يعين عادة لضبط أمور المخازن التي تتعلق بالناحية المالية ونجد في رسالة ديوانية موحدية قدم فيها الخليفة عاملا لإدارة شؤون المخازن وأضاف إليه أشغالا' مصلحية أخرى، وهي فيما يبدو المهام الأمنية لضبط أمور الرعية ، في منطقة من مناطق الأندلس الخاضعة لحكم الموحدين، حيث يقول قدمناه "... للنظر في أشغالكم المصلحة وأعمالكم المخزنية ... وهو من له في أشياخ الموحدين - أعزهم الله - البيت الكبير والمنصب الشهير والمكان الأثير مع ما تميزت به ذاته من مشكور الخلال ومستحسن الأحوال والاتصاف بالسماح والاعتدال" (١)

وكلف الخليفة العامل المقدم ، ان يضبط العمل في المنطقة التي عين عليها ، وان " ... يستوفي الحقوق ويستوعبها ويلتزم النصيحة ويستصحبها ،ويشتد في حسم أدوار الشر والفساد ، ويستعمل الرفق واللين حيث يستغني عن الاشتداد" (٢).

وعين الخليفة عاملا آخر بقوله " ... وقد عينا فلانا ليتولى أموركم المصلحية ،وأشغالكم المخزنية ، بعد ان جان في ما يتصرف فيه جده واجتهاده ووافق السداد اصراره" (٣).

والزمه بضبط أمور المخازن،فخاطب اهل المنطقة المقدم عليها بقوله : "... وأكدنا عليه في استخراج الواجبات المخزنية واحتضانها،والطلب لكل من تعينت عليه بادائها ،والتشمير عن ساعد الانتهاض في استيعابها واستيفائها،وان يجري في رفع المظالم وإزالة

---

(١) مخطوط الخزانة الحسنية ، رقم ٤٧٥٢، ورقة ١٨.

(٢) المصدر نفسه ورقة ١٨. (٣) المصدر نفسه ورقة ١٨.

المحدثات على اتم ما نامر به كل من نستعمله ويقف مع الحق الواضح في ما يقوله ويفعله "(١).

وفي رسالة اخرى قدم الخليفة عاملا آخر بعد ان استخار الله عزوجل حيث يقول "... قدمنا لجميع اشغالكم المملحية، وكافة اعمالكم المخزنية فلانا وهو الجليل في الموحدين مقداره الأصيل عقله ورايه واعتباره، المختار لتوليكم بما ادى إليه اختياره (٢)

ثم قدم له النصائح المعهودة،وأسند اليه المهام التي كلفه بها في قوله "... ووصيناه بتقوى الله تعالى وهي وصية الله الجامعة للعباد والذخيرة الناقصة للمعاد، والتي سماها الله خير الزاد وامرناه ان يلتزم العدل الذي أمر الله تعالى بالزامه وان يعمل في استفاء اشد اعتزامه، وان يقضي الواجبات المخزنية غير مسامح منها "(٣).

ومن رسائل تقاديم الولاة الرسالة التي بعثها السيد ابو العلاء ادريس المامون من قرطبة،والموجهة إلى أهل فلانة،وذلك قبل توليه الخلافة، إذ وردت الرسالة في عهد الخليفة يحيى المعتصم "... وقد علمتم - أكرمكم الله - ان أخص المصالح بمكانكم،واعودها بالأمر والدعة عليكم في كل احيانكم تخير وال يتقلد اشغالكم، ويتفقد احوالكم،ويريكم من حسن تصرفاته ما تستقبلون به الزمن جديدا ويجريكم في كل محاولاته على ما تقدمون معه تمهيدا،ولا تفقدون نظرا سديدا "(٤).

ثم قدم لهم الوالي الجديد وبين لهم صفاته الحميدة في قوله "... وإن الشيخ أبا فلان ادام الله كرامته ممن جمع أوصاف

---

(١) المصدر نفسه ورقة ١٩.

(٢) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢، ورقة ٢٠.

(٣) المصدر نفسه ورقة ٢٠.

(٤) المصدر نفسه ورقة ٨.

الاستقلال واستظهر باكرم الشيم واحسن الخلال ووثق منه بالاضطلاع فيما اسند إليه من الاشغال "(١).

ثم عرف اهل تلك المنطقة التي عين عليها الوالي بانه لم يقدم لهذه المهمة إلا " ... بعد اختياره واختباره وانهض للاستبداد لاموركم حين الثقة بحسن ايراده وإصداره "(٢).

وبعد ان ذكر لهم المهام التي كلف بها، قدم له الوصية التي حمله إياها فيقول "... وقد وصيناه بتقوى الله فيما اسندناه إليه وقصدناه من مهماتكم عليه واوزعنا إليه أن يسلك في تسديد مناحيكم وتشريد أهل الفساد عن نواحيكم، السنن التي تصلح بسلوكه احوالكم، وتنبسط به في الامر مالكم، وتتمشى معه على الجادة اقوالكم وأعمالكم، والزمناه أن يكون لأموركم كلها متفقدا ولا يهمل نظرة جهة من جهاتكم "(٣).

ولما انتهى من كلامه عن الوالي، انتقل إلى الرعية، فحدد لهم الواجبات التي الزموا بها نحوه، حتى تكتمل الصورة التي ينتظرها ابو العلاء ادريس المامون من الوالي والرعية حيث يقول "... وعليكم بمعونته في تنفيذ الحق وإمضائه ومعاضدته في استيفاء الواجب، واقتضائه والعلم بان النبيه والخامل في الشرع شرع سواء وصنف واحد وان الحق تستوي في حلوه ومره الانحاء الدينية والمقاصد، ومتى كانت المحاولات جارية على هذا الاسلوب، انتصف الضعيف من القوي، وسار الشريف والمشروف على السنن السوي ' (٤).

وضمن كتب التقاديم رسائل عديدة لإعادة الولاة والقضاة إلى مناصبهم، بعد ان ابعدوا عنها أو اسندت إليهم مهام اخرى، لكننا لم نقف على أي إشارة تنير لنا سبب إزالتهم او تكليفهم بمهام اخرى .

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٨.   (٢) المصدر نفسه ورقة ٨.

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨.

(٤) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٨٥٢، ورقة ٨.

ومن كتب تقاديم الولاة نجد رسالة في عهد الخليفة المرتضى امتازت بإعادة وال إلى منصبه القديم، وهذه الرسالة لا تختلف في مجملها عن قرائنها من الرسائل السابقة - التقاديم - حيث استهلها الكاتب كعادة التقاديم السابقة واللاحقة بمخاطبة أهل المنطقة التي قدم عليها الوالي، وهي غير محددة بالضبط إذ يقول " ... وأن تعلموا أنا نعتمدكم بالنظر الضابط لأموركم، وتصرف عنان الاعتناء لما فيه صلاح خاصتكم وجمهوركم ونتعهدكم من جميل النظر"(١).

ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي الذي كتبت الرسالة من أجله فيقول "... وقد رأينا ،والله تعالى يسدد الرأي الذي نراه ويعرف اليمن في ما نتوخاه، أن نعيد إليكم أبا فلان ليتولى النظر على ما كان عليه في أموركم المصلحية والمخزنية ويجزيكم في كل أحوالكم على الجادة السويه وهو ممن الفتم قبل جواره وعرفتم إيراده فيكم وإصداره " (٢).

ثم أسدى له مجموعة من النصائح وعرفه بالمهام التي كلف بها وهي "... تقوى الله تعالى في كل ما يتولاه وأن يراقبه سبحانه في سره ونجواه وأمرناه أن يشتد على أهل الفساد، حتى ينقطع إضرارهم، أو تحسن بمراجعة السداد آثارهم، وأن تكون محاولاته كلها جارية على سنن الحق المستبين وتناولاته غير عادلة عن العدل الذي يميزانه أرجح الموازين وأن يجتهد في ما سندناه إليه اجتهادا مبنيا على راسخ من الدين "(٣) .

وختمها على نمط الرسائل السابقة بمخاطبة الجمهور، وهم سكان المنطقة التي قدم عليها الوالي فيقول "... فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانتظموا عليه واستمروا إليه، وكونوا معه يدا

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥١.

(٢) المصدر نفسه ورقة ٥١.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢، ورقة ٥١.

واحدة في كل ما يصلحكم ويحمي جهاتكم (١).

والملاحظ أن كل تقاديم الولاة ترسل الى المنطقة التي عين عليها الوالي او القاضي،او قائد العسكر، قبل أن يصل إلى المنطقة التي عين عليها، فهي بذلك إشعار المنطقة المعنية بقرار الخليفة واستعدادهم لاستقبال الوافد الجديد.

ونختم هذا الصنف من التقاديم بلون مختلف من كتب التعيينات الاخرى المرسلة إلى الرعية في مختلف الولايات الأندلسية، واتضح لنا من خلال هذا الصنف من تقاديم الولاة، أن الخليفة في كثير من الاحيان يقدم مجموعة كبيرة من الولاة بمختلف الجهات الاندلسية دفعة واحدة . لكنه ترك ابا عبدالله بمنصبه، بناء على أسبقيته في مبايعة الخليفة)وبذله قصارى جهده في خدمته وتسوية أمور الخليفة بولايته فتحمل الوالي بعد فترة على امتيازات إضافية ومهام اخرى انفرد بها في إدارة الرعية بتلك الجهة "... ونحيطكم بما يتقاضاه لكم حسن طاعتكم من تمشية العدل فيكم والإحسان، وواليكم المخاطب الآن معكم الشيخ أبو عبدالله ... وهو كما تعلمون السابق هنالكم إلى إظهار دعوتنا والصادق ... لعقد بيعتنا والباذل اقصى جهده واجتهاد عن خلوص من نيته وصفاء من اعتقاده في انواع خدمتنا ولهذا وقف الاختيار عليه في أن ينفرد بتولي اشغالكم، وتعرف له من حسن الآثار ما أوجب الاستنامة له في القليل والكثير من ذلكم وما زلنا نستعلم منه في تناولاته وكافة تصرفاته ما نزداد به اغتباطا ...وأوجبنا له الاثرة التي لا نوجبها إلا للخلصاء الأصفياء والنصحاء الصرحاء "(٢)

لكن على الرغم من المنزلة الرفيعة التي حظي بها من قبل الخليفة، فإن أمير المؤمنين لن يتسامح معه إذا لاحظ عليه اي تقلب في عمله الذي كلف به حيث يقول :... فإن أرجف بغير ذلكم مرجف فقد

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥١.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٥٠.

اعظم الافتراء وأساء الاجتراء وعدّ عن مذهبنا السديد، وتعرض للعقاب الشديد، فلسنا نسامح من يفوه في اثر خدماتنا بالبهتان ولا نقبل له عثرة تحله محل المذال المهان "(١) .

ومن رسائل تقاديم قادة العسكر الكتاب المرسل إلى جهة معينة من بلاد الموحدين، بدون تحديد للمنطقة بالضبط، يستهلها الخليفة كعادة رسائل التقاديم بالدعاء لأهل الجهة المعنية من بلاد الموحدين ويذكر لهم بان جهتهم مخصوصة بعناية بظاهرها وباطنها، وهو يبذل قصارى جهده في عناية مصالحها ولهذا فهو يختار لها من احسن قادة العسكر لديه لرعاية مصالحها، ولم يعين قائد العسكر المذكور على ناحية واحدة فقط، بل اسند إليه مناطق اخرى مجاورة لها " ... وهو المعروف في حزب التوحيد منصبا ، ونسبة، والمقدم في الأولياء والظهراء مكانا ورتبة، ونحن نشكر له غناء حميدا قدمه في كثير من المواقف ورايا سديدا اعمله في المحاولات إعمال المجرب العارف، ولذلكم اخترناه لقود العساكر، وطلب العدو، والغادر، وقلدناه البلاد هنا لكم ليؤمن خائفها ويدفع عنها مخاوفها، ويسد ثغورها ويسكن مذعورها ويحسم بالسيف ادواءها، وسيتأصل مردتها واعدادها)ويعيدها بحول الله وقوته إلى امنتها وهدوئها "(٢) .

ويبدو من خلال الرسالة ان هذه المنطقة من بلاد الاندلس شهدت اضطرابا نتيجة لغزو الإفرنج وكادت تخرج من يد الموحدين فارسل الخليفة قائد العسكر ليضبط امرها ويهدئ من روع سكانها .

وفي تقديم آخر يقول "... وقد اقتضى نظرنا تقديم فلان - وصل الله رزقه وانجاده - على البلاد كلها وإقامة شغلها ومصالحها ... وتامين غاديها ورائحها، فكونوا معه مع كافة من لديه من العساكر يدا واحدة في دفاع أهل البغي والعناد واستئصال اول الشر والفساد " (٣) .

---

(١) مخطوط الخزانة الحسنية، ورقة ١٧٥٢، ورقة ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٦. (٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٨.

لقد بدانا هذه التقاديم برسالة الخليفة المستنصر بعد معركة العقاب، اثناء تقديمه للسيد ابي اسحاق ابن الخليفة المنصور واليا على إشبيلية ، ثم حصرنا التقاديم الأخرى بين عهد الخليفة المأمون، والمرتضى والفترة بينهما تزيد على خمسين عاما بحيث لم نقف على رسالة ديوانية واحدة عين فيها وال او قاض، او قائد عسكر ، او عامل من طرف شخص آخر ، فهذه المهمة مرتبطة بمهام الخليفة وحده ، ولم ينس الخليفة في كل مرة ان ينصح الولاة والقضاة وقادة العسكر الا يعدلوا عن الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ويختم الرسالة في كل مرة على نمط واحد ، وهي تقديم الوصية لأهل المنطقة التي عين عليها المقدم .

وفي رسالة اخرى أمر الخليفة قائد العسكر المعين على المنطقة التي ارسل إليها "... ان يحسم ادوار الشر والفساد وان يعمل في قمع أولى الاعتماء ، والبغي كل الاشتداد ، حتى ينسحب للامان على تلك الأرجاء ظل وارف ويرتدع عاد ويأمن خائف وتجري الأمور كلها هنا لكم على قوانين هذا الأمر العلي من ضبط للانتشارها ، وتسري سواري العافية والأمانة في اسحاب تلكم الجهات وانوارها ، وترتفع عن الطرق المسلوكة هناكم ماعاق السيارة قبل تسيارها وترتدع الشرار عما اعتادت شرها وإضرارها "(١).

فالخليفة المأمون قدم قاضيا وأرسل كتابا إلى أهل المنطقة التي قدم عليها بقوله : "... ورأينا بعد استخارة الله تعالى أن نقدم للقضاء في شريش نوازلكم وتولي النظر في المدن من مسائلكم فلانا ، وله المنصب الشهير والمحل في الدين الاثير وعلى ذكائه واتقائه تتفق الجماهير "(٢) ، ولم يكتف بكل هذا بل قال "... وصيناه بتقوى الله وهي آس الخير كله وإليها يستند المؤمن في عقده وحله وامرناه بالاستظهار في أحكامه بكتاب الله وسنة رسوله

---

(١) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤١.

(٢) مخطوط الخزانة الحسنية ، ورقة ٦١.

والاعتماد عليها في مقوله، ومفعوله، والتخير للشهداء والمسددين فهم عمدة تاسيسه للقضا وتاصيله، وأوعزنا إليه أن ينزل الناس منازلهم مالم يعرض من حكم شرعي فعليه اعتبار الشرع والالقاء بالبصر والسمع، فلا مزية لأحد على احد في الحق والواجب، ولا معتبر في إمضاء الحكم وإنفاذه للمناصب "(١) .

وهذا ما يؤكد ان الولاة لم يكن لهم دور في تعيين القضاة، وهذه المهمة كانت منوطة بالخليفة وحده (٢) .

وفي رسالة تقديم قاض آخر تقول الخليفة :"... ولما كانت الأحكام الشرعية احق ما قدم احكامه، وحفظها بجميل الاعتناء نظامه لانها القطب الذي تدور عليه مصالح الأمة والملجا الذي يفزع إليه بالأمور المهمة لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال ونحمد منه المناحي، والخلال باذلين اقصى الوسع في الانتقاء موثرين من اجتمعت فيه أوصاف الذكاء والنقاء، وبحسب هذا النظر قدمنا فلانا للفصل في نوازلكم والقضاء والإنفاذ للحق في مسائلكم والامضاء بعد أن قرر تاهليه وعزي إليه احسن الوصف واجمله وذكر باستقامته وسداد قوله وعمله "(٣) .

ولكن مع توافر كل هذه الشروط والخصال الحميدة في القاضي، فإن الخليفة لم يكتف بها بل أسدى إليه مجموعة من النصائح فيقول " حيث يقول .... عهدنا إليه بان يكون تقوى الله سبحانه أول ما يبدئه والعمل بمقتضى الكتاب والسنة اكسد ما يلزمه وأن يراقب عالم الغيب والشهادة في ما ينقضه ويبرمه وامرناه ان لايعدل عن سنن السلف الصالح في شيء من أحكامه وأن لا يورد ولا يصدر عن تحقيق

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦١.

(٢) انظر مصر المرابطين الموحدين ج ٢، ص ٦٢٨، وقارن في تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢ ورقة ٦٢.

يستفيد من تثبته وتردد استفهامه "(١).

وفي غرة ذي القعدة عام ٦٣٦هـ وجدنا الخليفة الرشيد(٢) ابن الخليفة المأمون يعين قاضيا لمنصبه على شريش فيقول : " ... والآن قدمنا فلانا لخطة القضاء بينكم والفصل وابراء نوازلكم الشرعية، على قانون النصفة والعدل، وقد تردد فيكم استعماله وتقرر اضطلاعه واستقلاله وتميزت بالنباهة والنزاهة خلاله وهو موصى بتقوى الله ومراقبة امره والتزام الخيفة له في سره وجهره وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة "(٣) .

وفي إعادة قاض في منتصف شوال عام اربعين وستمائة قال الخليفة المعتضد (٤)"... اعدنا الآن إلى تولي أحكامكم الشرعية، وتقلد النظر في نوازلكم الدينية، فلان إعادة تفرده بالفصل بينكم والقضاء، وتشهد بما تأكد لدينا من موجبات التاهيل... فهو ممن تميز بالحزم الحديثة بالخدم، وتبين سلوكه على تردد استعماله في هذه الخطة للطرق الواضحة والسبل القويمة، وقد تقدم إليه بالوصية الأكيدة في أن يكون على تقوى الله تعالى مداره، وأن لا يعمل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجماع الأمة "(٥).

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٦٢، ٦٣.

(٢) هو ابو محمد عبدالواحد بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن، بويع عام ٦٣٣، وفي عام ٦٣٥، تمت بيعته الثانية، وتوفي عام ٦٤٠، انظر الانيس المطرب، ص ٢٥٤، ٢٥٥، البيان المغرب، (قسم الموحدين)ص ٣٠٢، ٣٠٣، تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٥٣٢، ٥٣٣.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية ،رقم ٤٧٥٢ ورقة ٧١ .

(٤) هو ابو الحسن علي بن ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن الملقب بالسعيد بويع بعد وفاة الخليفة الرشيد عام ٦٤٠هـ، وتوفي عام ٦٤٦هـ، انظر، الانيس المطرب، ص ٢٥٦، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٥٩، ٣٦٠، تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٥٣٨، ٥٣٩.

(٥) مخطوط الخزانة الحسنية ،رقم ٤٧٥٢ ورقة ٨١ .

أما الشهود والمساعدون، فقد أوصى الخليفة المأمون القاضي"...أن لايقدم الا من وثق بحديثه ومعرفته وكان على يقين من ذكاء مفتته وان يتخير الشهود، فلا يقبل إلا العدل المتفق عليه ولا يعمل من الشهادات إلا مالا يتطرق الجرح إليه...، فقد يخفي من احوال الشاهد في وقت ما يبين بعده وقد يلوح مع التفقد مالا يوجب بعد القبول رده "(١) .

وأوصى الخليفة الرشيد قاضيه المقدم على شريش بقوله"... ان لا يستعمل من النواب والشهود إلا من تنزه من الاتهام واتصف من موجبات القبول "(٢) .

واوصى الخليفة السعيد قاضية بقوله "... أن لا يستعمل من النواب عنه إلا الاذكياء الذين يحسن لهم اختياره. والشهود هم مستند الحكم فيما يمضيه أو يتوقف فيه فليقدم انتقادهم جهده، ولا يقبل منهم إلا من صحت عدالته عنده " (٣) .

- رسائل الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر -

لم يقم ابن تومرت آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكرمع أول لقائه بأخت أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، كما رأينا سابقا، بل كان ذلك اثناء وجوده بمكة المكرمة كما يذكر ذلك ابن خلكان (٤)، فقد أعلن ثورته على الأوضاع السائدة هناك، فبينما كان الصليبيون ينتهكون المقدسات الاسلامية ببلاد الشام انغمس حكام الدولة الفاطمية في ملذات الترف واللهو (٥)،وكان نتيجة لهذه الثورة ان ابعد من مكة المكرمة، فتوجه نحو مصر حيث أصبح له واحد وخمسون رجلا من أتباعه (٦) فحدث له الشيء نفسه، فطرد من القاهرة .

---

(١) مخطوط الخزانة الحسنية، ورقة ٦٣ . (٢) المصدر نفسه ورقة ٧٥.

(٣) المصدر نفسه ورقة ٨١. (٤) وفيات الاعيان، ج٥، ص ٤٣ .

(٥) سلامة محمد سلمان الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية ص ٩٩، مكة المكرمة
(٦) المعجب، ص ٢٤٦ .
(١) هو ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة ولد بطرطوش عام ٤٥١، ودرس بها وبسرقسطة، له رحلة الى المشرق واستقر بالاسكندرية ،توفي عام ٥٢٠هـ، هامش ٣، نظم الجمان، ص ٣٨.

ويذكر ابن القطان ان مهدي الموحدين محمد بن تومرت توجه شطر الإسكندرية فشاهد فيها كثرة المناكر " فغيرها واغلظ في أمرها فقامت عليه العامة والغوغاء فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي (١) ... فلما افتقده الطرطوشي بحث عنه ... وساله عن سبب غيبته عن مجلسه ... فعرفه بشأن أولئك الغوغاء وانه يريد الاياب الى المغرب (١) .

وعلى الرغم من المتاعب التي واجهته لم يحد عن رايه بل نهض مرة اخرى آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، فبمجرد ركوبه السفينة التي نقلته من الإسكندرية إلى المغرب أراق دنان الخمر التي كانت بها، وامر ركابها بأداء الصلاة (٢) .

إلى ان وصل مراكش والتقى بأخت امير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين، فمن هنا كانت البداية وبمسجد مومعة الطوب كان اللقاء باخيها امير المسلمين فوعظه وارشده ونهاه .

يقول الفردبل(٣): " إن حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي اتخذها دائما في بلاد الإسلام دعاة الحماسة الدينية وأصحاب الدعوة إلى الإصلاح لكن أحدا لم يبلغ ابن تومرت في القيام بالدعوة بهذه الحماسة والجراة واختيار المناسبة ولا في اتخاذ ذلك وسيلة بارعة للتمهيد للكفاح ضد حكومة العصر وللجهاد في سبيل الدين ضد المرابطين " .

يقول الله عزوجل في محكم تنزيله(٥): " (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) " ويقول عزوجل في السورة نفسها(٤): " (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) نظم الجمان ص، ٣٨، ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩، وفيات الاعيان ج ٥، ص ٤٦، الكامل ج ٨، ص ٣٩٤، نهاية الارب، ص ٣٩٦.

(٣) الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص ٢٥٢، ٢٥٣، دار الغرب الاسلامي، ط ٢ ١٩٨١.

(٥) سورة ال عمران، الاية ١٠٤. (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)

(٤) سورة ال عمران الاية ١١٠،

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

وقوله تعالى(١)"(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)"

وقوله سبحانه وتعالى(٢) "(الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور"

ولم يقتصر حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الداعية ابن تومرت، بل تبعه كل الخلفاء الموحدين، في ضبطهم لشؤون الدولة ومحاربة الآفات الاجتماعية اينما وجدت.

ونشرع في إلقاء الضوء على هذا الصنف من الرسائل بكتاب الخليفة عبدالمؤمن بن علي، من إنشاء الوزير الكاتب ابي جعفر ابن عطية الموجه إلى الطلبة بالعدوه الاندلسية، وجميع من بها من الموحدين، المؤرخ في ١٦ من شهر ربيع الأول عام ٥٤٣هـ وهو من الكتب النادرة التي أرخت في صدر الرسالة مخالفة ما جرت به العادة في الكتب الديوانية .

وجعل ابن عذاري سبب كتابتها، أن أخوي المهدي بن تومرت عيسى وعبدالعزير تعديا على الناس، وتجاوزا حدود الشرع، اثناء وجودهما بإشبيلية فكثر القتل في الناس وإباحة المنكرات والمحرمات (٣)، وبعد زيارة ضريح ابن تومرت وبناء مسجد بتنمل، بعث الخليفة عبدالمؤمن بن علي رسالة إلى طلبة صنهاجة يقول فيها(٤) "...وقد صدرنا - وفقكم الله - على الحضرة العلمية بتنملل ... وينتمي إليكم بحول الله - مارأيناه، وتصلكم طي كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها

---

(١) سورة التوبة الاية ٧١.

(٢) سورة الحج الاية ٤١.

(٣) البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ص ٣٨.

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ٦٠٥، الرسالة الثالثة .

كل جهة من جهات الموحدين وفقهم الله ، فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا مانرجو ان يعين على أمر الله ويعضد ".

هذه الرسالة كتبت بعد عشرة ايام من كتابة الرسالة السابقة - الجامعة لأنواع الأوامر - وهي واردة من حضرة مراكش بتاريخ السابع والعشرين من ربيع الأول عام ٥٤٣هـ، وتشير هذه الرسالة إلى أن نسخا منها ارسلت إلى أماكن أخرى من بلاد الموحدين وهو غير ما ورد في محتوى الرسالة المدروسة ، المرسلة إلى العدوة الأندلسية .

فقد جمعت هذه الرسالة الجامعة لأنواع الأوامر مجموعة من القوانين دار محتواها حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها يقول الخليفة عبدالمؤمن بن علي"... ولقد ذكر لنا من المظالم المستغرقة لأنواع المآثم ... أن أولئك الخاضعين في غمرات ابحرها المشيرين لأسباب منكرها المارمين لعلق الشريعة القاطعين لابهرها ، يمدون ايديهم إلى ضرب الناس بالسياط ... ويتسببون بذلك إلى اخذ اموال الناس ... وقد علمتم ان عادتنا فيمن يستوجب الضرب او من يستحقه عمن يظلم الأمر الشرعي او يعقه حدود معلومة ، دون إفحاش وانتهاك ومواقف موسومة تقابل كلا بمقتضى جرمه من اثيم او افاك "(١) .

تشير الرسالة هنا إلى ظلم عمال المخزن للمسافرين الغرباء وعابري السبيل العائدين إلى بلادهم ." ... وان من ذلك الراي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكر لنا في امر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى اوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش في ما يؤمنون به من النصيحة ، ويستبطنون المكر في تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به اتيت "(٢) .

---

(١) نظم الجمان ، ص ١٥٥ ، ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧.

وانتقل بعدها إلى موضوع آخر فتحدث عن ام الكبائر الخمر والتباس الامر على الناس بين ما هو حلال منها وماهو حرام فقال "... والله الله في البحث على الخمور، وتقديم النظر في امرها فهو من اهم الامور، فإنها مفتاح الشرور، وراس الكبائر والفجور، وهي رابطة أهل الجرم و جامعة اشتات الظلم ... فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها ... وقدموا امناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب ... ولا يمكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز، ويعرف ما يجوز، شربه وما لا يجوز .. فما حل منه اباحوه وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا وأراقوه "(١).

وانتقل من موضوع إلى آخر آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، مبينا الصواب من الخطأ مستشهدا بآيات من القرآن الكريم، واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كل ذلك في اسلوب واضح إلى أن وصل به الكلام عن ساعي البريد الحامل لهذه الرسائل ويسميه المغاربة الرقاص لسيره، ودورانه .

وقد تجلى لنا من هذه الرسالة أن هؤلاء الرقاصين اغتنموا فرصة حملهم لهذه الرسالة الديوانية لإذاعتها فاثقلوا على الناس وتجاوزوا حدود مهمتهم "... وإن ممن يسعى في نوع من انواع الفساد، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار والإيراد هؤلاء الراقصين الذين يردون بالكتب ويصدرون ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فإنه ذكرلنا انهم ياخذون الناس بالنظر في كلفهم، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها، وسوء رايهم بذلك في المخازن وغيرها، وإن من جملة ما حكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعا ويحملون بافنية الناس حلولا شنيعا، يكلفون مؤوناتهم تكليف المجرم ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى إنهم لا

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦١.

يرضون في ضيافاتهم إلا باسمن الجزر... فسارعوا وفقكم الله تعالى -الى حسم هذه العلة من اصلها، وبادروا إلى قطع تلك العادة الذميمة و فصلها، وتخيروا لرسائلكم إرسالا، وانتقوا من اهل المقدرة على ذلك والثقة رجالا)وادفعوا إليهم زادايقوم بهم في المجيء والانصراف ويقطع شانهم عن التكليف والإلحاف، وارسموا لهم اياما معروفة العدد معلومة الأمد لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعونها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف احد من الناس ولو مثقال ذرة "(١).

لقد كانت هذه الرسالة "حجة بايدي الناس، ومؤمنة لهم من الباس "(٢) .

ويذكر ابن عذاري ضمن أحداث عام ٥٤٣، أن هذه الرسالة عند ما وصلت "إلى إشبيلية بحثوا على اهل الاشغال، المنصرفين في الأعمال، واخذوهم بالإقرار والاعتراف، وبالغوا في البحث عليهم والانصراف، فقتلوا منهم رجلين ظهر عليهما الفسوق والظلم، والفساد والإثم والجرم، فوجد احدهما غير مختون والآخر استرابت عليه الظنون، وكانا يشتغلان بقبض الفطرة، فظهر منها الغش للخلافة والإمعارة " (٣) .

وتبين للباحث أن معظم الكتب التي تناولت موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حذت حذو الرسالة الجامعة لأنواع الأوامر، فقد بقيت كل الرسائل تدور في حيزها ولا تبتعد عنها.

---

(١) نظم الجمان، ص ١٦٢.

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص، ٣٧ .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص ٣٨،٣٧.

فالرسالة الجامعة لأنواع الأوامر تناولت عدة موضوعات، منها التمهل في إصدار أحكام القتل، وضرب الناس بالسياط، وأمر الضرائب المثقلة على الناس، والبحث عما يحل شربه من الرُّب ومايمنع، والحديث عن الرقاصين ... إلى غير ذلك من الأمور التي تناولتها الرسالة، من قوانين شرعية، وقد دارت معظمها حول موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فأما ما يتعلق بشراب الرَّب فوجدنا في رسالة الفصول الصادرة عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي والموجهة إلى الطلبة ببجاية في الثالث من ربيع الأول عام ٥٥١هـ، وهي شبيهة لها إلى حد بعيد بالرسالة الجامعة لأنواع الأوامر، وقد ورد فيها عن موضوع الخمر ما يأتي ."... وآمر بالنظر في الرَّبوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعمليها، فيراق مسكرها (١) ويقطع منكرها (٢) وليعمد إلى من عمل المسكر الحرام عامدا، وشربه مدمنا عليه ومعاهدا، ولم ترعه الحدود ولم تقيده القيود، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الإذكار فيمحى اثره وحذف خبره "(٣) .

ووجدنا ابن محشرة في رمضان عام ٥٨٠هـ يتناول الموضوع نفسه في رسالته الموجهة إلى الطلبة وكافة الموحدين باشبيلية عن الخليفة المنصور حيث يقول "... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزا اغفلوا فيه الاجتهاد، ورتعوا حول حماه رتعًا اوقفهم فيه اوكاد، وتسامحوا فيه تسامحا"(٤).

لكن الناس التبس عليهم الأمر بين ماهو حلال وما هو حرام فلما وصل الخبر إلى مسامع الخليفة المنصور اصدر حكما بمنعه وقطعه

---

(1) documents inedits dhistoire almohade appendice No ١, p ١٤١. texte arabe . (مسطرها)

(2) ibid p ١٤١. (منظرها)

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ١٣٣، الرسالة الثالثة والعشرون .

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ١٦٥، الرسالة الثامنة والعشرون.

من الأساس، وإغلاق المحلات التي يباع فيها "... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر، وعلمنا أن الذي وسع على الناس من اتخاذه لم يتبين لهم الحق فيه ويتعذر، رأينا - والله المستعان - أن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر، فمن العصمة إلا يجدوه، ومن العون لهم على تركه أن يعدموه ويفقدوه فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله - عزوجل - فاقطعوه جملة وتفصيلا، ولا توجدوا أحدا إلى بيعه سبيلا، واشتدوا في ذلك اشتدادا لا يوسع مستسمحا فيه صدوفا عن هذا القصد الحميد ولا عدولا واخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وافقروها وامرفوها لغير ذلك من المباحات وسيروها ، والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها، وأريقوا ما تلقون من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع وأشده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنا من كان،فاقيموا عليه مارسمه الشرع في ذلك وحده (١) .

ويذكر ابن عذاري أن الخليفة المنصور لماراى هذه المناكر غضب " و ... أضرب عن القال والقيل وجعل الإنذار والإعذار مكان السيف الصقيل فأمر بإراقة المسكرات وقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها، وانفذ المخاطبات بذلك إلى كافة ولاته بالأمصار، فأريق منها في البلاد ما يساوي أموالاً جمةً "(٢) .

ومن القضايا الأخرى التي تناولتها رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حث الناس على اداء الصلاة وقراءة القرآن، فقد قام الخليفة عبدالمؤمن ببناء مسجد يعبد فيه الله عزوجل، بعد زيارته لضريح ابن تومرت، وفي رسالة الفصول وجدناه يقول "... وآخذوا بإقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف علىا لمؤمنين ، والحكم المثبوت على كل من امن بهذا الدين، والناهية عن الفحشاء

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦، ١٦٧، الرسالة نفسها .

(٢) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ص ١٧٣.

والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين، ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحو من ديوان المؤمنين، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع من الوظائف والقوانين، وتاركها ميت في عدد الأحياء ... فخذوا من قبلكم بإقامة الصلاة على ما شرعت وادائها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ أم القرآن وسورة معها وما تيسر من القرآن لتتم صلاتهم ويكمل عملهم، ومن اضاع الصلاة واهملها ولم يبادر إلى اداء ما فرض عليه منها فاجله للحين متاح وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب "(١) .

ومن الرسائل التي تناولت موضوع الصلاة رسالة الخليفة المستنصر بن محمد الناصر المؤرخة في ١٥، من شهر ربيع الأول من عام ٦١٧هـ الموجهة إلى كافة الموحدين بالعدوتين، ويذكر ابن عذاري انه في بداية هذا العام أي ٦١٧هـ اشتد الغلاء وارتفعت الاسعار نتيجة للازمات التي مرت بها الدولة بعد معركة العقاب، زيادة على القحط الذي شاهدته البلاد الموحدية في العدوتين ثم فرج الله فزال الهم تيسرت في الأمور، فكتب الخليفة المستنصر رسالة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حذا فيها حذو جده الخليفة عبدالمؤمن، ومما جاء فيها " ... وحبوا في جهاتكم عليها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تطهر الارجاس وتنتقي الحواضر والبوادي من الادناس وتسلم القلوب والجوارح من الوسواس الخناس، واستحفظوا الكافة صلواتهم فإنها الكتاب الموقوف على المؤمنين وخذوهم باعتياد المساجد فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيين (٢) وسيد المرسلين، واطلبوهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق فإنه الخير المألوف والشعار المعروف والرسم الذي عليه العمل والعهد الذي لا يجب فيه التغيير " (٣).

---

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ١٣٢، ١٣٣، الرسالة الثالثة والعشرون
docuuments inedits dhistoire almohade p ١٤٠،
appendice, no ١ texte arabe .

(٢) في الاصل النبئين .

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٧.

ويذكر لسان الدين بن الخطيب في ترجمته للخليفة المامون، ان اول ماقام به الخليفة بعد تمام بيعته، هو حضّ الناس على الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات ونهي الناس عن شرب المسكرات (١)، لكن صاحب الإحاطة اورد الرسالة مبتورة فلم يرد بها إلا الحديث عن شعائر الصلاة ومما جاء فيها "... واول ما يتناول به الأمر النافذ الصلاة لأوقاتها، فقد قال عليه الصلاة والسلام : احب الأعمال إلي الصلاة لأوقاتها، وقال اول ما ينظر فيه من اعمال العبد الصلاة، وقال عمر: إن اهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع، وقال : لاحظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وهي الركن الأعظم من اركان الإيمان والسور اوثق لأعمال الإنسان والمواظبة على حضورها في المساجد وإيثارها لصلاة الجماعة، من المزيد على صلاة الواحد، أمر لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون " (٢)، وبعدما استشهد لسان الدين بن الخطيب بمقطع من هذه الرسالة قال "وهي طويلة في معاني متعددة " (٣) .

ومن الامور المهمة، التي تناولتها رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حث الخليفة عبدالمؤمن بن علي الناس على إخراج الزكاة، حيث يقول :"... وخذوا بإيتاء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها أو التي اليسير منها، فالزكاة، حق المال والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة واحدة كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقالا مما فوقه كمن منع الشرع كله "(٤).

وختم ابو الفضل بن محشرة رسالته عن الخليفة المنصور، المؤرخة في عقب شهر رمضان عام ٥٨٠هـ، بقوله "... تامرون العمال

---

(١) الاحاطة ج١، ص ٤١٢ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١، ٤٢٢ .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٢ .

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ١٢٣، الرسالة الثالثة والعشرون

هنالكم بدفع جميع ما تحصل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي ابو المكارم (١) - اكرمه الله بتقواه - يوزعه على الضعفاء، والمساكين " (٢).

وتجلى لنا ان قضية ضرب الناس بالسياط وقتلهم ,تفشت في عهد الموحدين، وهذا ما يتضح من خلال الفساد السائد في بعض الولايات البعيدة عن مقر الخليفة بمراكش فاصبح الولاة والقضاة، وقادة الجيش يصدرون احكاما من تلقاء انفسهم، بدون استشارة او استماع إلى راي المذنبيين او الشهود .

فقد سبق للخليفة عبدالمؤمن بن علي، ان بعث ثلاث رسائل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حد فيها من سلطة ولاته - وهم ابناؤه في اغلب الأحيان - واصدر حكما نهائيا يتعلق بعدم صدور أي حكم نهائي - يتعلق بقتل المتهم - إلا بعد تتبع أقواله وتفحصها وسماع اقوال الشهود والا يصدر حكما نهائيا إلا بعد الاتفاق والإجماع ومشاورة الخليفة (٣).

ويعلل ابن صاحب الصلاة على رسالة الخليفة الثاني يوسف بن عبدالمؤمن بن علي الموجهة إلى أخيه السيد ابي سعيد والي قرطبة بقوله: (٤)"، قام أبو يعقوب رضي الله عنه بامر الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الذي بدا ابوه اولا الخليفة الرضي امير المؤمنين رضي الله عنه في رسالته المشهورة بالعدل والنهي عن المنكر، المؤرخة في السادس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ".

---

(١) هو ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصري هرب الى الاندلس خوفا من صلاح الدين الايوبي وولي قضاء مدينة فاس ثم شبيلية عام ٥٧٩هـ واستصحبه الخليفة يعقوب المنصور في غزوته لقفصة، توفي عام ٥٨٦، انظر التكملة رقم ٢٠٢٤، جذوة الاقتباس ص ٥٣٢ ,رقم ٦٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٧، الرسالة الثامنة والعشرون .

(٣) نظم الجمان، ص ١٥٤، ١٥٥، مجموع رسائل موحدية ص ١٣٤، الرسالة الثالثة والعشرون، المصدر نفسه ص ٩٥، الرسالة الثامنه .

(٤) المن بالامامة، ص ٢٢٩، ويقصد هنا رسالة نظم الجمان الجامعة لانواع الاوامر ص ص ١٥٠-١٦٧.

واتضح لنا من خلال رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي صدرت بعد وفاة الخليفة عبدالمؤمن أن الخلفاء من بعده عملوا بها، وساروا على منوالها، فقد سن الخليفة عبدالمؤمن بن علي سنة حميدة، نال برسالته اجرها وأجر من عمل بها.

اما رسالة ابنه الخليفة يوسف، فقد ورد فيها عن احكام القتل ما يلي"(١)... ولما كان الأمر كذلك تعين ووجب وثبت وترتب أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين اعزهم الله شرقا وغربا وبعدا وقربا، خطابا يتساوي فيه جميعهم، ويتوازى في العمل فيه كافتهم ، بألا يحكموا في الدماء حكما من تلقائهم ولا يهريقوها بباد او براي من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يرونه لديهم، إلا بعد أن ترفع إلينا النازلة على وجهها وتودى على كنهها وتشرح حسب ما وقعت عليه وتنهي بالتوثق والبيان على ما انتهت إليه وتقيد بالشهود العدول، المعروفين في مواضعهم وتكتب اقوال المظلومين وحججهم وإقرارهم واعترافهم وحجج الطالبين في مقالاتهم واستظهارهم في بيناتهم، معطي كل جانب حقه موفي كل قائل قوله " ثم عاد مرة أخرى فعمم القول على جميع من ببلاد الموحدين بالعدوتين، حتى لا يتوهم بعض أن الكتاب خص به منطقة قرطبة دون غيرها.

وبين رسائل الاعتداءات والشكايات وجدنا رسالة وصلت الى الخليفة يوسف يقول صاحبها "... إن اخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بارزية رأسه اذهبت حياته ... ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك: والقتل، وقال : سأفعل به ما فعلت بأخيه من قبل " (٢)

واعتقد ان الرسالة التي وجهها الخليفة يوسف إلى والي قرطبة، وجميع بلاد الموحدين هي رد على الشكايات المتتابعة الواردة في مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل والتي تضمنت قضية

---

(١) المن بالإمامة، ص ٢٢٧.

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ١٣٦.

القتل والضرب بالسياط، فرد الخليفة بقوله : "... واعلموا - وفقكم الله وأسعدكم - أن هذا الحكم عام في سائر النوازل التي اطلقت السنة فيها القتل وسنته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفسا واقر بالقتل، او شهد العدول عليه به، ومن بدل دينا وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الاحصان باعتراف اودليل أو شهادة مقبولة، وماخير الأيمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الأرض بالفساد والمتاولين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سن ذلك كله، أو وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد" (١) .

وجاء في رسالة الخليفة عبدالمؤمن بن علي الجامعة لانواع الأوامر اثناء حديثه عن عمال المخزن الذين يتسببون في إيذاء الناس، خاصة المفتربين منهم، قوله : "... يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط " (٢) .

والملاحظ انه بين عهد الخليفة التاسع، المامون ابن الخليفة يعقوب المنصور والخليفة الثاني عشر، عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، إشارات كثيرة، تدل على فساد السلطة، وتفشي الفساد في الدولة، فقبل ان يتم تعيين قاض، أو وال او قائد عسكر، أو عامل يوصيه الخليفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، او يامر الرعية بذلك قبل ان يمل الموظف الجديد،واثناء تقديم قائد عسكر، اوصاه الخليفة المامون "... بتقوى الله تعالى، فهي العدة المسجية، والسيرة المشكورة في الأندية، وامرناه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحو آثار المفسدين والفساد "(٣) .

واثناء تقديم قاض على الاندلس أمر الخليفة المامون الرعية في كتابه المؤرخ في صفر عام ٦٢٦هـ بقوله "... فإذا وافاكم بحول

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٢) نظم الجمان، ص ١٥٦.

(٣) مخطوط الخزانة الحسنية، رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤٨.

الله تعالى فاعينوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "(١).

وعندما تولى ابنه الرشيد الخلافة من بعده نجده يتحدث إلى الرعية اثناء تنصيبه احد القضاة على شريش فيوصيهم في كتابه المؤرخ في غرة ذي القعدة عام ٦٣٠ هـ، بقوله "... فإذا وافاكم قاضيكم المذكور فتعاونوا معه على البر والتقوى كل التعاون وتوافقوا من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "(٢) .

واوصى قاض آخر بقوله " ... وقد وصيناه بتقوى الله تعالى، والسير على جادة الشرع المثلى والاقتداء بآثار الكتاب والسنة والانتهاض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ."(٣)

وفي عهد اخيه الخليفة السعيد ابن الخليفة المامون، وجدناه يوصي الرعية اثناء تقديم قاض بقوله " ... فإذا وافاكم بمشيئة الله فكونوا معه في الحق إخوانا وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اعوانا "(٤).

رسائل الاعتداءات والشكايات

لم يكن الخليفة الموحدي يحجب عن الرعية، فكثيرا ما وجدناه يجلس لسماع قصة شخص اعتدي عليه او شكاية رفعت إليه .

وقد تميزت كتب الاعتداءات والشكايات عن غيرها من الرسائل الديوانية الأخرى باسلوب التهديد والعنف الشديد من جهة واسلوب الترغيب والملاطفة من جهة ثانية، فهي بذلك تعكس صورة المجتمع الموحدي من الداخل، والخارج .

---

(١) المصدر نفسه، ورقة، ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٨٣.

ويذكر المقري على لسان تاج الدين ابي محمد عبدالله بن عمر ابي حموية السرخي اثناء رحلته إلى المغرب عام ٥٩٣. ان الأمير ابا الربيع سليمان الموحدي بعث رسالة إلى ملك غانة يحمله مسؤولية احتباس التجار المغاربة والعراقيل التي يتعرضون لها في الأراضي الغانية، في حين يتمتع التجار الغانيون بكل حرية في الأراضي المغربية وجاءت رسالته مختصرة حيث استهلها بقوله : "نحن نتجاور بالاحسان وإن تخالفنا في الأديان ونتفق على السيرة المرضية، ونتآلف على الرفق بالرعية ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا تعافيه الا النفوس الشريرة الجاهلة " (١) .

ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي وهو الاعتداء الذي حصل على تجار الموحدين، حيث يقول :" ... وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنهم من التصرف فيما هم بصدده " .(٢)

ونلمس بعدها روح التسامح التي يتصف بها المسلمون، وحكمة والي سجلماسة في تعامله مع غير المسلمين، فعلى الرغم من حبس التجار الموحدين والاعتداء عليهم نجد تجار غانة وغيرهم من المقيمين بالأراضي الموحدية يعاملون (بفتح الميم) معاملة حسنة وقد صرح بها في قوله "... ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكننا لا نستصوب فعله ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي بمثله والسلام " (٣).

وعلى الرغم العلاقات الطيبة التي كانت تربط الموحدين بجمهورية بيشة فقد حصل اثناء حكم الخليفة الناصر اعتداء على ثلاث سفن لتجار المغرب) وذلك من طرف سفينتين شراعيتين للبحارة البشيين فالسفينة الأولى تحمل اسم الأرجليوس والثانية الكرناطة وكانتا مدعمتين بسفينتين حربيتين من بيشة وتم الاعتداء على السفن المغربية .

---

(١) النفح، ج ٤، ص ١٠٤. (٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠٤.

وعلى اثرها قام ناظر ديوان تونس بتقديم شكوى إلى جمهورية بيشة تتعلق بحادثة الاعتداء حيث يقول "... وصل إلى مرسى تونس ... مسطحات للبيشانين ... ومعها -زوج قطايع) فوجدوا بالمرسى ثلاثة مراكب للمسلمين .... فأخذوا ثلاثة مراكب المذكورة ... وقتلوا جماعة من المسلمين، سوى من رمى نفسه الى البحر فمات غريقا، وجرح منهم مالا يحصى، وانتهكوا حرمتهم وفضحوا حريمهم "(١).

وفي الشهر نفسه ذي القعدة -٥٨٦ هـ بعث الامير ابو زيد عبدالرحمن ابن الخليفة عبدالمؤمن رسالة إلى الاسفسك، وحكام بيشة قشامرة واشياخهم و اعيانهم رسالة تتعلق بحادثة الاعتداء على المراكب الموحدية وجاء فيها "... كتابنا إليكم من تونس كلأها الله ...، وقد علمتم مالم تزل الحضرة العلمية الامامية أدام الله نصرها تامر به من حفظ النصارى المعاهدين واجرائهم على العدل حيث حلوا من بلاد الموحدين، لا تنالهم مضرة في متصرفاتهم ولا يعتدي على احد منهم في تجارتهم وقد وصلنا إلى تونس. كلأها الله، فوجدنا مسطحات من إخوانكم اخذوا مراكب المسلمين، وقتلوا جماعة منهم، واستاصلوا اموالهم، وفعلوا ما لو رفعناه إلى الحضرة العلية الإمامية)أدام الله تاييدها لخيف على إخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها، لكن رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة إليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله اشياخ جنوة في من تعدى على المسلمين ... و ليصل إلينا كتابكم بما فعلتم في عقوبتهم التي استوجبوها وجريرتهم التي جنوها وفعلتهم القبيحة التي اتوها ."(٢)

لكن بعد مرور عام كامل على صدور هذا الكتاب لم يصل اي رد عليه، ويبدو ان جمهورية بيشة رفضت تعويض الخسائر التي تعرض لها التجار الموحدون .

بعد معركة العقاب بقيت مجموعة كبيرة من الجند بالعدوة الاندلسية تنتظر السماح لها بالعودة إلى المغرب، فعاشت في الاندلس

---

(١) التاريخ الديبلوماسي للمغرب ج ٦، ص ١٨٨.

(٢) المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٩٠، ص ١٩٣ .

فسادا، وتعدت على حقوق الناس، فتقدم الناس بشكوى إلى والي إشبيلية، إبراهيم ابن الخليفة يوسف، فبعث بدوره رسالة إلى الوزير ابن جامع يخبره بعبث الظالمين وجورهم وظلمهم وتعديهم على أهل تلك البلاد، حيث يقول "... ويظهر من القوم أدام الله عزتكم - ما قد اعلنوا به وصرحوا من انهم إنما يقصدون المبالغة في الضرر ليسمع خبرهم،فيجازوا البحر ويسرحوا فهم يتبحرون في عدوانهم بغاية وسعهم وجهد إمكانهم، وقد ضجت الرعية ضجيجا، وعجت بالشكوى عجيجا، ... ورفعت أصواتها بالاستغاثة والاسترحام، ونادت حضرة العدل التي هي نصرة المظلومين وملجأ المقهورين الملهوفين من الانام، وانزعجت لما نالها من الضرر الشديد المبرح، الخارج عن الحد المربي على الشرع، والفتك الذي اقتضى لها ضيق الذرع والقهر الذي تخاف ان يحول بينها وبين ضم الزرع، ولقد أقسم أهل فلانة انهم لولا تقيدهم بالحبوب التي لهم فيها، وتعلق نفوسهم بما يرجونه من تحميلها لما بقوا فيها ساعة ولخرجوا بالأهل والولد منها فارين عنها لما لحقهم من الضرر الذي لا صبر لهم عليه ولا بقاء لهم معه، حيث تقتحم عليه الديار، وتستغلب بناتهم الأبكار، وتسلب اموالهم بالقهر والاقتسار ويقتلون عليها سرا، وعلانية بالليل والنهار"(١) .

واستمرت الرسالة في وصف حالة الخوف والذعر التي بثها الجند في نفوس الناس، فرفعوا صوتهم وشكواهم إلى المقام العالي منتظرين العدل والإنصاف من حضرته الكريمة .

ويبدو من خلال رسالة أبي القاسم البلوي عن السيد إبراهيم ابن الخليفة يوسف والي إشبيلية المؤرخة في ٢٠ من شهر محرم عام ٦١٢ هـ، أن الجند تمادوا في ظلمهم وقد " ... عاثوا في هذه الجهات بوجوه من العبث كثيرة، وبالغوا في نكاية أهلها مبالغة مبيدة مبيرة، وان الناس معهم من الاضطهاد،وظهور الاختلال في أحوالهم "(٢).

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٦٨.

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٦٩.

ثم انتقل بعد ذلك ليصف الدرجة التي وصل إليها ظلم هؤلاء الجند، حتى عجز اللسان عن وصف أعمالهم وظلمهم، فيقول "... وعظم فسادهم عن ان يحيط به التفسير في جواب، كيف وغادروا الرعية بين محرق بالنار، ومقتل بالرمح والسيف، قد تفاقم أمرهم كل التفاقم وتعاظم امرهم كل التعاظم، وتلاطم بحرهم أعظم التلاطم، فما يبقون ولا يذرون، يعيثون الليل والنهار"(١) .

ثم ذكر الحالة التي آل إليها هؤلاء المظلمون "... وقد ضجت الرعية ضجيج السقيم الناحل واجهشت للحضرة الامامية العادلة اجهاش يوسف عليه السلام لقبر راحل، واشارت إليها - ايده الله - بايدي الإستغاثة إشارة الغرق بين موج البحر إلى اهل الساحل ينادون غوثا غوثا وعطفا عطفا، ويسترحمون إمامهم ومولاهم - بسط الله انواره - حنانا حنانا ولطفا لطفا ".(٢)

ومن خلال رسالة أخرى عن والي اشبيلية السيد إبراهيم بن الخليفة يوسف ينقل إلينا من خلالها أحوال الرعية التي ازدادت سوءا بعد سوء، فجند المغرب المنهزمون لم يطلب منهم العودة بعد إلى ديارهم، فقد "... تهاونوا بسفك الدماء واستغلال النساء وانتهاب الأموال، وفساد الاحوال جامعين في ذلك ملء العنان منتهين فيه إلى اقصى وجوه العدوان، وقد اخافوا القرى إخافة، اضطرت اهلها إلى الجلاء والفرار من البلاد وبخاصة قرية فلانة التي على الوادي) فإن اهلها قد فروا عنها وهربوا منها، وتركوها خاوية على عروشها لا يجرا أحد على دخولها "(٣) .

ولم يتوقف اعتداء هؤلاء الجند على منطقة واحدة بل تعدت مناطق اخرى مجاورة لها ويصف الكاتب اعمال الخراب التي قام بها الظالمون بعمومياتها وخصوصياتها فقد"... خاف الناس على اموالهم

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧٠.

ونسائهم وامتنعوا عن فتح حوانيتهم حتى أنسوا وسكنوا، ووعدوا بقرب النظر الامامي لهم، وكذلك يفعلون في هذه الأيام باراضي اشبيلة يقتحمون ديارها ويقتلون الرجال والنساء فيما ويسلبون اموالهم، وفي الجمعة الفارطة قتلوا شيخا كان خطيبا بفلانة وسلبوه ثيابه عند انصرافه من صلاة الجمعة إلى المدينة، وقد كثر مثل هذه الأفعال منهم في هذا الوقت كثرة ملأت قلوب الرعية خوفا وجزعا".. (١).

ومن كتب الاعتداءات والشكايات رسالة رفعت إلى ديوان الخليفة يوسف يصف صاحبها اعتداءً وقع على اخيه، حيث يقول "... إن اخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بارزية راسه اذهبت حياته فتصايح الناس عند ذلك واتوا من هنا وهناك، فوجدوا اخي وعاينوه مضرجا في دمه مصرعا بيديه وفمه، وفر القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها لايعرف له مكان في بدوها ولا حضرها، ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك والقتل، وقال سافعل به ما فعلت باخيه من قبل "(٢).

رسائل التوقيعات :

تعتبر رسائل التوقيعات جوابًا سريعًا لرسالة وصلت إلى الديوان، فهي رد على شكوى وصلت، أو اعتداء حصل، أو غيرهما من الأمور التي تمس الحاكم بصفة خاصة والرعية بصفة عامة، ونظرا لعدم اتساع وقت الحاكم يُرَدّ الجواب مختصرا باسفل الكتاب نفسه، او خلفه.

"وهو مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار "(٣)، وتختلف رسائل التوقيعات عن الرسائل الديوانية الاخرى، كونها تصدر عن لسان الخليفة أو الوالي او القاضي، بنصها الكامل، فتملى على الكاتب، اما المادة التي يستقي منها الجواب فهي مقتبسة من القرآن الكريم ،والحديث الشريف، وتتضمن عادة الشعر والأمثال .

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٧٠.

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٣٦.

(٣) إحكام صنعة الكلام، ص ١٦٠.

فخلال عام ٥٥٢هـ حملت نكبة الوزير الكاتب ابي جعفر ابن عطية، فبعث، وهو في السجن قصيدة يستعطف من خلالها الخليفة عبد المؤمن بن علي قائلا " :

فَعَفْوًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ لَنَا ... بِرَدِّ (١) قُلُوبٍ هَدَّهَا الْخَفَقَانُ

عَطْفًا عَلَيَّ(٢) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ ... بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ الْهَمِّ (٣) وَالْحَزَنِ

قَدْ أَغْرَقَتْنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجَجٌ ... وَرَحْمَةٌ (٤) مِنْكُمْ أَنْجَى مِنَ السُّفُنِ

وَصَادَفَتْنَا سِهَامُ الْبَيْنِ عَنْ غَرَضٍ ... وَعَطْفَةٌ مِنْكُمْ أَوْقَى مِنَ الْمِجَنِّ (٥)

هَيْهَاتَ لِلْخَطْبِ أَنْ تَسْطُو حَوَادِثُهُ ... بِمَنْ أَجَارَتْهُ رُحْمَاكُمْ مِنَ الْيَمَنِ

مَنْ جَاءَ عِنْدَكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ ... بِنَصْرِهِ لَمْ يَخَفْ بَطْشًا مِنَ الزَّمَنِ (٦)

فَالثَّوْبُ يَطْهُرُ بَعْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنٍ ... وَالطَّرْفُ يَنْهَضُ بَعْدَ الرَّكْضِ فِي سَنَنِ

أَنْتُمْ بَذَلْتُمْ حَيَاةَ الْخَلْقِ كُلِّهِمُ ... مِنْ دُونِ مَنٍّ بِهَا (٧) كَلًّا وَلَا ثَمَنِ

وَنَحْنُ مِنْ بَعْضِ مَنْ أَحْيَتْ مَكَارِمُكُمْ ... كِلْتَا (٨) الْحَيَاتَيْنِ مِنْ نَفْسٍ وَمِنْ بَدَنِ

وَصِبْيَةٍ كَفِرَاخِ الْوُرْقِ مِنْ صِغَرٍ ... لَمْ يَأْلَفُوا النَّوْحَ فِي فَرْعٍ وَلَا فَنَنِ

قَدْ أَوْجَدَتْهُمْ أَيَادٍ مِنْكَ سَالِفَةٌ (٩) ... وَالْكُلُّ لَوْلَاكَ لَمْ يُوجَدْ وَلَمْ يَكُنِ "

ولما انتهى الخليفة من قراءة القصيدة وقع عليها بقوله تعالى " (الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)"(١٠)(١١).

---

(١) في الاحاطة، بحمل . (٢) في الاحاطة والنفح، علينا .

(٣) في الاحاطة والنفح، البث .

(٤) في الاحاطة والنفح، عطفة .

(٥) في الاحاطة :
"وصادفتنا سهام كلها غرض لها ورحمتكم اوقى من الجنن"
وفي النفح :
"وصادفتنا سها كلها غرض ورحمة منكم اوقى من الجنن "

(٦) في الاحاطة، من وسن .

(٧) في الاحاطة والنفح :
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم من دون من عليهم لا ولاثمن

(٨) في الاحاطة، تلك . (٩) في الاحاطة والنفح، سابقة .

(١٠) سورة يونس، الاية ٩١ .

(١١) الانيس المطرب، ص ١٩٦، الاحاطة، ج١ ص ٢٦٨، النفح، ج٧، ص ١٨٥ .

وطلب الخليفة المنصور من قاض ان يختار له شيخين ليعلما ولدا عنده ويضبطا أمره ،فلم يقصر القاضي في ذلك، وأرسل إليه يطلبه ، وكتب له رسالة جاء فيها ان الشيخ الأول بر في دينه ، أي انه ثابت ثبوت البر ، وقال في الشيخ الثاني، انه بحر في علمه ، فلما حضرا بين يدي الخليفة اختبرهما ، فخاب ظنه فيما ادعاه القاضي فوقع على الرسالة التي وصلته :" اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ)" (١) (٢) .

ومن توقيعات الخليفة المنصور يذكر المقري أن قوما من بلاد السودان وفدوا عليه واهدوه فيلا ، فاكرمهم لكنه رفض قبول الهدية ، ورد عليهم قائلا . نحن لا نريد ان نكون أصحاب الفيل . (٣) (٤) .

وبعث الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة رسالة إلى الخليفة يعقوب المنصور يهدده ويتوعده (٥) .

فلما قراها الخليفة المنصور مزقها وكتب على قطعة منها " (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)(٦) الجواب ما ترى لا ما تسمع " واستشهد له ببيت المتنبي :

وَلَا كُتُبَ إِلاَ ٱلْمَشْرِفِيَةَ وَٱلْقَنَا (٧) وَلَا رُسُلَ إِلاَ ٱلْخَمِيسِ العَرَمْرَم (٨)

---

(١) سورة الروم الاية ٤١. (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

(٢) رقم الحلل ص ٥٨-٥٩، تاريخ الدولتين ص ١٥ المؤنس ص ١٢٢، الحلل السندسية ج١، ق ٤، ص ١٠٠٨، النفح، ج٤ ص ١٠٣، الاستقصا، ج٢، ص٢١٠.

(٣) اقتباس من سورة الفيل (٤) النفح ج٤، ص ١٠٢.

(٥) الانيس المطرب، ص ٢٢٠، ٢٢١، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ٧٦، الكامل في التاريخ ج ٩، ص ٢٣٢، ٢٣٣، نهاية الارب، ص ٤٣٨.

(٦) سورة النحل، الاية ٣٧. (٧) في الاصل منده .

(٨) ديوان المتنبي، ج ٣، ص ٣٥٢.

ويذكر ابن ابي زرع أن الخليفة المنصور لما فرغ من قراءة الرسالة أمر بقراءتها على جميع المسلمين بالعدوتين، ودفع بها إلى ابنه محمد الناصر، فوقع عليها بالآية السابقة، وببيت المتنبي، ونستخلص من كلام ابن ابي زرع أن الكتاب ارسل إلى الخليفة المنصور اما التوقيع فهو لابنه محمد الناصر (١) .

اما الخليفة المأمون فقد اشتهر بتوقيعه على رقعة امرأة كانت إشتكت جنديا نزل دارها وآذاها، فلم يتردد الخليفة للنظر في القضية بل رد على الشكاية التي وصلته بقوله : " يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل " (٢) .

اما أبوالربيع سليمان الموحدي فقد اشتهر بتوقيعه لعامل له اثناء ولايته - الأمير - على منطقة سجلماسة، ويذكر المقري ان العامل كثرت شكاياته فانزعج الامير، ورد عليه بالتوقيع الآتي ": قد كثرت فيك الاقوال وإغضائي عنك رجاء ان تتيقظ فتصلح الحال وفي مبادرتي إلى ظهور الافكار عليك نسبة إلى شر الاختيار وعدم الاختيار فاحذر فإنك على شفا جرف هار " (٣) (٤) .

---

(١) الانيس المطرب، ص ٢٢١ .

(٢) الاحاطة ، ج ١، ص ٤٢٤ .

(٣) التوقيع مقتبس من سورة آل عمران الاية ١٠٣، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

(٤) النفح، ج ٤، ص ١٠٤ .

المعاهدات:

لم يكتف الموحدون بإبرام المعاهدات بينهم وبين القبائل المجاورة لهم، بل تعدوا ذلك الى مناطق بعيدة عن جنوب المغرب الأقصى، وحتى عن مراكش، والمدن الجديدة التي أصبحت تسير تحت راية الموحدين، فعلاقاتهم بالدول النصرانية لم تكن في أغلب الأحيان كما يظهر ذلك من خلال المعارك بالاندلس، بل اتسمت في فترات كثيرة بعلاقة ودية، وذلك لعدة سنوات، ولم تنقطع إلا باعتداء مفاجئ، او بانتهاك معاهدة سلم تمت بينهما، حدثت في غالب الأحيان من طرق الإسبان. فخلال عام ٥٦٤هـ يذكر ابن صاحب الصلاة وابن عذاري ان فرناندو الثاني ملك ليون طلب من الموحدين باشبيلية السماح له بالجواز إلى العدوة المغربية، وبعد ان تم له ذلك، عاهد الخليفة يوسف على الصلح، ويضيف ابن صاحب الصلاة وابن عذاري ان الملك بقي وصحبه بحضرة مراكش مدة خمسة اشهر حتى كاد أن يعتنق الإسلام (١).

أما الممالك الإسبانية فلم تتحد على كلمة واحدة، اللهم الا لكسر شوكة المسلمين.

فقبيل معركة العقاب بفترة وجيزة عقدت الممالك الإسبانية لهدنة مع المسلمين لتصفية مشاكلهم الداخلية، وهذا ما نلمسه من خلال كتاب الخليفة يوسف الذي بعث به عام ٥٦٨هـ من إشبيلية، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش يخبرهم فيه بالصلح المبرم بينه وبين الممالك النصرانية حيث يقول "... تسابقت وتلاحقت وفود الروم لباس الله راهبين، وفي اخذ حبل من الله ومن اهل دينه راغبين، قد بخعوا بالنصرانية وتدوخوا بالذلة، وتأسوا بالصغار) وخلعوا حمية الجاهلية)خلع الحذاء)ونزعوا من الزعم إلى الاستكانة والاستخذاء وكان أولهم في ذلك ملك البرتغال ونصارى الغرب باذلين من انفسهم الطوع برد أسارى المسلمين وشروط

---

(١) المن بالامامة، ص ٢٨٤، ٢٨٥، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٠٣.

اعطوهـا مسلمين مستسلمين، وتمسك ابن السَّلَيْطِينْ المُسَمّى فَرَانْدَة بعهد منـا كانت بلت به يداه، ورأى أنه استصرف بـه رداه ثم ردف فراعة ملك طليطلة وماولاها (١) .

ونستخلص من النص أن المعاهدة تمت بين الخليفة يوسف من جهة ومملكـة البرتغـال، وقشتالة من جهة ثانية، أما مملكة ليون وملكها فراند ة الثـاني ابـن السليطين فقـد جـددت خلال هذه الفترة، وكانت مبرمـة من قبل كما سبق، لكن هذه المعاهدة وقعت في فترة كانت فيها الممـالك النصرانيـة بـالاندلس تعـاني من حدة التفكك، فقد جاء على لسـان الخليفـة يوسـف بـن عبدالمؤمن أن " ... روم الجزيرة على ما بينهـم مـن تـآكل فرقة وشتات، وإختلاف في ذات بينهم انبتات، فجاؤا متطـارحين متضـائلين مفصحـين بأن الإضطرار رجاءهم، وأن التأميل في سعة فضل هذا الأمر العظيم بعث رجاءهم، وذاكرين أن لهم في الخدمة المنـاب الحميد والغنـاء الشديد، وانهم يتضمنون ما بين بطليوس إلى قاصيـة ثغـور مرسـية فـي بلاد الاسلام ويختدمون انفسهم في ذلك بأجهد الاستخدام "(٢) وبعد أن استشار الخليفة شيوخ الموحدين تم الصلح مع الممـالك النصرانيـة، واعتبر هذا الصلح فتحا جديدا للمسلمين "... ونظـر فـي أن ذلـك مـن الالتفات الى المصالح مماسته رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلحه للمشركين على حين انكره المنكرون واكثر في ذلك المكثرون، فسماه الله سبحانه فتحا مبينـا ، ومكن لهم في الارض تمكينـا وأظهـر دينـه الذي ارتضـاه دينـا، وانزل السكينة عليهم وزادهـم هدى ويقينـا، وكفى بالله هاديا، وبرسوله على الغيب أمينا "(٣) .

وخـلال فـترة الصلـح أمنت الطـرق التجارية بين العدوتين وأعيد بنـاء القلاع والمدن التي خربت من جراء المعارك، وعم الأمن في معظم

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٠.

(٢) مخطوط العطاء الجـزيل فـي كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٠.

(٣) المصدر نفسه (الزوائد) ورقة ١١.

بينما استمر العدوان بين الموحدين ومملكة البرتغال بدون اي إتفاق . (١)

واستمرت المعاهدات الموحدية مع الممالك النصرانية ، إلى نهاية دولة الموحدين، وقد رأينا كيف سمح الخليفة المأمون للنصارى ببناء كنيسة في مراكش وخلال عام ٦٦٤هـ ارسل البابا ابنه سانش آش الرابع رسالة إلى الخليفة المرتضى يطلب منه التنازل عن بعض الحصون المغربية التي تقيم فيها الجاليات المسيحية ، وذلك لاقرار السلم ، والأمن للعائلات المسيحية التي تعيش داخل المجتمع الاسلامي)وفي حالة الرفض ستمتنع الجالية - التي تضاعف عددها خلال هذه الفترة - عن تقديم أي مساعدة للخليفة الموحدي،وأخبره بأن الجالية المسيحية ستنقطع عن زيارة المدن المغربية الاخرى، وأعاد الطلب مرة اخرى يوم ٢١ ذي الحجة عام ٦٤٨ هـ . (٢)

وفي شهر ربيع الأول عام ٦٤٨ هـ بعث الخليفة المرتضى رسالة إلى البابا إينه سانش آش الرابع يوافقه على طلبه)وقد ورد في رسالته " ومتى سنح لكم أسعدكم الله تعالى بتقواه ان توجهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين اعزهم الله من ترونه برسم ما يملحهم في دينهم ويجريهم على معتاد قوانينهم فتخيروه من أهل العقل الراجح والسمت الحسن، وممن نعم في النزاهة على واضح السنن وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن وذلكم هو الذي تعين من قبلكم مستجمعا للصفات المذكورة ومتحليا بالخلال المشكورة حسن في كل ما يستخدم الرب وتسنى له بذلك اجزل الخير وأوفره وانتم تفون بهذا المقصود في ما تعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم : (٣) .

---

(١) مجموع رسائل موحدية ، ص ٢١٨-٢٢٨ الرسالة الرابعة والثلاثون .

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٦٧ .

(٣) une lettre de lalmohade murtada au pape innocent 4 p ٣٢،٣٣.

انحاء الجزيرة باستثناء المملكة النصرانية الرابعة بالعدوة الأندلسية ، أرغون بمنطقه بلنسية التي بقيت على عدائها القديم مع المسلمين، وفي هذا يقول الخليفة يوسف أنه تم عقد الصلح مع مملكة البرتغال وقشتالة وجدد مع مملكة ليون " ... وعقد لكل جهة منهم العهد إلى مدد مختلفة قدر ما ينجبر فيها ما يليه من الثغور، ويتسق فيه نظام الأمور، فاستثمرت بحمد الله من ذلكم العوايد والمن... ولم يبق من روم الجزيرة إلا شرذمة بإزاء بلنسية الخطب فيها بحول الله يسير والله عليها ظهير والفتح فيها قريب والراي في قطع دابرها واجتياح غابرها مصيب " (١) .

لكن هذه المعاهدة لم تستمر مدة طويلة، فسرعان ما نقضت بعد زوال الخلافات بين الممالك النصرانية .

فقد تم عقد الهدنة بين مملكة قشتالة ومملكة ارجون عام ٥٧٤هـ أو٥٧٥ هـ (٢) وخلال عام ٥٧٥، ٥٧٦ هـ تم عقد الصلح بين ملك قشتالة وملك ليون واتفقا على رسم حدود المملكتين وتعاهدا على عدم إبرام اي اتفاقية مع المسلمين (٣) .

لكن الواضح من خلال كتاب الخليفة يعقوب المنصور المؤرخ في السادس والعشرين من جمادى الثانية عام ٥٨٦هـ المرسل من إشبيلية إلى الطلبة والموحدين والأعيان والأشياخ والكافة بسبتة أن الخليفة جاز البحر إلى العدوة الأندلسية صحبة عدد كبير من جند الموحدين والعرب فكان لهذا العدد الهائل، أن بعث الله عزوجل الرعب في نفوس الممالك النصرانية، فطلب ملك قشتالة عقد الهدنة مع الموحدين، فوافق الخليفة، لِمَا رأى فيه من مصلحة للمسلمين وتشتت كلمة الممالك النصرانية، وجدد ملك ليون الهدنة مع الموحدين،

---

(١) المصدر نفسه، (الزواشد) ورقة ١١.

(٢) مصر المرابطين والموحدين، ج ٢، ص ٥٨٦، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٢٩١.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩٤، المصدر السابق، ص ٢٩٥ .

ومن الكتب التي رفضت اي معاهدة سلم أوخيانة للخليفة تلك الرسالة الجوابية التي بعث بها عبدالرحمن والي مرسية إلى ألفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة المعروف بالنبيل، فبعد موت الخليفة يوسف اتصل والي مرسية القديم ابو حفص عمر الرشيد اخو الخليفة يعقوب المنصور بملك قشتالة سريا وعقد معه معاهدة ضد الخليفة المنصور لكن سرعان ما انكشفت الخطة ،وأمر الخليفة بقتل ابي حفص (١) وعين بدلا منه أخاه عبدالرحمن واليا جديدا على مرسية ، لكن الملك الفونس لم ييأس من فشل التجربة الأولى فحاول مرة أخرى إغراء الوالي الجديد بابرام اتفاقية سرية ضد الخليفة نفسه ، لكن السيد عبدالرحمن رد عليه برسالة جوابية من انشاء ابي بحر صفوان ابن إدريس المؤرخة في منتصف ذي القعدة عام ٥٨٤هـ) واستهل الرسالة بقوله " من عبدالرحمن بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيده الله - إلى الفونس ابن شنجة ملك قشتالة وطليطلة وفقه الله وهداه وأراه وجه رشده .

انْظُرْ بِعَقْلِكَ إنَ العَيْنَ كَاذِبَةٌ ... واسْمَعْ بِحِسِكَ إنَ السَّمْعَ خَوَانُ
وَلَا تَقُلْ كُلُ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ ... إنَ الرُعَاةَ تَرَى مَالَا تَرَى الضَأْنُ

كتبناه من مرسية - حرسها الله - ونحن نحمد الله الذي حف الجنة بالمكارة ،والنار بالشهوات وامر بالتزام طاعة اولي الأمر فيما انزل من آياته البينات ،وقرن طاعتهم بطاعة رسوله من جميع الحدود والجهات فقال الله تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ) " (٢) (٣) .

---

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٩٨-٢٠٠ الانيس المطرب، ٢١٨.

(٢) سورة النساء، الاية ٥٩.

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٣ .

وبعد الرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم والدعاء للخليفة ،أسدى إليه عددا من النصائح مستشهدا في ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأمثال والحكم وقصص من التاريخ الإسلامي، حيث يقول "... إن الملك أرشده الله في نهاية الاحتياج إلى تطبب يعلم من دماغه مافسد وينفق من مواد عقله ما تزيف وكسد ، حتى يميز بين العقد والحل)ولا تصدر عنه مخاطباته ضحكة الترحال والحل ككتابه الذي صدر عنه إلينا)ورد به رسوله الفسل علينا ، فمن مضمنه أنا أنزلنا غير منزلنا في أن سووي في مجلس الاحكام بيننا وبين خصمنا واعتقد الملك - هداه الله - أن ذلك من تدنيسنا في الناس ووصمنا ، وذلك منكر من القول وخلاف ... فإن إمامنا ... قد رفع الله عن الميل رتبته ومقداره ، وقرن بالتوفيق التام والتسديد العام إيراده ، وإصداره ، وجعله كما كان الفاروق لا يبالي على من دار الحق فاداره ، والله تعالى قد أمر بذلك عبادة المقربين فقال :(كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ) (١) . فالمساواة بيننا وبين خصمنا في الحق تنويه لنا وتشريف واستخدام في مايرضي الله تعالى ... ومن مضمنات كتابك أنا إن مشينا إليك وخلعنا الطاعة عليك مكنتنا من الرجال والبلاد وشاطرتنا بزعمك في الطارف والتلاد وهيهات إنما رويت ان تذكي بنا على المسلمين حر الجلاد فامتنعت كما ظننت، وانعمت فيما زعمت ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتمكرت فيما ذكرت ولنفسك يا ابن البغي بغيت، واسررت الحسو حين رويدك لا تصرف علينا كيدك وعلى رسلك فلا حاجة لنا إلى اتراه رسلك وحنانيك، إن كنت ذاطب فطب لعينيك ... وهذا قول يليق بكم معشر النصارى من جهة انحلالكم واستباحتكم لمحض الحرام واستحلالكم ، لانكم معشر الاعلاج الأجلاف مستمهلون لما نستمعب من التقاطع والاختلاف ونحن إذا بايعنا رجلا

---

(١) من سورة النساء الاية ١٣٥ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا).

واحدا لا نزور عنه ولا نميل، ولا يطمح بنا إلى الخلاف عليه رجاء ولا تأميل ... (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (١) ... ومن بين تخلفك وفسالتك ماشهد به عليك تناقضك اثناء رسالتك، حيث وصفتنا اولا بالعدل والدين، ونعتنا بالسياسة للرعية والتهدين، ثم دعوتنا أن نخلع عن الطاعة يدا وما نزال اعتقدت ذلك علينا إلا نعمة ويدا " (٢) .

واستمر إلى آخر الرسالة على السياق نفسه، منتقلا بين النصح والذم والاستشهاد بالآيات القرآنية والأمثال العربية، وختمها بقوله "... فاجعل هذا الكتاب حاجزا بيننا وبينك، واطوعنا زورك ... فلولا أن الرسل لا تقتل لصلبنا رسولك " (٣) .

وفي رسالة السيد أبي زيد عبدالرحمن بن أبي عبدالله محمد ابن أبي عمر بن عبدالمؤمن بن علي الكومي الندرومي، والي بلنسية إلى الخليفة الخامس المستنصر عام ٦٢٠هـ يخبره بطلب لجوء احد زعماء مملكة أرغون اسمه افلامكة أوطال إلى حضرة مراكش .

فبعد وفاة بدرو الثاني pedro 2 ملك أرغون عام ٦١٥ هـ خلفه على العرش ابنه الوحيد دون خايمي Don jaime (٤)، وكان عمره لا يتجاوز ست سنوات، واثناء فترة الوصاية على العرش كثرت الصراعات داخل مملكة أرغون، فكان من نتائجها ان أبعد الملك خايمي، الزعيم افلامكة أوطال فلجأ إلى بلنسية، حيث بقي مدة سنتين ينتظر السماح له باللجوء إلى حضرة مراكش ومما ورد في الرسالة قول والي بلنسية "... تقرر لدى المقام الكريم - أدام الله علوه وكبت عدوه - بأمر فلامكة أوطال وماله في البلاد الأرغونية من رعاية في شأوها برز ولغايتها أحرز، وكان قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة

---

(١) من سورة الزخرف الاية ٢٢ (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٥ .

(٤) عصر المرابطين والموحدين، ج ٢، ص ٦٠٥ .

دار أمرها عليه والقى زمامها إليه وتفرد منها بعبء حمله ، وحظ بلغ منها أمله ثم إنه حط من رتبته ، وتأكد المبالغة في نكبته لقضية عرضت له مع أهل أرغون تلفظته تلك الجنبات وأزعجه أمر لم يمكنه عليه ثبات ورأي أن يلجأ إلى المقام الباهر ..."(١) .

ثم بين للمقام العلي، الخليفة المستنصر حقده ، وغضبه لأهل ارغون، وانه مستعد كل الاستعداد أن يخدمه في حالة نشوب أي خلاف بين الموحدين والأرغونيين وان يقدم كل المساعدات المطلوبة ، نظرا لما يملكه من نفوذ بين أهله من زعماء وفرسان أراغون .

ويرجح عبدالهادي التازي أن الزعيم الأرغوني بقي ببلنسية ، ولم تتم وفادته على الخليفة المستنصر بمراكش، وذلك، إما لأنه عدل عن فكرته بعد وفاة الخليفة أو لأن المستنصر الخليفة الموحدي رفض استقباله " تجنبا لإغضاب مملكة ارغون وتمشيا مع سياسة عدم إستقرار الممالك المسيحية أو لأن هناك مواثيق كانت تربط المسلمين بالمسيحيين، وكانت تقضي بعدم إستقبال، أحد أعداء الطرف الآخر"(٢).

أما العلاقات التجارية بالجمهوريات الايطالية ، فامتازت في أغلب الأحيان بالسلم بين كل الأطراف، فبعد انهزام الأسطول البيشي من طرف الجنويين في مصب نهرالرون اضطر البحارة البيشيون إلى النزول بمرسى جيجل نتيجة لرداءة الطقس، فقبض عليهم ، وتم أسرهم بسجن بجاية ، وفي يوم ٤ رجب عام ٥٦١ هـ وفدكوكوكريفي cocoo criffi القنصل البيشي لدى القسطنطينية سابقا إلى حضرة مراكش، فاستقبله الخليفة يوسف واطلق سراح البحارة المسجونين وأعاد إلى القنصل حق امتلاك فندقهم التجاري بمنطقة المهدية ، وعاد القنصل كوكوكريفي إلى بيشة محملا بالهدايا (٣) .

---

(١) صبح الاعشى، ج ٠٦، ص ٥٣٤ .

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٠٦، ص ١٠١ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ٠٦، ص ١٧٤.

تقول آناماسكاريلو، Anna mascarello : إننا إذا اعتبرنا البيشيين أول من حظي بهذه الإمتيازات والمعاهدات التجارية مع الموحدين خلال عام ٥٧١هـ، فإن الخليفة عبدالمؤمن بن علي منح الحرية التجارية المطلقة للجنويين، وذلك عام ٥٥٧ هـ (١) شرط أن يدفع هؤلاء حق الرسوم الجمركية التي تعادل ثمانية في المئة (٢)، من بضائعهم المحملة إلى الشواطئ الموحدية، وتضيف آنا Anna، أنه في مدة تسع سنوات أي ما بين عام ٥٤٩ هـ و٥٥٩ هـ شهدت العلاقات الموحدية الجنوية تطورا ملحوظا، فقد أبرمت معاهدات بين ثلاثين شركة جنوية ومدينة بجاية وخمس عشرة شركة أخرى مع تونس وست وثلاثين شركة أيضا مع طرابلس وخلال هذه المدة أرست ثلاثا وستين سفينة تجارية جنوية بالسواحل الإفريقية التابعة للأراضي الموحدية (٣).

وبعد وفاة الخليفة يوسف أرسلت جمهورية بيشة وفدا إلى الخليفة الجديد يعقوب المنصور، لتقديم التعازي وتجديد المعاهدة المبرمة مع والده يوسف (٤)، وعلى أثرها حصلت جمهورية بيشة على معاهدة سلم تستمر لمدة خمسة وعشرين عاما، ويسمح لها بحق الممارسة التجارية على بعض الأراضي الموحدية، وفي أوائل شهر رمضان من عام ٥٨٢هـ وجدنا الخليفة يعقوب المنصور يبعث كتابا إلى جمهورية بيشة يقول فيه :" ... هذا ما أمضاه أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته من الصلح للقناصلة والأشياخ والأعيان والكافة من أهل بيشه، وجهاتها ... وعقد لهم السلم إلى مدة من خمسة وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب على الأمنة التامة ....

---

(١) يقول عبدالهادي التازي ان أول معاهدة تمت بين الموحدين والجنويين كانت عام ٥٤٨هـ التاريخ الدبلوماسي، ج ٦، ص ٢٢٢ .

(٢) باستثناء مدينة بجاية التي تقع على الخط المستقيم من جنوة، وهي أقرب مسافة لذا فرضت على البضائع المحملة اليها عشرة في المئة من البضائع الكلية، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج٦، ص ٢٢٢.

(٣) Anna mascarello, quelqus aspects des activites italiennes dans le maghreb medival, revue dhistoie et de civilisation du maghreb, p 65,66 faculte de lettres dalger no 5 juillet 1968

(٤) المرجع نفسه، ج ٦، ص ١٨٠.

واذن لهم اعلى الله إذنه ووصل إنعامه ومنه في الوصول إلى بلاد الموحدين اعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس - حماها الله - ولم يبح لهم النزول بغيرها ولا الاحتلال بسواها الا للضرورة من صعوبة البحر يلجيهم إلى الارساء بساحل من السواحل دون ان يبيعوا فيه شيئاً ويشتروه او يكلموا احدا من اهله في ذلك أو يخاطبوه حاشى المرية - حرسها الله - فإن لهم ان يتزودوا منها ويصلحوا ما اختل من مراكبهم فيها لا غير " (١) .

رسائل الجهاد :

ونقصد بها تلك الرسائل التي تحض الناس على الجهاد او الإستعداد له ، ونستهل هذا الضرب من الرسائل بكتاب ابن تومرت، الموجه إلى جماعة الموحدين الذي يعتبر بحق من أحسن الرسائل التي تناولت هذا الموضوع، وذلك من حيث إبراز فضل الجهاد، وثواب المجاهد، والمنزلة التي يحتلها الشهيد في سبيل الله، ولم يقتصر ابن تومرت في رسالته على الجهاد بالسلاح)بل عمم القول فشمل السلاح بالنفس والمال، حيث يقول "... فلما كان الحق لا ينصر، والدين لا يظهر إلا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين، وبين فضلهم، واخبر أن الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ - إلى قوله - ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢)، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي إستعارة وتقريبا للافهام ليفهموا ما فيه، ويرغبوا فيما ذكر من درجات المجاهدين، وما اعد الله لهم، فسمى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء، لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه

---

(١) المرجع نفسه ، ج ٦، ص ١٨١،١٨٢.

(٢) سورة الصف (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢).

ربه ماله ونفسه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له، وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه وعلموه يقينا،وحققوه باعوا انفسهم من الله، إذ لا شيء أعز عندهم منها فلما علم صدقهم وإيمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ -إلى قوله- ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)"(١) (٢) .

والملاحظ، أن ابن تومرت اعتمد في رسالته هذه على الطابع الإيحائي في مخاطبة الشعور والحماس الديني عند المسلمين، فدعم قوله بالآيات السابقة، مذكرا المسلمين بوعد الله عزوجل (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(٣).

وبعد أن شخص لهم مزايا الجهاد وجدناه يقول " ... ولهذا عظم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة ... فقال تعالى في كتابه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون - إلى قوله - ولا هم يحزنون)(٤)، وقال تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ)(٥) "، وضرب لهم مثلا بعد ذلك بقول الرسول صلى الله

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١) (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

(٢) أعز ما يطلب، ص ٢٥٨، أعمال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج ١، ص ١٠٤ . (٣) آية ١٢ من سورة الصف .

(٤) سورة آل عمران (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠).

(٥) آية ١٥٤، من سورة البقرة (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) .

عليه وسلم ، وأصحابه ليسلكوا السبيل الذي سلكوه ويكون لهم فيه أسوة حسنة حيث يقول "...فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة امر بذلك أصحابه ، وتمنى القتل في سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : (وددت اني أقاتل في سبيل الله فاقتل، ثم أحيا فاقتل، ثم احيا فاقتل)، فكرر ذلك تعظيما لأمر الشهادة وفي فضل الشهادة كثير من الاخبار، فلما علم اصحابه فضل الشهادة سألوا الله عزوجل أن يرزقها لهم ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك "(١).

لقد اراد بن تومرت من خلال تدرجه في الكلام من العام إلى الخاص ان يزرع فكرة الجهاد بين سكان جبال تينمل فيقول :" فلما علموا أن وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، رجاء لثواب الله ، ونصرة للدين ، فجعلوا بينهم المودة والرحمة ، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة "(٢) ، ثم وعدهم بالنصر القريب والفتح المبين وانه لا فرق بين المجاهدين الاولين وبينهم وأن دين الله واحد لا مبدل لكلماته ابدا لأن " ... الدين الذي جاهدوا عليه هو الدين لا يحول ولا يزول حتى ينفخ في الصور والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه لا تبدل ولا تتغير حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فاصبروا على هذا الدين كما صبروا ، وجاهدوا عليه كما جاهدوا واحتسبوا ما اصابكم في سبيل الله كما احتسبوا تنالوا عندالله من الأجر ما نالوا ، فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد ، والاستعداد بالأعمال الصالحة ، ولزوم التقوى في السر والعلانية ، فاقتفوا آثارهم واسلكوا سبيلهم ، وتاسوا باعمالهم ، قد كانت لكم فيهم أسوة حسنة ، فالجهاد على الدين ، والصبر على الاذى نعمة عظيمة لا يؤدي شكرها ، فعظموا ما عظم الله ، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خص بها أهل التوحيد " (٣) .

---

(١) اعز ما يطلب، ص ٢٥٩، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ج ١، ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٩، المرجع نفسه ، ج ١، ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩، ٢٦٠، المرجع نفسه ج ١، ص ١٠٥ .

لقد استطاع ابن تومرت أن يستميل قلوب الناس إلى الجهاد بخطبه ورسائله وبلاغته الفائقة بين سكان منطقة تينمل، مجموعة من السكان تقيم بمنطقة جبلية نائة لا تعرف من الحضارة الأندلسية إلا القليل جداً، وأقصى معرفتهم تتمثل في حياتهم اليومية البسيطة حياة الرعي والفلاحة والصيد، ويتمتعون في سهراتهم بالإستماع لأخبار سكان جزيرة الأندلس والمشرق التي يحملها لهم المسافرون وفي هذا يقول برونغصال "... وكان يعلم - ابن تومرت - أنه مهما فعل فإن اللغة التي يكتبها لغة غريبة عليه)ومهما كان من بلاغة رسائله فإنه كان يفكر بالبربرية، وبالبربرية كان يخاطب قومه ابناء تينمل، وكانت العربية لغة المواعظ والخطب التي تزيد اتباعه الجدد إيمانا يؤثر في نفوسهم ايقاع العبارات الجميلة التي تحدث في اذنهم رنينا عذبا، ومع ذلك فكانوا لا يحيطون بها إحاطة تامة ، وكانت البربرية هي لغة كل يوم لغة السب واللعن " (١) .

بعد تمام خلع الخليفة عبدالواحد ابن الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي عن الحكم، وذلك عام ٦٢١هـ بويع لابن اخيه عبدالله الملقب بالعادل(٢)، وبعداستقرار الأوضاع بحضرة مراكش، وجه رسالة إلى الموحدين كافة بأرض الأندلس عام ٦٢٢ هـ يخبرهم بتجمع المجاهدين بحضرة مراكش، وهم ينتظرون إخوانهم الآخرين من المجاهدين للجواز إلى العدوة الأندلسية، دون أن ينسى الدور الفعال الذي لعبه أهل جزيرة الأندلس في اسبقيتهم لجهاد النصارى وحماية الحصون والمدن الاسلامية حيث يقول " ... وهاهم بحمدالله قد انتظم شملهم (٣)واتصل حبلهم واجتمعت أهواؤهم)واتفقت على إعزاز كلمة الحق آراؤهم، وحلوا ابدار الموحدين(٤)ومطلع الخلفاء الراشدين المهتدين،

---

(١) الاسلام في المغرب والاندلس، ص ٢٥٨.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن الملقب بالعادل بويع عام ٦٢١ هـ وتوفي عام ٦٢٤ هـ انظر الانيس المطرب ص ٢٤٥-٢٤٧، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧٠، تاريخ ابن خلدون ج٦، ص ٥٢٧، ٥٢٨ .

(٣) يقصد المجاهدين بالمغرب . (٤) يقصد مراكش .

حيث الجموع وافرة ، و الإعداد متكاثرة ، وطائفة الحق متعاضدة متظاهرة ، وذلك حلول استدعاء و استنفار ، لا حلول إقامة واستقرار ، عازمين على الجهاد ، والله تعالى يمضي عزائمهم ، ويجبرهم على جميل معتقداتهم على جهاد أعداء الله الكفار فاعلموا وفقكم الله على ذلكم والله يبلغكم آمالكم والسلام عليكم) (١) .

---

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧١ .

البدء في الرسائل والعرض والختام :

اتسمت الرسائل الديوانية في المغرب والاندلس بميزات عدة جعلت الكاتب المغربي ينفرد بها عن بقية كتاب المشرق، والديار المصرية (١).

ويشير القلقشندي في مجمل كلامه عن الكتابة الديوانية في المغرب، حيث كانت مراكش مركزا للخلافة، ومقرا لها -عند الموحدين وغيرهم - وهذه الملاحظات تحذو حذوها الرسائل الصادرة عن العدوة الاندلسية، ومعظم المناطق الاخرى التي خضعت لسلطان بني عبدالمؤمن فاولها " أن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الانفراد ، ومنها انهم يلزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبنا، بان يقال، كتبنا إليكم كذا ومنها أنهم يترضون عن الخلفاء (٢) القائمين بدعوته في كتبهم، ومنها انهم يذكرون اسم المكتوب إليه في اثناء الكتاب..،وكتبهم تختم بالسلام غالبا، وربما ختمت بالدعاءونحوه "(٣).

ويضيف الكاتب نفسه في موضع آخر عن أسلوب الكتابة الديوانية عند الموحدين انها تاتي على أسلوبين" ان تفتح الكتابة بلفظ من فلان إلى فلان وكان الرسم فيها ان يقال : من امير المؤمنين فلان ، ويدعي له بما يناسبه إلى فلان، ويدعي له بما يناسبه، ثم يؤتي بالسلام، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والترضية عن الصحابة ثم عن امامهم المهدي ثم يؤتى على المقصود، ويختم بالسلام، الخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة، وميم الجمع من المكتوب إليه" (٤) .

وأما الأسلوب الثاني فيجري مجرى الاول على أن يفتتحه الكاتب بلفظ " اما بعد" (٥) .

---

(١) صبح الاعشى، ج ٧، ص ٣٠ . (٢) في الاصل الخليفة .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٧، ص ٣٠ . (٤) المصدر نفسه ، ج٦، ص ٤٣٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٦، ص ٤٣٥، وانظر حسن جلاب، الدولة الموحدية اثر العقيدة في الادب،ص ١٣٦، جامعة القاضي الفاضل، مراكش ط٢، عام ١٩٨٥.

ونستنتج من الكلام السابق أن القلقشندي المتوفى عام ٨٢١ هـ لم يتسن له الاطلاع على مجمل الكتب الديوانية الموحدية، وأما المميزات التي ذكرها فهي لا تغطي إلا جزءا يسيرا من الخصائص الفنية، والبنية الشاملة للرسائل الديوانية خلال مدة استمرت قرنا ونصف، وشاهدت ثلاثة عشر خليفة باستثناء الداعية ابن تومرت، وبدا حيزها يتسع من تينمل إلى أن شمل المغرب بأقطاره الثلاثة بالإضافة إلى جزر البليار، وكثير من المدن الأندلسية .

ومما جعله القلقشندي استفتاحا للرسائل الديوانية، جعله الكلاعي ميزة من مميزات التخلص من المقدمات للدخول في صلب الموضوع (١)، خاصة أن بنية الرسالة الموحدية هي امتداد للرسائل المرابطية ولو في شكلها الخارجي، وأن بعضا من الكتاب كأبي جعفر بن عطية كتبوا للمرابطين ثم للموحدين .

والملاحظ أن رسالته المؤرخة في السادس عشر من جمادى الآخر عام ٥٤٨ هـ (٢) التي استشهدبها القلقشندي، هي الرسالة العاشرة المدمجة ضمن مجموعة بروفنصال (٣) المبتورة البداية، والاطلاع على بدايتها يجعلنا نشك أن تصدر رسالة ديوانية موحدية خالية من البسملة، والتصلية والعلامة السلطانية .

وعند المقارنة بين الرسالة الخامسة عند بروفنسال (٤)، والصورة المخطوطة للرسالة نفسها التي ضمنها عبدالهادي التازي (٥)، تجعلنا نقطع بأن رسائل بروفنصال مبتورة، وهذا ما صرح به

---

(١) الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص ٦٩، دار الثقافة بيروت عام ١٩٦٦.

(٢) صبح الأعشى، ج ٦، ص ص، ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ص ٣٥ - ٧٣، الرسالة العاشرة، وانظر مقدمة الكتاب ص، ج .

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٠ - ٣١، الرسالة الخامسة .

(٥) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، ج ٦، ص ٢٨ .

المستشرق الفرنسي شخصيا، كون المخطوط الذي استخرجه زميله جورج كولان من فاس مبتور البداية والنهاية . (١) .

فجامع الرسائل مجهول،وعنوان المخطوط كذلك (٢) وكلامه ينطبق على الرسائل من حيث بدايتها ونهايتها كذلك، ونستنتج من كلامه أن المخطوط الذي عثر عليه غير أصلي، بل أعيد جمع رسائله ، وتحبيرها بعد أن حذف منها المطلع والنهاية .

فقول القلقشندي ."إن المخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد " لا ينطبق على مجمل الرسائل لأن الموقف وحده الذي يتحكم في أسلوب النص وسيره،فموقف السيد عبدالرحمن والي مرسية من الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة ، فرض عليه مخاطبة المرسل - بكسر السين - بصيغة المفرد "... ومن مضمنات كتابك أنا إن مشينا إليك، وخلعنا الطاعة عليك ... وهيهات إنما رويت أن تذكي بنا على المسلمين حر الجلاد فامتنعت كما ظننت، وأنعمت فيما زعمت، ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتمكرت فيما ذكرت، ولنفسك يا ابن البغي ... ومن بين تخلفك وفسالتك ماشهد به عليك تناقضك أثناء رسالتك " (٣) .

وقوله - القلقشندي - "... كما تقع الكتابة عنه بنون الجمع مع الانفراد " استشهد الكاتب نفسه برسالة من والي إشبيلية ، أبي العلاء إدريس إلى أخيه الخليفة العادل حول أوضاع عامل ثغر شقورة استعمل فيها الأسلوب المفرد :"... كتبته ... فاستأنفت النظر ، وأعدت العمل ، وخاطبت الحاكم "(٤) أو اتهام الخليفة الجديد أبي

---

(١) un recueil de lettres officieles almohamdes , p 3

(٢) ibid, p .3

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٤.

(٤) صبح الأعشى، ج ٦، ص ٥٣١ .

دبوس الواثق آخر خلفاء الموحدين، للخليفة القديم المرتضى، بإخفاء أموال المسلمين حيث خاطبه بصيغة المفرد كذلك "... الوصول إلى هنا برسم الاجتماع بك، وسؤالك عن المال الذي كان بيدك " (١) فرد المرتضى على كتاب الواثق بصيغة الجمع، واستعمل صيغة المفرد بالنسبة إليه لأن موقف الاستعطاف، والترجي يتطلب ذلك :"... حفظكم الله تعالى وابقاكم ... (أما المال) فلا ادري ماوجد، ومالم يوجد، وما تحت الأرض الله يعلم اني ما دفنته ولا اودعته "(٢) .

وقوله - القلقشندي - " ومنها انهم يلزمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبناه بأن يقال كتبناه إليكم كتب الله لكم كذا " فهذا ما ورد في الرسائل الديوانية الموحدية التي جاءت على هذه الصيغة، فقط باستثناء رسالة ابن تومرت الموجهة إلى جماعة الموحدين وهي من رسائل الجهاد، ورسالة الخليفة عبدالمؤمن بن علي الموجهة إلى قبيلة كزولة، فلم يات كل منهما بالدعاء بعد التخلص من صدر الرسالة، فكتاب ابن تومرت جاء على النحو التالي ، "... كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا اخباركم "(٣) .

وتلتها رسالة عبدالمؤمن بن علي حيث يقول "... كتبنا إليكم هذا الكتاب نصيحة وتنبيها، وتذكرة وتاكيدا " (٤) .

وأما قوله - القلقشندي - إنهم يترضون عن الخلفاء القائمين بدعوته في مكتوبه " فإن الترضية خلال الفترة الموحدية كلها لم تذكر للخليفة عبدالمؤمن ولا لغيره من الخلفاء الموحدين، بل لمهديهم ابن تومرت، اما إذا إستثنى القلقشندي الرسائل الموحدية من

---

(١) البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ص ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٣ .

(٣) امز ما يطلب، ص ٢٥٧، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ص ١٠٣ .

(٤) امز ما يطلب، ص ٢٥٥، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ص ١٠١ .

الفترة الأولى المذكورة سابقا وعاد إليها في الفترة الثانية ، فهذا ما امتازت به الرسائل المغربية غير الموحدية في قوله " إنهم يترضون عن الخلفاء القائمين بدعوته في مكتوبه " .

وأما الدعاء للخليفة ، فتستهل به الرسائل قبل البعدية ، وهو ما تمثله مجموعة بروفنصال ، في قول القلقشندي ، " ان تفتح الكتابة بلفظ من فلان ، إلى فلان "، وأما الرسائل الاخرى غير المبتورة ، كرسائل المن بالإمامة (١)، أو مجموعة اماري ميشل (٢) التي تناولت العلاقات بين الموحدين والبيشيين والجنوبيين - مجموعة أماري - . فتبدا بخلافة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، وتتبع المنهج نفسه مع مجموعة بروفنصال بالإضافة إلى البسملة والتصلية والعلامة السلطانية .

والملاحظ أن الدعاء للخليفة في مجموعة بروفنصال لم تستهل به الرسائل إلا لذكر المكتوب عنه ، ولم يذكر الدعاء للخليفة بكامله إلا بالترتيب المتبع خلال الفترة الموحدية كلها ، وتستهل به الكتب الديوانية عند الموحدين ، حيث يذكر الدعاء للخليفة بعد التحية والبعدية ، والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه في بعض الرسائل (٣)، وبعدها يأتي الكاتب بالترضية على

---

(١) المن بالامامة ، ص ص ٧٨-٨٢، ص ص ٢٠١-٢٠٧، ص ص ٢٢٥-٢٢٩، ص ص ٢٢٢-٢٤٢ ، ص ٢٤٦، ٢٤٧، ص ص ٢٥٩-٢٦١، ص ص ٢٦١-٢٦٣، ص ص٢٦٣-٢٦٥ ، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ص ص ٢٧٢-٢٧٤، ص ص ٢٧٥-٢٧٧، ص ٢٧٧، ص ص ٢٩٢-٢٩٥، ص ٣٠٤، ٣٠٥ .

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٨١، ١٨٢، وص ١٨٥، ص ١٩٢، ص ١٩٦، ١٩٧، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، وص ٢٠٥، وص ٢٠٦

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٨، المن بالامامة ، ص ٢٠١، ص ٢٤٤، ص ٢٦٠، ص ٢٦٣، مجموع رسائل موحدية ، ص ١، الرسالة الاولى، ص ٤، الرسالة الثانية ، ص ١٠، الرسالة الخامسة ، ص ١٤، الرسالة السابعة ، ص ٢٢، الرسالة الثامنة ، ص ٢٧، الرسالة التاسعة ، ص ٢٥، الرسالة العاشرة ، ص ٥٦، الرسالة الثالثة عشرة ، ص ٦١، الرسالة الرابعة عشرة ، ص ٦٧، الرسالة الخامسة عشرة ، ص ٧٢، الرسالة السادسة عشره ... رسائل ديوانية من سبتة ص ١٠٩، ص ١١٦، مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨، ورقة ١٦٠، وكلية الاداب جامعة القاهرة ، ص ١٦٢، م ١٢، ج ٢ /التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ٢٠٠. documents inedits dhistoire almohade , appendice no 1 p135 texte arabe p15. مجموع رسائل موحدية ص ١٢٧، الرسالة الثالثه والعشرون .

المهدي بن تومرت ثم الدعاء للخليفة عبد المؤمن بن علي، والخلفاء الراشدين - وهم الخلفاء الذين جاؤوا من بعده - وفي بعض الرسائل وجدنا الدعاء لولي العهد . (١) .

وأما قوله - القلقشندي إنهم يذكرون اسم المكتوب إليه في اثناء الكتب " فمثل هذه الملاحظة تقتصر على منزلة المرسل - بكسر السين - ملكا (٢) أو حاكما (٣) أو شخصية بارزة (٤)، وعادة ما يذكر اسم المرسل - بفتح السين - قبل المرسل - بكسر السين - كرسالة الخليفة المرتضى الموجهة إلى البابا إينه سانش آش الرابع (٥) اما الرسائل الموجهة إلى اكثر من شخص، فيكتفي الكاتب بذكر رتبهم كالطلبة ،والشيوخ والأعيان، والكافة، وهو ما تمثله ،معظم رسائل بروفنصال، وبعض رسائل اماري ميشال (٦) وفي كثير من الأحيان وجدنا، جامع الرسائل يتدخل فيحذف اسم المرسل - بكسر السين- ويستبدل به فلانا، أو ابن فلان، او ابا فلان، وهذا ما تشتمل عليه معظم رسائل التقاديم . (٧) .

---

(١) مخطوط المعطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٨، مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨، ورقة ١٦١اب،وهي غير مرقمة عند حسين مؤنس، كلية الاداب جامعة القاهرة ص ١٦٤، م ٢١ . ج ٢، ديسمبر ١٩٥٠، المصدر نفسه ورقة ١٦٥، المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٢) مخطوط المعطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٣، الرسالة موجهة الى الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة، وقد اضاع علينا المقري اسم ملك قائمة، النفح، ج٤، ص ١٠٤، وابن عذاري، اسم ملكة قشتالة وطليطلة، البيان المغرب (قسم الموحدين، ص ٢٦٨، وهي دونيا برنجيلا، مصر المرابطين والموحدين، ج ٢، ص ٥٩٣

(٣) une lettre de lalmohade au pape innocent 4 ,p 30.

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ٣، الرسالة الثانية، وهي موجهة الى القاضي ابي القاسم محمد بن الحاج (سبق التعريف به) .

(٥) =ibid , p 30 .

(٦) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ١٩٠، ص ١٩٦، ص ٢٠٢

(٧) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٧٥٢، ورقة ٤، ورقة ٦٠، ورقة ١٧، ...

وأما قوله - القلقشندي - وكتبهم تختم بالسلام، غالبا وربما ختمت بالدعاء ونحوه فالرسائل إذا ختمت بالسلام لا يعني انها قاعدة محكمة تختم بها الرسائل وقد ختم ابن تومرت رسالته التي هدد فيها حكام المرابطين بقوله "...والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى" (١).

والملاحظ أن البتر الذي طرا على كثير من الرسائل الديوانية الموحدية، لا يسمح للقلقشندي ان يطلق مثل هده الاحكام و يعممها .

وأما ما بقي من الرسائل غير المبتورة، فإن كثيرا منها لا يختم بالسلام، والمتفق عليه أن الرسائل الديوانية تذيل بتاريخها، وهي القاعدة التي سنها الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (٢)، وأما ماختم منها بالدعاءفهي لا تنطبق إلا على رسائل عبدالله بن عياش (٣).

فالرسالة الثالثة والعشرون عند بروفنصال استهلها ابو القاسم القالمي بقوله : "الحمدالله الذي قدم لأولياء (٤) امره فيما يرمونه من تدويخ العدو وقهره، يوما على الكافرين عصيبا " (٥) .

أما البلوي فنسب الرسالة نفسها إلى كاتب ابي الحسن بن زيد واستهلها بقوله :" من أمير المؤمنين أيده الله بنصره وامده بمعونته إلى الطلبة، والموحدين، والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش، أدام الله كرامتهم بتقواه، وأوعزهم شكر نعماه، سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه ونصلي على نبيه المصطفى محمد رسول والحمد لله الذي قدم لأولياء امره فيما يرمونه من كبت العدو وقهره يوما على الكافرين عصيبا .(٦)

---

(١) الحلل الموشية، ص ١١١.

(٢) الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص ٢٠، ط ٢، القاهرة ١٩٨٠.

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ٢٤١، الرسالة الخامسة والثلاثون ، ص ٢٤٨، الرسالة السادسة والثلاثون، ص ٢٥٩، الرسالة السابعة والثلاثون .

(٤) في الاصل اوليائه .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢١، الرسالة الثانية والعشرون .

(٦) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٩.

أمـا رسـالة إعادة فتح قفصة المؤرخة في شهر رجب عام ٥٧٦ هـ التـي نسبها بروفنصال إلى المرخي، وكان صاحب العطاء قد نسبها إلى أبي علـي بـن نـارار، ويكمن الخطأ - في اعتقادي - أن بروفنصال أولى الناحية الكبيرة فرتبها ضمن رسائل عـام ٥٥٤هـ، ثم إن أمير المؤمنين الثانية ويقصد بها الخليفة الثاني يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، سقطت من مخطوط فاس،فنسبت الرسالة على أنها كتبت عن الخليفة الأول عبدالمؤمن بـن علي، المرسلة إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيـان والكافة بقرطبة، بينما وجهت عند البلوي إلى اشبيلية ، ولا ادري كيف توصل المستشرق الفرنسي بروفنصال إلى كون الرسالة كتبت عـن أبـي الحكم بن عبدالعزيز المرخي، على الرغم من اعتماده على المعجب، (١)،وعبد الواحد المراكشي لم يذكر ضم كتاب الخليفة عبدالمؤمن إن علي اسم المرخي ويصف المستشرق بروفنصال، مخطوط فاس بقوله بن البداية والنهاية محذوفة فلا يمكن معرفة جامعه أو التاريخ الذي كتب فيه ، أو عنوانه الذي قد أعطي له ، ولم يعتن جامعه بترتيب الرسائل، وكل رسالة سبقت باسم كاتبها ، وفي كثير من الأحيان أخطأ جامع الرسائل في ذكر اسم الكاتب، لكننا لم نجد أية صعوبة في إعادتها إلى شكلها الأول .(٢) .

فبعد الاطلاع على تصريح المحقق لا نستبعد أن يكون جامع الرسائل قد وضع لها الاسم الأصلي وهو ابن نارار كما نسب الرسالة الثانية والعشرين إلى المرخي .

ونستشهد برسالة بروفنصال حيث استهلت كالتالي " من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره - وأمده بمعونته - إلى الطلبة والموحديـن والأشياخ والأعيان والكافة بقرطبة (٣)،بينما وردت عند البلوي على الشكل التالي " من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين

---

un recveil de lettre officielles almohade , p 9 (١)

ibid, p 3 (٢)

(٣) مجموع رسائل موحدية ، ص ٩٩، الرسالة العشرون .

أيده الله بنصره و وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية (١) .

وختمت عند بروفنصال كالتالي :"... يشترك جميعكم في المسرة ويتساهم كلكم في شكر الله عليها، ويتجدد الاخلاص لكافتكم بهذا المسموع ..."(٢) .

وعلق بروفنصال على خاتمتها بقوله :" السطور الأخيرة من هذه الرسالة ناقصة في الأصل المنقول عنه " . (٣) .

واما في مخطوط البلوي فقد ختمت بقوله "... يشترك جمعكم في المسرة بها ويتساهم كلكم في شكر الله عليها، ويتجدد الاخلاص لكافتكم بهذا المسموع السار منها، وهو تعالى جده يتابع عليكم نعمة و ويوالي قبلكم منحه ومننه، بجوده وكرمه والسلام العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب عقب رجب الفرد سنة ست وسبعين وخمس مائة " (٤) .

ونستشهد بصدر الرسالة الخامسة عند بروفنصال، وهي شبيهة بالرسالة التي استشهد بها القلقشندي (٥) في قوله إن الكتابة عند الموحدين تستهل بقولهم من فلان إلى فلان .

فمن بين سبع وثلاثين رسالة عند بروفنصال هناك ثلاث وثلاثون رسالة بنيت على الشكل التالي :"من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره وأمده بمعونته - إلى الطلبة الذين بسبتة "(٦) .

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، (الزوائد) ورقة ٧.

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ١١٣ الرسالة العشرون .

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣، هامش رقم ١ .

(٤) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٦.

(٥) صبح الأعشى، ج ٦، ص ص ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٦) مجموع رسائل موحدية، ص ١٥، الرسالة الخامسة .

لكن عبدالهادي التازي أورد صورة مخطوطة للرسالة نفسها ورد بعض الاختلاف في الكلمات بينها وبين الرسالة المطبوعة واستهلت بالطريقة التالية " والحمد لله وحده بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، من أمير المؤمنين - أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة " (١).

ونخرج من كل ما سبق بأن الرسائل القليلة التي اعتمدها القلقشندي، وأطلق عليها أحكام الخصائص الفنية للرسائل المغربية بصفة عامة والرسائل الديوانية الموحدية بصفة خاصة وتناولها بروفنصال وطبقها على الرسائل التي حققها - (٢) هي كتب مبتورة البداية والنهاية - بعضها - لذا لا يمكن الاعتماد عليها، وكذا رسائل مجموعة بروفنصال المستخرجة من فاس(٣) عام ١٩٢٩، أو من الأسكوريال (٤) عام ١٩٢٤.

ويذهب الباحث إلى أنه لا يمكن استخلاص قواعد الرسائل الديوانية الموحدية من حيث البدء ,والعرض,والختام، إلا من خلال رسائل المن بالإمامة)ورسائل أماري ميشل ، ورسالة الخليفة المرتضى الموجهة إلى البابا إينة سانش آشي الرابع فكل هذه الرسائل حافظت على خاتمتها بالإضافة إلى البسملة والتصلية والعلامة السلطانية، وقد ذكرها الخليفة عبدالمؤمن بن علي ضمن رسالته الجامعة لأنواع الآراء - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في قوله (٥)، " ... رأينا أن نجعل في كتابنا علامة بخط يدنا ".

---

(١) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ٢٨ .

(٢) un receuil de lettre officilles almohade, pp 12-19

(٣) Ibid, p 3

(٤) Ibid, p 3

(٥) نظم الجمان، ص ١٦٤.

والعلامة السلطانية هي " والحمد لله وحده " وقد اتخذها الخلفاء الموحدون شعارا لكتبهم الرسمية، لما وجدوها في بعض خطابات المهدي بن تومرت (١) .

ووقفت الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية بين يدي الخليفة عبد المؤمن بن علي (٢) تمدحه بقولها ".

يَاسَيِّدَ ٱلنَّاسِ يَامَنْ   يُؤَمِّلُ ٱلنَّاسُ رِفْدَهْ (٣)
امْنُنْ عَلَيَّ بِصَكٍّ (٤)   يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّهْ
تَخُطُّ يُمْنَاكَ فِيهِ   وَ(٥) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهْ (٦)

وهل يمكن ان يصرح بها الخليفة عبد المؤمن بن علي - العلامة السلطانية - يوم ١٦ (٧) من ربيع الأول عام ٥٤٣ هـ وتختفي بعد عشرة ايام من زيارته لضريح المهدي بن تومرت، في الرسالة التي حققها بروفنصال، المؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول من العام نفسه (٨).

وبين أربعة وعشرين رسالة كتبت عن الخليفة عبد المؤمن بن علي حققها بروفنصال، لم نجد اثرا للعلامة السلطانية ضمن رسائله.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٦، ص٤٩٨، وانظر النفح ج ٥، ص ٢٠٤ .

(٢) يذكر لسان الدين بن الخطيب انها قيلت بن يدي الخليفة يعقوب المنصور الاحاطة ج ١، ص ٥٠١ .

(٣) البيت ناقص في المصدر نفسه ج ١، ص ٥٠١، ومعجم الادباء، ج ١٠، ص ٢٢٠، والمغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ١٣٨.

(٤) في النفح، والمصدر السابق، بطرس،

(٥) حرف (الواو) ناقص في الاحاطة والنفح، والمغرب في حلى المغرب، ومعجم الأدباء، وقد اعتمدناه من كتاب مستودع العلاقة و Andalouse du tenps des almohades. une poetesse 49 b، بعد الاطلاع على الرسائل المخطوطة .

(٦) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٣٨، كتاب مستودع العلامة ومستودع العلامة لابي الوليد بن الاحمر، تحق محمد التركي التونسي ، ومحمد بن تاويت التطواني ص ٢٣، مطبعة المهدية تطوان المغرب ١٩٦٤، معجم الادباء ج ١٠، ص ٢٢٠ .

(٧) ذكر ابن عذاري ضمن احداث ٥٤٣ ان الرسالة كتبت يوم ١٥ وهو خطا انظر نظم الجمان، ص ١٥١ .

(٨) مجموع رسائل موحدية، ص ٥، الرسالة الثالثه .

وكان على بروفنصال أن ينتبه إلى كون المخطوط الذي استخرجه زميله جورج كولان عن القرويين غير أصلي، بل أعيد كتابة ما ورد فيه من رسائل بعد ان حذف منها العلامة السلطانية والبسملة والتصلية، إن لم تكن قد حذفت من قبل، وأعيد كتابة المخطوط مرة أخرى وربما مرات عديدة .

ونظرا لاختلاف خط الرسالة والعلامة السلطانية في الصور المخطوطة (١) والمكان الفارغ - البياض - الذي تكتب عليه العلامة السلطانية، الذي قدرنا تراوحه بين خمسة إلى سبعة سنتيمترات، نعتقد انه بعد الانتهاء من كتابة الرسالة تقرا على الخليفة او تقدم إليه فيقراها شخصيا، ثم يخط العلامة السلطانية، وهي عبارة عن توقيع وختم الخليفة ،وذلك بخط مخالف لخط الرسالة (٢)، وربما اتفق على استعمال لون مخالف كاللون الاحمر (٣)، وقد حذفت العلامة كاللون من معظم الرسائل التي أعيد جمعها وتحبيرها .

الاقتباس :

احتلت ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم حيزا كبيرا من الرسائل الديوانية الموحدية إذا ما قورنت بالاحاديث والابيات الشعرية، والامثال العربية القديمة، فَيَكَادُيندر ان تصدر رسالة ديوانية خالية من آية واحدة اقتبسها الكاتب بنصها الكامل او أشار إليها بطريقة محكمة غير مباشرة حيث يدمجها في كلامة، مستحضرا آية مناسبة لموضوعه فيدمج بعض الفاظها، ومعانيها في

---

(١) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج ٦ ص ٢٨. entre une lettre de lalmohade murtada Au pape innocent 4.photo inclue p 28 et 29 .

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٨ . Ibid p 4 photo inclue entre p 28 et 29 .

(٣) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ص ٣٢٩ .

محتوى العلامة بتصرف منه، ويجعلها موائية لسياق كلامة (١) والملاحظ انها لم تستعمل إلا نادرا ضمن الرسائل الديوانية الموحدية .

ويذهب شهاب الدين محمود الحلبي إلى (انه على صاحب هذه الصناعة) حفظ كتاب الله تعالى وادامة قراءته وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصدرا في فكره، دائرا على لسانه ممثلا في قلبه ذاكرا له في كل ماترد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها ويفتقر إلى إقامة الادلة القاطعة به عليها، وكفى بذلك معينا في قصده ومغنيا له عن غيره "(٢)

والواضح من الرسائل الديوانية الموحدية ان الاقتباس من القرآن الكريم ورد على أوجه عدة .

فالوجه الأول ترد الآية القرآنية بنصها الكامل، ومن ذلك قول عبدالمؤمن بن علي في رسالته الموجهة إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة بالعدوة من إنشاء أبي جعفر بن عطية المؤرخة في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٥٤٣هـ "... فالسعيد من لقي ربه مبرءا من اتباع الهوى سليما والشقي من اتى مليما باكتساب الكبائر (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه، وكان الله عليما حكيما)"(٣) (٤).

وأما الوجه الثاني فقد أورده ابن تومرت في كتابه الموجه إلى جماعة الموحدين ... يحثهم فيه على جهاد المرابطين، وفضح سياستهم، والملاحظ أن معظم الآيات التي وردت فيها مختصرة، ونرجع

---

(١) شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص ٣٤٣، تحقيق اكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ط ١٩٨٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢، نقل القلقشندي النص نفسه من حسن التوسل بصيغة مختلفة، انظر في صبح الاعشى، ج ١، ص ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٣) سورة النساء، آية ١١١.

(٤) نظم الجمان، ص ١٥٣ .

ان الآية القرآنية قد وردت بنصها الكامل في النسخة الاصلية ، لكن ناسخ الرسالة ، التي بين ايدنا كان كلما وجد آية طويلة حذف منها بعض الألفاظ مشيرا إليها بقوله (إلى قوله) ثم يكمل ما بقي من الآية القرآنية ومن ذلك قول ابن تومرت " ... عظم الله امر المجاهدين، وبين فضلهم ، واخبر ان الجهاد بالاموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم ، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ - إلى قوله - ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)"(١)(٢) .

وقوله - ابن تومرت - إن الله " اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي لا عين رات، ولا اذن سمعت ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل قال الله تعالى :(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ - إلى قوله - ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "(٣) (٤) .

اما الوجه الثالث فامتازت به رسائل التوقيعات حيث يرد الخليفة او الوالي ... على حادثة او رسالة بتوقيع منه ، يشمل آية قرآنية دون غيرها من الكلام ، فقد وقع الخليفة المنصور على رسالة القاضي الذي بعث إليه شخصين ليعلما ولده برسالة مختصرة ، لم يرد فيها إلا قوله تعالى " اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ظَهَرَ الْفَسَادُ

---

(١) سورة الصف، الآية ، ١٠، ١١، ١٢، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) .

(٢) امز ما يطلب، ص ٢٥٨-٢٥٩، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ج ١، ص ١٠٤ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١، (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

(٤) امز ما يطلب، ص ٢٥٨، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ج١، ص ١٠٤ .

فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) " (١)(٢) .

ويأتي بالوجه الرابع في اقتباس عدة آيات قرآنية لتعليل وإثبات القول، . وهذا ما لجأ إليه ابن تومرت في كتابه الذي يحض فيه الموحدين على الجهاد، حيث اقتبس مجموعة من الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الجهاد والحث عليه "(وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - إلى قوله - وَلَا يَحْزَنُونَ (أ) وقال تعالى:وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (ب) ... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا.. لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ، وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ (ج))"(٣) .

وأما الوجه الخامس فهو الإشارة إلى الآية الكريمة دون أي ذكر لها على أن تعرف من خلال الموضوع المطروق .

ففي أواخر عهد الموحدين كثرت الفتن والصراعات بين الخلفاء فبعث الخليفة ابو دبوس الواثق رسالة إلى المرتضى يتهمه

---

(١) آية ٤١، سورة الروم (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

(٢) رقم الحلل، ص ٥٨، ٥٩ تاريخ الدولتين ص ١٥، النفح ج ٤، ص ١٠٣، المؤنس، ص ١٢٢، الاستقصاء، ج ٢، ص ٢١٠.

(أ) آية ١٦٩، ١٧٠، من سورة آل عمران، (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(١٧٠).

(ب) آية ١٥٤ من سورة البقرة (ولا تقولو لمن يقتل في سبيل الله أمواتا بل احياء ولكن لا تشعرون) .

(ج) آية ١١٥، من سورة آل عمران (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ).

(٣) أعز ما يطلب، ص ٢٥٩، ٢٦٠، أعمال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ص ١٠٤، ١٠٥ .

باختلاس الأموال من الخزائن حيث يقول (١) "... ولم تزل ابدا تنتمي إلى الزهادة، وتتصف بالورع، ومن يكون كذلك افلا يليق به كنز الذهب ولا الفضة حتى يدفنه في الأرض وقد قال الله تعالى في الذين يكنزون الذهب والفضة ما قال . " (٢) .

ورد الخليفة يعقوب المنصور على هدية وصلته من بلاد السودان بقوله (٣) " نحن لانريد أن نكون اصحاب الفيل " (٤) وقد كانت الهدية التي وصلته فيلا .

أما اقتباس معاني القرآن الكريم بطريقة غير مباشرة، حيث يتصرف الكاتب في الآية فنستشهد له برسالة الخليفة المستنصر التي بعثها إلى أهل الأندلس لتعيين وال جديد على اشبيلية بعد موت واليها القديم حيث يقول (٥) " ... وكان لأهل اشبيلية إليه المتاب الذي رفته السنون وآنس به الآباء والبنون فإن الله على ذهابه وإنا إليه راجعون " (٦) .

ومن الرسائل التي اقتبس فيها الكاتب معاني القرآن الكريم بطريقة غير مباشرة رسالة الخليفة المستنصر حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الموجهة إلى الرعية عام ٦١٧هـ حيث يقول : (٧) "... تظهر من الأرجاس، وتتنقى الحواض من الأدناس وتسلم القلوب والجوارح من الوسواس الخناس " (٨) .

---

(١) إشارة إلى الآية القرآنية ، ٣٤، من سورة التوبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

(٢) البيان المغرب، (قسم الموحدين) ص ٤٤٢، ٤٤٣ .

(٣) النفح، ج ٤، ص ١٠٢ .

(٤) إشارة إلى الآية ١، ٢ من سورة الفيل :(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) .

(٥) إشارة إلى الآية القرآنية، ١٥٦، من سورة البقرة (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

(٦) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٧ .

(٧) اقتباس من الآية ٤ من سورة الناس(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) .

(٨) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٧ .

وفي رسالة بيعة الخليفة عبدالواحد يقول والي بلنسية، السيد ابو زيد :(١)"... وقد جعل الله سبحانه اتفاق الكلمة على النجاح عنوانا، وقبض لدينه انصارا من أهله وأعوانا وألف بين قلوب إخوانه فاصبحوا بنعمته إخوانا "(٢) .

وفي الكتاب نفسه يقول : (٣)"... وعاد الناس بعد الوجوم ببشرى من مزن سريع سقياهم، وفي نزوتها حصنوا دينهم ودنياهم، وكأنما الله سبحانه، قال لهم موتوا ثم احياهم " (٤).

تضمين الأحاديث:

ولم تقتصر الكتب الديوانية الموحدية على اقتباس الآيات القرآنية بنوعيها الحرفي أو دمج بعض الفاظها في سياق الكلام بل شملت الاحاديث الشريفة كذلك، وعن هذا الموضوع يقول شهاب الدين محمود الحلبي، (٥)"... (إن) حفظ الأحاديث النبوية - صلوات الله على قائلها وسلامه - وخصوصا في السير والمغازي والأحكام والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها وفقه مالا بد من معرفته في احكامها، لينفق منها عن سعة، ويستشهد بكل شئ في موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل على المقصد إذا استند إلى النص سلم له وسلم والفصاحة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من اوتي جوامع الكلم " .

---

(١) اقتباس من الآية ١٠٣، من سورة آل عمران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

(٢) مصور مخطوط جائزة الحسن الثاني ورقة ٤ أ الخزانة العامة (١٩٨١) الرباط د ٤٥٠٦ .

(٣) اشارة إلى الآية القرآنية ٢٤٣ من سورة البقرة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) .

(٤) مصور مخطوط جائزة الحسن الثاني ورقة ٤ أ الخزانة العامة (١٩٨١) الرباط د ٤٥٠٢ .

(٥) حسن التوسل، ص ٧٨، نقل القلقشندي النص نفسه من حسن التوسل بصيغة مختلفة انظر في صبح الاعشى، ج١، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

والملاحظ ان الاحاديث النبوية, قليلة جدا في مقابل الآيات القرآنية، ولم تات إلا نادرا جدا في الكتب الديوانية الموحدية باستثناء الداعية ابن تومرت فإنه يندر ان تصرد عنه رسالة خالية من حديث نبوي .

واول كتاب نستهل به حديثنا عن تضمين الاحاديث الشريفة) رسالة ابن تومرت الموجهة إلى عامة الموحدين وقد استهلها بقوله (١) " وهذا الوعيد العظيم والعذاب الاليم في من ركن إليهم (٢) فكيف بمن اعانهم بنفسه) وماله على سفك دماء المسلمين واخذ اموالهم ومعونتهم على ظلمهم ولو بدرهم واحد، لما رواه كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(اعيذك بالله كعب بن عجرة من امراء يكونون بعدي فمن غشي ابوابهم وصدقهم على كذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه اولا يرد علي الحوض ومن لم يغشي ابوابهم، ومن لم يصدقهم على كذبهم)ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه)وسيرد علي الحوض)"(٣)(٤) .

واستمر ابن تومرت في الرسالة نفسها) ثم استشهد بحديث نبوي آخر ".. لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لما رواه عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (على المرء المسلم السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية فإن امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة عمايطول تتبعها "(٥) (٦) .

---

(١) الرسالة مبتورة البداية .

(٢) يقصد المرابطين .

(٣) سنن الترمذي لابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحق احمد شاكر، ج٢ ص ٥٢ . ٥٣، رقم ٦١٤، مسند الامام احمد بن حنبل، ج٣ ، ص ٣٢١، المكتب الاسلامي للطباعة ونشر بيروت، ط ٢، ١٩٧٢.

(٤) documents inedits dhistoire almohade p1 texte arabe

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل، والحديث ورد على الصيغة التالية (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فإن امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

(٦) ibid , p 2 texte arabe

ويستمر ابن تومرت في الرسالة نفسها الموجهة الى جماعة الموحدين، وعندما ينتقل إلى موضوع الجهاد يقول "... وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد)" (١)(٢).

وكذا الحال بالنسبة إلى الحديث الاتي فقد أورده ابن تومرت في الرسالة نفسها عندما تطرق إلى موضوع الخمر "... واجتنبوا الخمر فإنها أم الفواحش ولا تشربوها، ولا تبقوها ولاتعصروها ولا تبيعوها، ولا تبتاعوها فإنها رجس من عمل الشيطان، وشاربها ملعون لما رواه عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه)"(٣)(٤).

وفي الرسالة المنظمة نجده يحث الموحدين على الجهاد ويضرب لهم مثلا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ... فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الشهادة أمر بذلك أصحابه وتمنى القتل في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم أوددت أني أقاتل في سبيل الله فاقتل ثم أحيا، فأقتل ثم أحيا فاقتل)"(٥)(٦) .

---

(١) سنن الترمذي، ج ٤ ص٢٢، رقم ١٤٢١ والحديث ورد على الصيغة التالية ("من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد).

(٢) documents inedits dhistoire almohade p2 texte arabe

(٣) مسند الامام أحمد، ج ١، ص ٣١٦، ج٢، ص ٤٧، سنن أبي داود، ج٣، ص ٣٦٤،ص ٢٢٥. الدار المصرية للطباعة ط ١٩٨٨.

(٤) ibid p 5 texte arabe

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل، ج٢ ص ١٤٢، صحيح البخاري، ج١ ص ١٦،١٥، تحق احمد محمد شاكر، دار الجيل بيروت، الموطا للامام مالك، تحق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء الكتب المصرية ج ٢ ، ص ٤٦٠، رقم ٢٧، سنن النسائي، بشرح الجلال الداني السيوطي وحاشية الامام السنوسي ج ٣، ص ٣٢، ٣٣، دار الكتب المصرية، ١٩٨٧،وانظر اختلاف الروايات الواردة بالمصادر المذكورة.

(٦) أعز ما يطلب ص ٢٥٩، أعمال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج ١، ١٠٤ .

وضمن ابو جعفر بن عطية في رسالته الشاملة لأنواع الأوامر - الأمر المعروف والنهي عن المنكر - حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :" ... والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : من قتل عصفورا بغير حق عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول : (يارب سل هذا فيما قتلني عبثا من غير منفعة)"(١)(٢).

وفي الرسالة نفسها ضمن ابو جعفر بن عطية قول الرسول صلى الله عليه وسلم "(... المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى لذمتهم ادناهم وهم على من سواهم)"(٣)(٤) .

وفي رسالة السيد عبدالرحمن ابن الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن ابن علي بخط الكاتب ابي بحر صفوان بن إدريس الموجهة إلى الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة ، نجده يرد عليه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما اراد الملك أن يبعده عن المسلمين فضمن له قول الرسول الكريم "... (من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله ولا وجه له ")(٥)(٦) .

وفي كتاب الخليفة المرتضى الموجه إلى أهل سبتة ضمن لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "... قال نبينا عليه السلام (إنني لم

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ١، ص ٢٤٠، ج٣، ص ٢٦٧، ص ٢٧٣، سنن النسائي ج٧ ص ٨٤، ٨٥، سنن ابي ماجة ج ١ ص ١٢ تاليف محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي بيروت ط ١ ١٩٨٠. الحديث ورد على الانسان وليس على العصفور .

(٢) نظم الجمان، ص ١٥٤.

(٣) مسند الامام احمد بن حنبل، ج١، ص ١٢٢ ص ٢١٤، سنن النسائي ج ٨، ص ٩، ١٠، ص ١٩، ٢٠، والحديث جاء على الصيغة التالية " المؤمنون تتكافو دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم ادناهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهد ."

(٤) نظم الجمان، ص ١٥٥.

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل، ج١ ص ٣٨٧، ج٢، ص ١٣٣، والحديث ورد على الصيغة التالية " من فارق الجماعة واستذل الامارة لقي الله عزوجل ولا وجه له عنده " وهو اقرب الاحاديث .

(٦) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٣ .

أبعث لأنقب على قلوب الرجال)" (١) (٢) .

وبعد استعراضنا معظم الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الكتب الديوانية الموحدية التي بين أيدينا تبين لنا أنه على الرغم من قلتها فإنها ترد على صيغ مختلفة في مختلف كتب الصحاح التي رجعنا إليها وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الكاتب يستحضر الحديث النبوي فيدونه من ذاكرته دون التأكد من صحته ورواية الحديث كما ورد في الأصل .

التنويع بين النثر والشعر :

اتضح لنا أن تضمين الأبيات والقصائد الشعرية في الرسائل الديوانية قليل جدا، مقارنة بالفترة الزمنية الطويلة التي حكم فيها الموحدون المغرب والأندلس، ونرى أن الكتب الديوانية لما تحمله من أمور رسمية وسياسية، ومنشورات إدارية جعلت الكاتب الديواني يبتعد عن الاستعانة بالشعر في الرسالة لأنه يكتفي بصياغة الفكرة التي طرحها عليه الخليفة أو الوالي، أو القاضي ولذلك فإنه لا يعقل أن ترد أبيات شعرية ضمن كتب المعاهدات أو الاعتداءات أو التقاديم أو التبادلات التجارية .

إلا أننا وجدنا القلقشندي يقول .(٣) " (إن) الملوك والخلفاء إذا كتبوا إلى من ضاهاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو المرتبة فإنه لا يمنع التمثل بأبيات الشعر فيها تطريز للنثر والنظم " .

أما الأبيات التي ضمنت في الرسائل، فوردت في بعض كتب الفتوحات، وبشرى الانتصارات، والعتاب و والتوقيعات .

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٣، ص ٤، صحيح مسلم ، ج٢، ص ١٢، والحديث ورد على الصيغة التالية، "انني لم اومر ان انقب على قلوب الناس ولا اشق بواطنهم " .

(٢) مخطوط الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٧٥٢، ورقة ١٥ .

(٣) صبح الاعشى، ج ٦، ص ٢٩٥ .

ومن ذلك كتاب الخليفة المامون بخط يده يعاتب فيه أهل اندوجر* فيختمه بقوله (١) "... ولا يعودنكم الاجتراء إلا لنبذكم بالعراء، وادواء الأهواء بالسيف تتحسم .

إذا رايتم (٢) نوب الليث بارزة   فلا تظنون (٣) أن الليث مبتسم (٤)

والملاحظ أن الخليفة المامون وافق بين السجع وقافية بيت المتنبي وهو عكس ما صرح به الكلاعي في قوله (٥) :"... وكان المجيد كثيرا ما يضمن في رسائله اشعاره واشعار غيره - فكان إذا ضمن اشعاره يوافق بين قافيتها وبين السجع الذي قبلها ليعلم بذلك أن الشعر له وكان إذا ضمن اشعار غيره خالف بين السجع والقافية "

والظاهرة نفسها استعملها ابو جعفر بن عطية بمناسبة انتصار الموحدين بوادي ماست حيث يقول (٦):"... جمع اشتات (الطلب والارب) (٧) وتقلب في النعم اكرم منقلب وملأ دلاء (الامال) (٨) الى عقد الكرب .

فتح تفتح أبواب السماء له   وتبرز الأرض في اثوابها القشب"(٩) (١٠)

---

* اندوجر = Andujar بلدة مقاطعة جيان، وتقع شمال شرقي قرطبة، المن بالامامة ص ١٩٧ هامش رقم٢ .

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦، البيت ناقص من الاحاطة، ج١، ص ٤١٦، ويذكر لسان الدين ابن الخطيب في المصدر نفسه أن الرسالة واردة بكتاب المغرب (المغرب في حلى المغرب) لكننا لم نقف عليها .

(٢) في الاصل نظرت،   (٣) في الاصل تظنن .

(٤) ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه ووضع فهارسه، مصطفى السقا، ابراهيم، الابياري، عبدالحفيظ شلبي، ج٢، ص ٣٦٨، دار المعرفة .

(٥) إحكام صنعة الكلام ، ص ٦٢..   (٦) إعتاب الكتاب ص ٢٢٧ .

(٧) في الاحاطة والاعلام بمن حل بمراكش من الاعلام (الطلب والادب)

(٨) في النفح والاستقصاء (الامل)

(٩) شرح ديوان ابي تمام ص ١٨، ضبطه وشرحه شاهين عطية بيروت ط ١، ١٩٨٦ .

(١٠) الاحاطة ج ١، ص ٢٦٩، النفح، ج٧، ص ١٨٧، الاستقصاء، ج٢، ص ١١١، ١١٢، الاعلام بمن حل بمراكش و اغمات من الاعلام ص ٢٢٠، (النص ناقص من الروض المعطار مادة (ماست) .

ويذكر ابن خلكان في ترجمته لابن تومرت انه كان يتمثل بقول المتنبي :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ (١)　　فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ (٢)
فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ　　كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

وقوله :

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَامَ مَعْرِفَتي بِهَا　　وَبِالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ　　وَلَا فِي الرَّدَى الجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ (٣)

وقوله :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالعَيْشِ فِيهِمْ　　وَلَكِنْ مَعْدَنُ الذَّهَبِ الرُّغَامِ " (٤)(٥)

واستشهد الخليفة المنصور ببيت المتنبي في توقيعه على رسالة الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة :

وَلَا كُتُبَ إِلَّا المَشْرِفِيَّةِ وَالقَنَا (٦)
وَلَا رُسُلَ إِلَّا الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ "(٧)(٨)

واستشهد الكاتب عبدالله بن عياش في رسالة عن الخليفة محمد الناصر بظاهر المهدية ببيت لأوس بن حجر " ... وقال لنفسه الخبيثة لو اطاعته :

ايها (٩) النفس اجملي جزعا　　إن الذي تحذرين قد وقعا (١٠)(١١)

---

(١) في الاصل، صغير، (٢) ديوان المتنبي ج٤، ١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ٧٠ .

(٥) وفيات الاعيان، ج٣، ص ٥٤، ٥٥ .

(٦) في الاصل عنده والأنيس المطرب، ص ٢٢١.

(٧) ديوان المتنبي، ج٣، ص ٣٥٢.

(٨) النفح، ج٤ ص ١٠١، وغيره من المصادر .

(٩) في الاصل ايتها .

(١٠) ديوان اوس بن حجر، ص ٥٣، تحق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ط ٤ .

(١١) مجموع رسائل موحدية، ص ٢٥٣، الرسالة السابعة والثلاثون.

وفي كتاب أبي بحر صفوان بن إدريس عن السيد عبدالرحمن بن يوسف بمرسية استشهد ببيت للفرزدق حيث يقول (١)"... ثم دعوتنا أن نخلع عن الطاعة يدا، وما نراك اعتقدت ذلك علينا إلا نعمة ويدا "

أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّمَا (٢)
أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الحِمَارَ المُقَيَّدَا (٣)

وفي الرسالة الثانية لأهل قرطبة الموجهة إلى الخليفة المنصور أثناء، تقديم البيعة بولاية العهد لمحمد الناصر ابن الخليفة المنصور في ذي القعدة عام ٥٨٨هـ استشهد الكاتب ببيت لابي العتاهية حيث يقول " ... وانفذ له بها حكمة السابق وامضاه، فهو كان بأحق بها وأهله .

وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا " (٤) (٥)

ولم يقتصر الكاتب الديواني الموحدي على التنويع بين الشعر والنثر بل تجاوزهما إلى نثر الأبيات الشعرية ودمجها في سياق كلامه فمن ذلك رسالة أبي بحرصفوان بن إدريس عن محمد بن السيد عبدالرحمن ابن الخليفة يوسف الموجهة إلى ملك قشتالة وطليطلة في منتصف ذي الحجة عام ٥٨٤هـ التي نثر فيها بيت جرير حيث يقول "... فقف في حالة وردك وصدرك وقفة العير وغض الطرف إنك من نميـر) (٦) (٧) (٨)".

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ٣٤ .

(٢) في الأصل فربما .

(٣) ديوان الفرزدق ج١، ص ١٨٠، دار صادر ١٩٦٠.

(٤) البيت غير وارد بديوان أبي العتاهية، انظره في كتاب الأغاني، تأليف أبي الفرج الاصفهاني ج٤، ص ٣٣، دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة والنشر . ورد البيت في وفيات الأعيان ج١،ص ٢٢١، على الشكل التالي :

فلم تك تصلح إلا له ولم تك يصلح إلا لها
وقبله في وفيات الاعيان :
أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

(٥) مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨، ورقة ١١٦٧ كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٢، ج٢ ص، ١٧١ عام ١٩٥٠.

(٦) حرف الراء مطموس تماما .

(٧) شرح ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ص ٧٩ منشورات المكتبة للحياة بيروت .

(٨) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ٣٥ .

ونثر بيت أبي تمام من قصيدته في فتح عمورية ضمن رسالة وجهها الخليفة عبدالمؤمن بن علي بظاهر قسنطينة إلى ولده يوسف حيث يقول (١) "... وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء واشرقت بانوارها دياجير الظلماء "(٢) .

ونثر عبدالله بن عياش البيت نفسه في رسالة وجهت إلى الأمة بمناسبة فتح المهدية ، عن الخليفة محمد الناصر حيث يقول (٣) "... واملئوا الصدور بما يرويه لكم من احاديثها كل وارد وصادر فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء " (٤) .

ونثر الكاتب نفسه بيتاً للمتنبي في رسالة عن الخليفة محمد الناصر حيث يقول (٥)"... ثم أمرنا بالمجانيق فزحف بها إليه تقذف حجارة كالجبال عليه وانشئ عليهم سحاب مكفهر من النبال تنكسر منه النصال على النصال " (٦) .

ولم تقتصر الكتب الديوانية على النثر او التنويع بينه وبين الشعر بل تعدتهما ، فجاءت بعضها شعرية بكاملها ، وقد أورد ابن صاحب الصلاة قصيدة للفيلسوف ابن طفيل من الخليفة يوسف وجهت الى عرب بني هلال يستدعيهم إلى الجهاد بالاندلس واستهلها بقوله :(٧)

أَقِيمُوا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ المَغَارِبِ
لِغَزْوِ الأَعَادِي وَاقْتِنَاءِ الرَّغَائِبِ
وَاذْكُروا المَذَاكي العَادِيَاتِ عَلَى العِدَى
فَقَدْ عُرِفَتْ لِلْحَرْبِ جُرْءَ السَّلاهِبِ "

---

(١) المن بالامامة ، ص ٨١ ، البيت ناقص مسن البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٦٣ .

(٢) فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض في اثوابها القشب شرح ديوان ابي تمام ، ص ١٨ .

(٣) الاحاطة ج ٢ ، ص ٤٨٧ ، المرقصات المطربات ص١٢ ط ١٢٨٦هـ ص١٨ ، ط١٩٧٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٤٦٢ ، النص ناقص من الروض المعطار مادة (شلبطرة) .

(٦) قصرت إذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال ، شرح ديوان المتنبي ج ٣ ص ١٧٢ .

(٧) المن بالامامة ، ص ٣٢٥ .

واورد ابن صاحب الصلاة كذلك)قصيدة ليوسف بن عبد المؤمن بن علي أثناء ولايته على إشبيلية وجهها إلى والده، يستنجده، ويطلب منه الجواز إلى العدوة الأندلسية حيث استهلها بقوله (١):

هُوَ الأَمْرُ أَمْرُ اللّهِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ ... يُؤَيِّدُهُ أَيْدٌ وَيَسْمُو بِهِ حَـــدُّ

وَقَدْ وَضَحَتْ آيَاتُهُ وَأَبَانَـــــهُ ... وَقَدْ أُفْحِمَتْ رُعْيًا بِهِ أَلْسُنٌ لُدُّ

وجمعت القصيدة النثر والشعر وجاءت في خمسة عشر بيتا وعندما قراها الخليفة رد عليها برسالة مماثلة شملت خمسة وثلاثين بيتا استهلها بقوله "(٢)

تَسَنَّى لِأَهْلِ الحَقِ نَيْلَ مَرَادِهِمْ ... وَطَابَ لَهُمْ فِيمَا يَرُومُونَهُ الوِرْدُ

وَيَسِرَتْ الأَسْبَابُ فَاخْتِيرَتِ المُنَى ... وَأُحْكِمَتْ الآمَالُ فَانْتَفَى الجَـحْدُ

والملاحظ أن ابيات الخليفة عبد المؤمن بن علي جاءت على القافية نفسها التي أرسلها ابنه يوسف/ولم يكتف بالقافية بل جعلها على البحر الطويل)وهو البحر نفسه الذي جاءت عليه القصيدة.

ونختم كلامنا عن التنويع بين الشعر والنثر في الرسائل الديوانية الموحدية بتعليل القلقشندي في تفسيره ظاهرة الشعر في الرسائل الديوانية حيث يقول (٣) "... واما الشعر فيورد حيث يحسن إيراده ويمنعه حيث يحسن منعه وليس كل مكاتبة يحسن فيها إيراد الشعر بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب إليه ".

الأمثال العربية القديمة :

كما كان للتراث الديني والشعري نصيب في الكتب الديوانية الموحدية)كان للامثال العربية القديمة حظّ إلى جانبيهما)فجاءت هذه تقارن وضعا بوضع/وتشبه حالا بحال لتدعيم القول وتثبيت الراي ، كما فعل الكاتب بالآيات القرآنية)والأحاديث الدينية)والابيات الشعرية، يقول القلقشندي عن طريقة استعمال الأمثال العربية القديمة في

---

(١) المن بالامامة، ص ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٠ .

(٣) صبح الاعشى، ج ٢، ص ٢٩٦ .

الرسائل،"(إن الكاتب إذا أكثر) من حفظ الأمثال الشائع استعمالها انقادت إليه معانيها، وسبقت إليه ألفاظها، في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع والأحوال، فاودعها في مكانها، واستشهد بها في موضعها، والطريق في استعمالها في النثر كما في حل الأشعار واستعمالها إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل الفاظها ولا يتغير أوضاعها لأنها بذلك قد عرفت واشتهرت "(١) .

فهذا والي مرسية السيد عبدالرحمن ابن الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن يرد على كتاب الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة الذي حاول استمالته وتحريضه على المسلمين ووالده، حيث يقول (٢) " ... وهيهات إنما رويت أن تذكي بنا على المسلمين مر الجلاء، فامتنعت كما ظننت وانعت فيما زعمت، ولكنك تحيلت في الذي خيلت، وتفكرت فيما ذكرت ولنفسك يا ابن البغي بغيت واسرت الحسوحين ارتغيت رويدك لا تسرف علينا كيدك، وعلى رسلك فلا حاجة لنا إلى امتراء رسلك وحنانيك إن كنت ذا طب قطب لعينيك " (٣) ثم ضرب له مثلا ثالثا

----

(١) صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٥٣

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٤ .

(٣) في النص مثلين الاول هو " اسرت الحسوحين ارتغيت " ويضرب للانسان الذي يوهم الناس انه معهم ويساعدهم، ولكنه يجر النفع لنفسه، والاصل فيه ان يؤتى باللبن فيه انه يريد الرغوة فقط ولكنه في الوقت نفسه يحسو اللبن معها ... الميداني، مجمع الامثال ج ٣ ص ٥٢٥، رقم ٤٦٧ تحق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الجيل بيروت ط ٢، ١٩٨٢، ابو عبيد البكري فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٧٦، تحق د. احسان عباس، د عبدالمجيد عابدين مؤسسة الرسالة ط ٣، ١٩٨٣، الزمخشري المستقصى في امثال العرب ج ٢، ص ٤١٩ رقم ١٥٣٦، لسان العرب مادة (رغا) " يسر حسوا في ارتغاء "
والمثل الثاني هو " ان كنت ذا طب فطب لعينيك، ويضرب لمن يدعي علما لا يحسنه فإذا كان عالما او طبيبا فاليعلم نفسه ويطببها، المستقصى في امثال العرب ج ٢، ص ٤٠٦، رقم ١٥١١ . لسان العرب، مادة طبب، ابو الهلال العسكري، جمهرة الامثال ج٢، ص ٤٢٣، ٤٢٤ . رقم ١٩٤٤ . تحق ابو الفضل ابراهيم عبدالمجيد قطاش كتاب الامثال ، ص ٢٠٧رقم ٦١٨ .

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ص ٣٥ .

في آخر الرسالة والمتمثل في قوله " وقد أعذر من أنذر"(١) .

والمثل نفسه ختم به ابن تومرت رسالته التي هدد فيها حكم المرابطين حيث قال " ... وكتابنا هذا إعذار وإنذار، وقد أعذر من أنذر " (٢) .

ومن رسائل الجهاد كتاب ابن تومرت الموجه إلى جماعة الموحدين حيث يقول " ... نسأل الله تمام النعمة التي أنعم فيها علينا والمزيد فيما به أحسن إلينا، فمن كان، على هذا فهو منا ومن حزبنا، وعند الصباح يحمد القوم السرى "(٣)(٤).

وضمن كتاب الشكاية الموجهة من عبيد الحضرة إلى الخليفة محمد الناصر، استشهد الكاتب أبو محمد بن حامد بالمثل نفسه " ... ولولا ضلالهم لمحو سرى ذلك الصباح " (٥).

ومن الرسائل التي تعود الخلفاء الموحدون، إرسالها إلى الرعية يخبرونهم بانتصاراتهم وفتوحاتهم، كتاب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي، الصادر من مدينة قفصة عقب شهر رجب من عام

---

(١) يضرب لمن أنذرك ونبهك فقد أصبح معذورا عندك، كتاب الأمثال، ص ٢٢٦ رقم ٦٩٥، فصل المقال ص ٣٠٥، مجمع الأمثال ج٢ ص ٣٦٣، رقم ٢٤٩٦، لسان العرب، مادة (عذر)، جمهرة الأمثال ج ١ ، ص ١٦٢، رقم ١٦٧.

(٢) الحلل الموشية ، ص ١١١.

(٣) المثل الوارد في النص، هو عند الصباح يحمد القوم السرى . ويضرب في الحث على مزاولة ومتابعة الأمور، وتحمل المشقة لابتغاء الراحة ، والهدف المطلوب، كتاب الأمثال، ص ١٧٠، رقم ٤٧٠ ، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص ١٦٨، رقم ٥٧٠ مجمع الأمثال ج٢ ص ٣١٨، رقم ٢٣٨٣، أبو طالب المفضل بن سلمة ، كتاب الفاخر، ص ١٥٨، ١٥٩، تحقيق شارلس ابزوس استوري ط ٢، ١٩٨٢. جمهرة الأمثال، ج٢ ص ٢٤، وذهب القلقشندي، أنه يضرب للترغيب في السير في الليل والحث عليه ، صبح الأعشى ج١، ص ٣٤٨.

(٤) Document inedit dhistoire almohad p8 texte arab

(٥) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٢٢ .

٥٧٦هـ يبشر اهل اشبيلية بتمام فتح المدينة ، واقتحامها من طرف الجيش الموحدي حيث يقول " ... لقد كان باض فيها الشيطان وفرخ ودعاهم الى محاربة الله " (١) (٢) .

الايجاز والأطناب

احتلت الرسائل الديوانية التي بين ايدينا مرتبة وسطى بين الطول والقصر وهذا عكس ما ذهب إليه حسن جلاب في قوله انها امتازت بالطول، وأن معظمها تجاوز عشر صفحات، ومنها ما وصل عشرين صفحة (٣).

لان المادة المتوافرة لديه لا تسمح له أن يخرج بمثل هذه النتيجة ، فما كان اعتماده إلا على عدد قليل مما توافر لديه من الرسائل الديوانية ، المتناثرة بين صفحات المصادر المطبوعة كالبيان المغرب، ونظم الجمان والحلل الموشية والمن بالامامة ومجموعة بروفنصال وعلى الرغم من أن رسائل المن بالامامة وبروفنصال امتازت إلى حد ما بالطول، فإن كثيرا منها ظهر عليه الإيجاز كرسائل البيعة ،أما الرسائل الست التي حققها بروفنصال ونشرها عام ١٩٢٨ بباريس (٤) فامتازت في معظمها بالايجاز على الرغم من ظهور البتر عليها.

وأما قوله - حسن جلاب- أن بعض الرسائل وصلت الى عشرين صفحة (٥) فإن الباحث لم يتوصل إلى إكتشاف ذلك بين المصادر المذكورة

---

(١) اصل المثل " بَاضَ فيها وفرخ، يضرب لمن اتخذ مقرا مسكنا له فلا يغادره ابدا ، وهو شبيه بالطائر الذي يجلس على بيضة مدة طويلة المستقص في امثال العرب ج٢، ص ٢٤٦، رقم ٨٤٤، مجمل الامثال ج١، ص ٩٤ رقم ٢٣٩ لسان العرب مادة (فرخ) .

(٢) مخطوط العطاء بالجزيل في كشف غطاء الترسيل ، (الزوائد)، ورقة ٤ .

(٣) الدولة الموحدية ، اثر العقيدة في الادب، ص ١٣٨.

(٤) Documents ine dits dhistoire almohade pp1-17 texte arabe.

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٣٨.

أعلاه، وأما الرسالتان اللتان وردتا بالحلل الموشية (١) فامتازتا بالايجاز فالثانية نالت شهرة كبيرة في تاريخ الموحدين، وهي التي الغى بها الخليفة المامون مراسيم المهدي بن تومرت، وقد وردت في غير الحلل الموشية (٢).

وأما الأولى فهي لابن تومرت، ولو انها جاءت خالية من البسملة والتصلية فقد ظهر عليها - في مجملها - التماسك، وعدم البتر، ولم يشر إليها الكاتب ضمن مجموعته المستخرجة، ومن خلالها يهدد ابن تومرت المرابطين بقوله (٣) : إلى القوم الذين استلزمهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية والشرذمة الطاغية اللمتونية اما بعد فقد امرناكم بما نامر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء والجنة لمن اتقى والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق. بوجوب السنة، فان اديتموها كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حق نمحوا آثاركم ونهدم ديارهم وحتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا، وكتابنا هذا إليكم إعذار وإنذار وقد أعذر من انذر والسلام عليكم، سلام السنة لا سلام الرض".

أو رسالة الثانية الموجهة للمرابطين كذلك " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، اما بعد يا عضو الديار وعباد الفساق الأشرار فقد كاتبناكم بالبنان وخاطبناكم بالبيان حتى سار كالبدر واستمر مرور الدهر فلم تجيبوا ولا أطعتم بل تثاقلتم عن الحق وعصيتم وأن الله سينتقم منكم لأوليائه نقمة من كان قبلكم من الأمم الجاحدة والفرق المعاندة فانتظروا سيف الدم ينهلكم وحجارة المدر تدفعكم ثم لا يكون لكم

---

(١) الحلل الموشية، ص ١١١، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٤، ١٦٥، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١.

استرجاع ولا يقبل فيكم استشفاع وهذه خيل الله قد اظلتكم وجلها وطغى عليكم سيلها فتأهبوا للموت والسلام على من اتبع الهدى هداه ولم يغلب عليه هواه ورحمة الله وبركاته " (١).

وهذا ما امتازت به كتب ابن تومرت باستثناء كتابه الموجه الى جماعة الموحدين (٢) فإن ما جعله على هذه الصورة هو ميله إلى تبسيط الأمور للعامة، وحرصه على الاستشهاد بمعظم الايات القرآنية التي تناولت موضوع الجهاد، وبعض الأحاديث النبوية والاقوال المأثورة، ولولا ذلك لا حتلت هي الاخرى مرتبة وسطى بين الايجاز والاطناب.

ويذهب الكلاعي في قوله عن الاطناب" (إنه) يكتب به إلى عامة، وتفرع به آذان جماعة كالملح بين العشائر والتحضيض على الحرب والتحذير من المعصية " (٣).

لكن هذا لا ينطبق على رسالة الجهاد المكتوبة عن الخليفة العادل الموجهة لأهل اندوجر (٤) اورسالة ابن تومرت (٥).

ومع أن ابن عذاري لم يورد إلا الخبر الأساسي في الرسائل التي استشهد بها في البيان، فإننا أعدنا بناء رسالة فتح حصن شلبطرة * معتمدين في ذلك على النص الآخر الذي اورده الحميري (٦).

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٩٣ بيروت ١٩٠٨.

(٢) امز ما يطلب، ص ص ٢٥٧-٢٦٤، اشغال المؤتمر لاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ج ١ ص ص ١٠٢-١١٠.

(٣) إحكام صنعة الكلام، ص ٩٥.

(٤) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧٠-٢٧١.

(٥) documents inedits dhistoire almohade, pp 8-10 texte arabe.

(*) شلبطة = salvatierra حصن من حصون الاندلس من عمل قلعة رباح فتحه الموحدون عام ٦٠٨ هـ الروض المعطار مادة شلبطة.

(٦) الروض المعطار صفة جزيرة الاندلس، مادة (شلبطرة).

او رسالة ابي جعفر بن عطية التي استشهد بها ابن الأبار (١) والحميري(٢) ولسان الدين بن الخطيب (٣) وعباس بن إبراهيم المراكشي (٤) والمقري (٥)،والناصري (٦).

فقد امتازت هي الاخرى بمرتبة وسطى بين الإيجاز والإطناب، ولو انها من رسائل الانتصارات وهذا عكس ما ذهب إليه شهاب الدين محمود الحلبي في قوله : إن رسائل التهاني تمتاز بالاطناب (٧).

ونرى أن الموقف هو المقياس الوحيد الذي يتحكم في إيجاز وإطناب الرسالة وينال الموضوع النصيب الثاني في بنية الرسالة، ومحتواها.

فكما امتاز كتاب بيعة أهل إشبيلية للخليفة يوسف بالايجاز (٨)/امتاز كتاب العهد لمحمد الناصر من اهل قرطبة بالإطناب (٩) ، وكما امتازت معظم كتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاطناب (١٠)،جاء كتاب الخليفة المامون في الموضوع نفسه معتدلا (١١).

وبناء' عليه فلا يمكن أن يجزم كون الرسائل الديوانية الموحدية ظهر عليها الإيجاز أو الإطناب ، أو توسطت الاثنين ، لأن لكل مقام مقالاً فقد يتطلب الموقف الإيجاز كما تطلب الإطناب.

---

(١) اعتاب الكتاب ، ص ص ٢٢٧-٢٢٩. (٢) الروض المعطار مادة (ماست).

(٣) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، ص ص ٢١٩-٢٢١.

(٥) النفح ، ج ٧ ، ص ص ٢٨٦-٢٨٨ . (٦) الاستقصاء ج ٢ ، ص ص ١١١-١١٢.

(٧) حسن التوسل ، ص ٣٣٥ . (٨) المن بالامامة ، ص ص ، ٢٥٩-٢٦١ .

(٩) مخطوط الاسكوريال ، رقم ٤٨٨ ، ورقة ١٦٣ب - ١١٦٨ ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرية م ١٢ . ج٢ ديسمبر ١٩٥٠ ص ص ١٦٦-١٧٢.

(١٠) نظم الجمان ، ص ١٥٠-١٦٧، مجموع رسائل موحدية ص ص ١٢٦-١٢٨، الرسالة الثالثة والعشرون.
doumients inedts dhistoire almohae appendie no 1
p p 134 - 145 texte arabe، المن بالامامة ص ص ٢٣٨-٢٤٤.

(١١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

واما المادة المتوافرة لدينا فهي لا تشمل كل الفترة الزمنية لحكم الموحدين لاننا لو رتبنا الرسائل ترتيبا زمنيا ، سنقع في فجوة كبيرة الواقعة بين الواحد والعشرين من شهر رمضان من عام ٦١٢هـ (١) والعاشر من شهر ربيع الأول من عام ٦١٧هـ (٢) لم نعثر على رسالة واحدة في حياة الخليفة المستنصر خلال هذه الفترة ، وهذا لا ينفي ان تكون هناك رسائل مخطوطة غير معروفة تعكس معظم هذه الآراء وربما اثبتتها.

ومما يستخلص من بعض الرسائل المخطوطة انها غير اصلية بل اعيد تحبيرها بعد جمعها فحذف منها الصدر والخاتمة ، وتدخل جامعها في بعض الاحيان فحذف امورا كثيرة من متنها كما نقف على ذلك في رسالة طلبة قرطبة الموجهة إلى الخليفة محمد الناصر حيث تدخل جامع الرسالة بقوله :(٣)"... وكان بعد هذا دعاء للحضرة الامامية يليق بمقامها العظيم لم يثبت في المبيضة ، ولم اذكره عند نقل المبيضة إلى هنا لبعد العهد بذلك التاريخ ، إذ كان نقل المبيضة في شهر رمضان المعظم في سنة تسعين وخمسمائة ولم اذكر شيئا من الدعاء الثابت في آخر كتاب البيعة ".

وقوله (٤)"... وتتابعت الأسماء حتى كملت أسماء الحاضرين من اهل الحاضرة والمستنفرين من اهل البادية والحمدالله رب العالمين ". وهذا بدون نقل الاسماء كما وجدها في الأصل المنقول عنه ، او تدخل ناقل الرسالة بحذف امور كثيرة من صدر رسالة الخليفة يوسف حول توقيع الهدنة مع النصارى " ... من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيده الله بنصرة وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ، ورقة ٧٠ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٨ .

(٣) مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨ ورقة ١١٦٧ ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة م ١٢ ج٢ ، ص ١٧٣، ديسمبر ١٩٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ورقة ١١٦٣ المرجع نفسه ص ١٦٦ .

والشيوخ والاعيان والكافة بمراكش ادام الله كرامتهم بتقواه سلام عليكم إلى آخر الصدر" (١).

فحذف ناقل الرسالة الكلام الذي ورد في الأصل المنقول عنه، وانتقل مباشرة للموضوع الاساسي.

وكذا الحال في رسالة السيد عبدالرحمن ابن الخليفة عبدالمؤمن بن علي الموجهة إلى الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة حيث يقول "... أما بعد الحمدالله تعالى إلى آخر الصدر" (٢).

وتنبه الناقل إن كتاب الشكاية الذي هو بصدد نقله شبيه بالذي سبقه فقطع الكلام بقوله (٣) " ... وكان نجلكم طالع مثل هذا بافعال القوم ، ثم استمرت على نفس التي نجلكم".

ولم تقتصر هذه الأمثلة على الرسائل المخطوطة بل شملت المحققة المطبوعة ففي كتاب بيعة اهل مكناسة للخليفة العادل ورد ما يأتي " ... وقيدوا عليه شهاداتهم " (٤) وهي أسماء أهل مكناسة ، الذين رفعوا بيعتهم للخليفة العادل لكن ناقل الرسالة اضاع علينا بعض الحقائق ربما كانت ستنير السبيل لبعض القضايا الغامضة .

ومن خلال الرسالة الأخيرة نتساءل ، هل وجد ابن عذاري هذا الكلام منقولا في الرسالة وهو بصدد كتابة البيان، ام تدخل فحذف الأسماء الواردة بها ؟ . وصرح الكاتب نفسه بعد الاستشهاد بفقرة من رسالة الخليفة عبدالمؤمن بن علي بظاهر قسنطينة انها " ... طويلة نظما ونثرا واضربنا عنها للاختصار " (٥) واستشهد ابن صاحب الصلاة

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ٢١ .

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٦٩ .

(٤) البيان المغرب ، (قسم الموحدين) ص ٣٧٨.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٣ .

بها كاملة دون أي حذف (١).

فرسالة فتح حصن شلبطرة، التي أوردها ابن عذاري (٢) توحي للوهلة الأولى بالإيجاز، لكن إعادة بنائها معتمدين، على النص الآخر الذي أورده الحميري (٣) تجعلها متوسطة بين الايجاز والإطناب، وربما لو عثرنا على نص آخر ورد به صدر الرسالة وخاتمتها وربما بعض ماحذف من متنها لامتازت بالاطناب.

لذا فإن القول بأن الرسائل الديوانية الموحدية امتازت بالايجاز أو الإطناب او احتلت مرتبة وسطى بين الاثنين حكم نسبي حتى الآن.

وأما الرسائل الموجهة إلى الرعية، التي امتازت بالاطناب وتكرار مترادفاتها، فإننا لم نجد ادق من تعليل ابي الهلال العسكري في قوله (٤) "...و (الاطناب) مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن، والرفض والمرتاض، ولمعنى، ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا". فهذا من الأسباب التي جعلت بعض الرسائل تمتاز بالاطناب، إضافة إلى استعمال الكاتب عددا كبيرا من المحسنات البديعية، مما جعله يطنب في كثير من الأحيان.

لكن إذا لم توجد رسائل أخرى متبادلة بين الموحدين وجمهورية بيشة وجنوة غير المتوافرة لدينا، فإنه بامكاننا ان نقول إنها امتازت بالايجاز نظرا لعدم دخول البتر عليها، بالإضافة إلى رسائل التوقيعات لأنها تحمل الإيجاز في حد ذاتها.

ونرى ان الإيجاز والإطناب ليسا غاية، وإنما وسيلة، يسيران في كنف الظروف المحاطة بالرسالة، فقد يجد الكاتب نفسه أحوج إلى الإطناب فيطنب أو إلى الايجاز فيوجز.

---

(١) المن بالامامة، ص ص ٧٨-٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) الروض المعطار، صفة جزيرة الاندلس، مادة (شلبطرة).

(٤) كتاب الصناعتين، ص ٢٠٩.

ويذكر ابن عذاري ضمن احداث عام ٥٩١هـ أن الخليفة المنصور بعد فوزه في الأرك امر كاتبه ، أن يكتب للأمة بمناسبة هذا الانتصار وان يوجز في الوصف قدر الايجاز ، وأن ينحو من خلاله منحى رسائل الفتوحات والانتصارات في عهد الصحابة رضي الله عنهم (١).

ويذهب الكلاعي في حديثه عن الايجاز أنه (٢)"... يخاطب به أهل الرتب العالية، والهمم السامية لأن الموجز عند هذه الطائفة انفق من الإطالة ، والإشارة لديهم انجح من تطويل المقالة ، وما ذاك إلا لبعد هممهم، وتفتح خواطرهم ... والأصل في ذلك التخفيف عن أهل الممالك ، لأن قراءة الكتب وسماعها كلفة والواجب تخفيف التكلف عن الاكابر والملوك".

لكن الخليفة المرتضى خالفه في كتابه الموجه إلى البابا إينه سانش آش الرابع(٣) لأنه لم يجد بدا" من الإطناب ، فالموقف فرض عليه ذلك اثناء مخاطبته لرجل على غير ملته ، وفي فترة ضعفت فيها الدولة الموحدية ، والظروف التي احاطت بها قبل كتابة الرسالة .

ونجد الخليفة المنصور في رده على كتاب الفونس الثامن ملك قشتالة و طليطلة يجيبه ببعض الكلمات فقط لأن الموقف حتم عليه ذلك ، فلم يجد احسن من قوله تعالى " (إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) الجواب ما ترى لا ماتسمع " (٤)(٥).

وانشده بيت المتنبي متمثلا في قوله :

"ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولارسل الا الخميس العرمرم " (٦)(٧)

---

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص ٢٢١ .

(٢) إحكام صنعة الكلام ، ص ٩١ .

(٣) p 30,31 une lettre de lalmohade murtada au pape innocent 4, voir

(٤) سورة النحل ، آية ٣٧ (٥) الانيس المطرب ، ص ٢٢١ ، وغيره .

(٦) ديوان المتنبي ، ج٣ ص ٣٥٢.
" ولا كتب الا المشرفية عنده ولارسل الا الخميس العرمرم"

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٢١، وغيره .

الجمل الدعائية والمعترضة

يقصد بالجملة الدعائية الدعاء للمرسل - بكسر السين - بطول العمر وعز دولته وتعميرهابالخير والبركات ودوام عزته (١).

وأما الجملة المعترضة فيقصد بها الجملة، او الكلمة التي تاتي بين معترضتين على شكل دعاء، فإذا ذكرت مدينه من مدن الموحدين يتبعها الكاتب بجمله اعتراضية دعائية كقوله : حرسها الله (٢) او كلاها الله (٣) او كرمها الله (٤) اوقرها الله (٥)، وإذا كانت من المدن الاسلامية التي سقطت بيد النصارى كانت الجملة الدعائية اعادها الله (٦) اما اذا ذكرت المدن النصرانية كانت الجملة الدعائية المعترضة فتحها الله (٧) ورضي الله عنه بالنسبة لمهديهم ابن تومرت (٨)، وايده الله لكل خليفة من خلفائهم (٩)، ووفقهم الله لطبقات الموحدين (١٠).

ومن الجمل الدعائية التي وردت ضمن الكتب الديوانية الموحدية رسالة وجهت إلى السيد ابي إسحاق اخي الخليفة المرتضى، اثناء تحضير الجو لتقديم البيعة للخليفة الجديد، استهلها بقوله "(١١)

---

(١) إحكام صنعة الكلام، ص ٧٥.

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ١، ص ٤، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٦، ص ١٧، ص ٢٣، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥، ص ١٧٢، ص ١٧٦، ص ١٨٤، ص ١٨٧، ص. ١٩٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٥، ص ٩١، ٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨، ص ١٣، ص ٢١، ص ٨٢، ص ٨٨، ص ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٦، ص ١٩٤، ص ٢٣٠.

(٨) المصدر نفسه، ص ٨، ص ١٢، ص ٢١، ص ٨٢، ص ٨٨، ١٣٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ١، ص ٢، ٣، ٥، ٦، .... ص ١٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١، ص ٣، ٥، ص ٧ ... نظم الجمان، ص ١٦٤، ١٦٧.

(١١) رسائل ديوانية من سبتة، ص ١٠٩.

السيد الأجل الأعز ابو اسحاق الأمير الطاهر المرحوم أبي ابراهيم ابن سيدنا الخليفتين الإمامين أميري المؤمنين، زاد الله مقامهم الأسمى طهورا وعلوا، وابقاه مؤملا في المهمات مرجوا ولا أعدم عوارف الصنع الجميل له إطرادا ولا نموا وعرف من اعتنائه بمصالح أوليائه ما يزال الشكر له مرددا متلوا".

وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والرضى عن الامام المهدي يستمر في الدعاء للخليفة المرتض "... كتب الله لمقامكم الأسمى سعرا لا يزال الدهر عنه مبتسما وقصدا للأمر في العناية بمصالح عباد الله وبلاده ممتنعا وحمدا لا يبغي بطيبه بديلا"(١).

وعلى نحو ما سبق جاءت رسالة اهل قرطبة في تقديم البيعة بولاية العهد لمحمد الناصر ابن الخليفة يعقوب المنصور، حيث تكررت المترادفات نفسها في مطلع الرسالة " ... الحضرة الأمامية العلية المعظمة المكرمة السنية الطاهرة القدسية معلية منار الإسلام وممضية أحكام الكرام والائمة النصحاء الأعلام في تحسين النظر لأمة محمد عليه افضل الصلاة و أطيب السلام، حضرة سيدنا ومولانا الإمام الأهدى المترض، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضى أمير المؤمنين ابن سيدنا ومولانا الأمام امير المؤمنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة أمير المؤمنين قرن الله امرهم . وعمرهم بالدوام ، وزين عقدهم وعهدهم بالاتساق والانتظام . واطلع بدور سعدهم، وشموس مجدهم على أجمل احوال الكمال والتمام كما جعل لهم مواقب الايام وفرض طاعتهم على كافة الانام" (٢).

إن الإطناب في النص ملفت للانتباه ،فقد كرر الكاتب الالفاظ نفسها في التعظيم والدعاء للمرسل - بكسر السين - كقوله " ... الحضرة الأمامية العلية المعظمة المكرمة السنية الطاهرة القدسية ".

---

(١) رسائل ديوانية من سبتة ، ص ١١٠.

(٢) مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨، ورقة ١٦٣ ب، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة م ١٢، ج٢ ديسمبر ١٩٥٠ ص.

وحول هذا يقول الكلامي (١) إن إطناب الكاتب في الدعاء للمرسل - بكسر السين - دليل على ضعف المادة.

وعلى نحوه سار كتاب الشكاية المقدم من الكاتب ابي القاسم البلوي عن السيد إبراهيم ابن الخليفة يوسف دار موضوعا حول عبث جماعة فلانة بمنطقة اشبيلية (٢) " ... الشيخ الاجل الاغر الاكرم الاسنى الولي الاثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل ابو سعيد ابن الشيخ الاجل ابي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم إبراهيم بن اسحاق أدام الله عزته ووصل كرامته ورفقته وليه في الله تعالى ومحبة فيه البر بجانبه المؤثر له الحفي به".

ومن الملاحظ أن الجمل الدعائية تكثر ضمن الرسائل الموجهة من الولاة والقضاة والطبقات الموحدية إلى الخلفاء، أو ما ادنى من ذلك أي توجه من ديوان القاضي إلى ديوان الوالي، فالدعاء لا يرد ضمن الكتب الصادرة من ديوان الخليفة إلى من هو ادنى منه مرتبة، بل ياتي في هذه الحالة على صفة الشكر لله عز وجل.

اما الجمل المعترضة فتاتي هي الأخرى على شكل دعاء وإن كانت غير متسلسلة إلا إذا اقتضاه سياق الكلام لذلك.

وهذا ما نجده في كتاب ابي جعفر بن عطية الصادر عن الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤرخ في التاسع من شهر ربيع الثاني عام ٥٤٣هـ حيث يقول (٣) " ... وهذا الأمر - وفقكم الله - هو امر المهدي - رضي الله عنه - حق فتامل، ومع معالمه الجلاء فلا ظن ولا تخيل، والمهدي - رضي الله عنه - قد بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في غير ما حديث، وظهرت علاماته وآياته في قديم مزامره وحديث، ودل على اسمه وزمانه وفعله ومكانه، بادلة رفعت الأشكال والتعسف،

---

(١) إحكام صنعة الكلام، ص ٧٢.

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ١٦٧.

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ٨، الرسالة الرابعة.

فاتى - رضي الله عنه - كما نعت النبي - عليه السلام - ووصف وقال - صلى الله عليه وسلم - فيه وفي طائفته العزيزة ما قد ظهر ظهور الإشاعة والإذاعة ".

وسار أخوه عقيل بن عطية على نهجه في رسالة عن الخليفة عبد المؤمن بن علي، المؤرخة في العشر الأولى من شعبان عام ٥٥٢هـ حيث يقول(١) "... إلى أن تمكن لهم أخذ بياست - حرسها الله - فحملوا منها بالجامع ... والآن - وفقكم الله - قد استراحت الأندلس من دائها العضال ... وخاطب الطلبة - أعزهم الله - معلمين على الجملة والإجمال، بتلك الفتوح ... ومبينين بأنها - والحمد لله - متصلة في عنفوانها جارية في ميدانها ملء عنانها وأعلمناكم - وفقكم الله - بما تمنى من هذه المسرات المتوافرة ".

وتبين لنا أن الجمل الدعائية والمعترضة تكثر في عهد بداية الدولة ،وهو ما نجده في رسائل أبي جعفر بطية، وتقل بعدها حتى تزول تماما فلم نجد جملة اعتراضية واحدة ضمن الرسائل الديوانية خلال فترات متباعدة من عهد الدولة ،ونعتقد أن ذلك يرجع للصفة الدعائية التي اعتمدت عليها الدولة لبث آرائها الجديدة بين الناس أو في صفة امتاز بها الكاتب أبو جعفر بن عطية وأخيه عقيل اذ تكثر في رسائلهما بشكل واضح وملفت للانتباه.

والواضح في الصورة المخطوطة للرسالة الخامسة ،في مجموعة بروفنصال/التي ضمنها عبد الهادي التازي (٢) أن أصل الجمل الاعتراضية والفواصل وردتا على شكل ثلاث نقاط بشكل مثلث وهذا ما يلحظ في معظم رسائل مخطوط العطاء الجزيل وزوائده، وليس بين شرطتين ،وأعتقد أن هذا ما جعل المحقق يستغني عن استعمال الشرطتين، ويكتفي بالفواصل، وهو ما تمثله رسائل المن بالإمامة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠، الرسالة السادسة عشر.

(٢) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٦، ص ٨٢.

وعند المقارنة بين رسالة الفصول المستخرجة من مخطوط فاس التي حققها بروفنصال وضمنهافي ملحق كتابه الوثائق غيرالمنشورة عن كتاب الموحدين (١)، او الرسالة نفسها المبتورة والمستخرجة من مخطوط الاسكوريال (٢) جعل الجمل الاعتراضية بين فاملتين، ولكنه عندما اعاد تحقيقها مرة اخرى ونشرها عام ١٩٤٠ (٣) جعلها بين معترضتين.

---

documents inedits dhistoire almohade appendice no1 (١)

ibid pp 13-17 texte arabe (٢)

(٣) مجموع رسائل موحدية، ص ص ١٢٦-١٣٨ الرسالة الثالثة والعشرون.

الأساليب :

تبين لنا من خلال دراستنا لمختلف الرسائل الديوانية الموحدية انها تحلت بثلاثة أساليب .

فأولها الأسلوب المرسل : ونقصد به تلك الرسائل التي انبعثت على سليقة حرة ، فلا سجع يكتنفها ولا مقابلة ولا ازدواج ...، حيث تحرر الكاتب من قيود الصنعة وجعل المعنى هدفة ، والفكرة نصب عينيه ، والهدف من كتابه إبلاغ المرسل - بكسر السين - والغرض الذي يصبو إليه .

وفي هذا يقول عبدالقاهر الجرجاني (١)"... ولن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا وأهدى إلى الاحسان، وأجلب إلى الاستحسان، من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها .

ومن ذلك كتاب الحض على الجهاد لابن تومرت، الموجه إلى جماعة الموحدين (٢) "... والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه (٣)، لا تتبدل ولا تتغير، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا تنالوا عندالله من الأجر ما نالوا، فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالأعمال الصالحة ولزوم التقوى في السر والعلانية ".

فجاءت رسالته على شكل خطبة من خطب الجمعة، وكأنها من النثر الشفاهي، الذي يتحرر فيه الخطيب من كل القيود، فيجعل

---

(١) اسرار البلاغة ، ص ١٩، ٢٠.

(٢) أعز ما يطلب، ص ٢٥٩، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ج ١، ص ١٠٥ .

(٣) في الاصل ولا تتبدل .

الالفاظ مسترسلة متتالية خاضعة للمعاني فلا تكلف يعتريها ولا صنعة تحويها.

وعلى نحوها جاء كتاب عبدالرحمن ابن الخليفة المنصور الموجه إلى الأرسفسك، وحكام بيشة، حيث التزم الاسلوب المرسل نظرا للموقف، وهو إبلاغ الحكومة البيشية بحادثة الإعداء على المسلمين حيث يقول " ... وقد علمتم مالم تزل الحضرة العلية الإمامية، أدام الله نصرها تامر به من حفظ النصارى المعاهدين، وإجرائهم على العدل حيث حلوا، من بلاد الموحدين لا تنالهم مضرة في متصرفاتهم ولا يتعدى على احد منهم في تجارتهم وقد وصلنا إلى تونس - كلاها الله - فوجدنا مسطحات من إخوانكم اخذوا مراكب المسلمين، وقتلوا جملة بمنهم، واستاصلوا احوالهم وفعلوا ما لو رفعناه إلى الحضرة العلية الإمامية - ادام الله تاييدها - لخيف على إخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها، لكن رأينا ان نصرف عقوبتهم في هذه المرة إليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله اشياخ جنوة في من تعدى على المسلمين ".

يتضح من خلال النص أن السيد عبدالرحمن استرسل في كتابة فكان أسلوبه بسيطا، خاليا من كل تكلف بعيدا عن المحسنات اللفظية طلق العنان لقلمة، فاسترسل كلامه سلسا بلا تكلف ولا تعقيد.

أما الأسلوب الثاني فهو المتوازن، ونقصد به ذلك الأسلوب الذي تتساوى فيه الجمل، وتتوازن، بحيث تتساوى الالفاظ في الفقرة الأولى، والثانية، وبذلك تخضع الجمل لقانون الاعتدال، والتساوي.

وفي ذلك يقول ابن الاثير (١)"... تكون الفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ... وللكلام بذلك طلاوة، ورونق، وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء وإذا كانت مقاطع الكلام

---

(١) المثل السائر، ج١، ص ٢٩١ .

معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لامراء فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام اخو السجع في المعادلة دون المماثلة لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال " .

ونمثل له برسالة أبي عبدالله بن عياش عن الخليفة المنصور في نكبة ابن رشد حيث يقول (١) "... وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام وأقر لهم عوامهم بشوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعو الا الحي القيوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم، فخلدوا في العالم صحفا مالها من خلاف، مسودة المعاني والأوراق، بعدها من الشريعن بعد المشرقين، وتباينها تباين الثقلين، يوهمون أن العقل ميزانها، والحق برهانها " .

يتضح من خلال النص، كيف لجأ الكاتب لاستعمال الفقر المتوازنة ،بحيث لم يختل الوزن بين الفقرتين، وقد رتبها على شكل صدر وعجز البيت الشعري، معتمدا على الجمل القصيرة بحيث لا تتعدي الجملة الواحدة ست كلمات .

ونحو ذلك كتاب ابن عميرة، عن والي بلنسية، الموجه الى الخليفة المامون، وهو يبرز الظروف التي آلت إليها دولة الموحدين في العدوة الأندلسية بصفة عامة والناحية الشرقية الاندلسية بصفة خاصة،"... وكانت هذه الخلافة العلية المامونية مطلع شمسه، ومطاف أمله في أمسه، استشرف إليها والعيون سواه، واثمر لها والاحوال نواه، وافصح بها بين قلوب منكرة وانواه... فلما اشرقت بها الأيام، واجتمع عليها الآثام، راى ان له في دعوتها قدم صدق، وان له في خدمتها دعوى حق، وتسامت العيون إليه نظرا لرتبة إليها يرقى، وخطوة فخارها في عقبة يبقى، فما اكثر ما نزل إليه المرتفعون وامل

---

(١) الذيل والتكملة، السفر السادس، ص ٢٦، ٢٧. ضمن ترجمة ابن رشد.

شفاعة المشفعون "(١) .

وآخر ما نستشهد له بالأسلوب المتوازن كتاب الخليفة المستنصر، الموجه إلى الرعية، وهو من كتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يقول (٢) " ... فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق والبناء العتيق، والفسطاط المضروب، والعلم المنصوب والتجر الذي لا يبور، والطريق الذي لا يجور " .

وأما الأسلوب الثالث فهو المسجع : ويقصد به تلك المحسنات اللفظية و الزخرفية التي تتوافق فيها الفواصل في الحرف الاخير (٣) .

ويكمن الاختلاف بين الأسلوب المتوازن والمسجع، كون الاول يعتني بتوازن الفقرتين، وتوافقهما، بينما ياتي الثاني - المسجع - على فاصلتين، وثلاث واربع دون الاعتناء بالوزن، وقد استحسنه الكلاعي، وحمده اللهم، إلا إذا بدا عليه التكلف والصنعة (٤) .

ويحتل الأسلوب المسجع حيزا اوسع بين الأسلوبين السابقين، فهو يمثل الشكل العام الذي امتازت به الكتب الديوانية بصفة عامة في تلك الفترة، واكثر كتاب الدواوين من استعمالهم في رسائلهم، ويندر ان نجد كاتبا ديوانيا موحديا لا يسجع.

ونمثل لذلك بعدة اوجه تاتي الفواصل فيها على اشكال مختلفة، وأول ما نقف عليه كتاب ابي جعفر بن عطية عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي الموجه إلى الطلبة بالعدوة الأندلسية، وذلك في السادس عشر من شهر ربيع الاول عام ٥٤٣هـ فعندما وصل الكاتب إلى ذكر الرقامين وهم الذين يحملون الكتب ويقومون بتوزيعها .قال

---

(١) مخطوط جائزة الحسن الثاني، ورقة ٤١ أ الخزانة العامة (الرباط) رقم ٤٥٠٢.

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٦٨ .

(٣) المثل السائر، ج١ ص ٢١٠، معجم البلاغة العربية ص ٢٧٥، رقم ٢٥٧.

(٤) إحكام صنعة الكلام، ص ٢٣٥.

،"... وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها، وسوء رأيهم بذلك في المخازن وغيرها، وإن من جملة ما حكي عنهم انهم يتالفون في الطرق جموعا، ويحلون بأفنية الناس حلولا شفيعا، يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم، ويتحكمون عليه بحكم المغرم، حتى إنهم لا يرضون في ضيافتهم إلا باسمن الجزر وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر، فسارعوا - وفقك الله تعالى - إلى حسم هذه العلة من أصلها وبادروا إلى تلك العادة الذميمة وفصلها " (١) .

لقد استعمل الكاتب في النص سجعات مختلفة وجعلها على فاصلتين وهذا بين سيرها وغيرها وبين جموعا وشنيقا، وبين المجرم والمغرم، وبين الجزر والضرر، وبين أصلها وفصلها .

وأما الرسائل التي جاءت على ثلاث سجعات فنستشهد لها برسالة أبي حفص عمر من جماعة العشرة بمناسبة انتصار الجيش الموحدي بوادي ماسة وهي من إنشاء أبي جعفر بن عطية وفيها يقول (٢) "... كان أولئك الضالون (المرتدون)(٣) (من أهل ماست) (٤) قد بطروا عدوانا وظلما ((واقتطعوا الكفر معنى واسما وأملي لهم الله (تعالى)(٥) ليزدادوا إثما))(٦) وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته و(استهوى)(٧) القلوب بمهولاته، ونصب (له)(٨) الشيطان (ماشاء)(٩) من حبالاته . فاتته (المخاطبات)(١٠) من بعد

---

(١) نظم الجمان، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) وردت الرسالة في اكثر من مصدر، واعتمدنا اعتاب الكتاب لقدمه، ص ٢٢٨، تحق، صالح الاشتر، دمشق ١٩٦١.

(٣) ناقصة في النفح والاستقصاء . (٤) زيادة من الروض المعطار.

(٥) زيادة من النفح والاستقصاء .

(٦) في الروض المعطار، وارتكبوا افكا وجرما.

(٧) في الروض المعطار، استغوى.

(٨) في الروض المعطار، به (٩) زيادة من الروض المعطار .

(١٠)في الاحاطة المخاطبة . (١١) في الاعلام من .

(و)(١) كسثب، و(نسلت) (٢) إليه الرسل من كل حدب، واعقدته الخواطر (الزانفة)(٣) اعجب عجب (٤) وكان الذي قادهم (إلى ذلك)(٥) واوردهم تلك المهالك، وصول من (كان) (٦) بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على (زعمه)(٧) (بالصيام والقيام)(٨) آناء (الليل) (٩) و(أطراف)(١٠) الأيام، لبسوا (للناس)(١١)اثوابا وتذرعوا (للرياء)(١٢) جلبابا، فلم يفتح الله (تعالى)(١٣) لهم (للتوفيق) (١٤). بابا (١٥).

فقد تتطور أسلوب الكاتب في هذه الرسالة من استعماله سجعتين إلى ثلاث سجعات فكانت النعمات واحدة لكنها بنفس اطول .

وأما الشكل الثالث فجاء على اكثر من ثلاث سجعات لكنه بمقارنة مع الشكلين السابقين لم يستعمل الا نادرا، واعتقد ان

---

(١) في الروض المعطار، انسلت .

(٢) ناقصة من الامكتاب والاعلام والنفح والاستقصاء .

(٣) هنا ينتهي نص الروض، ينتقل إلى فقرة اخرى من الرسالة نفسها .

(٤) في الاحاطة والاعلام، لذلك .

(٥) ناقصة من الاحاطة .

(٧) في الاحاطة رغمه .

(٨) في الاستقصاء بالقيام والصيام .

(٩) في النفح والاستقصاء، الليالي .

(١٠) ناقصة في الاحاطة والنفح والاستقصاء .

(١١) في الاحاطة والنفح والإعلام والاستقصاء، الناموس .

(١٢) في الاحاطة والنفح والإعلام والاستقصاء، الرياء .

(١٣) زيادة من النفح والاعلام والاستقصاء .

(١٤) في الاحاطة والاعلام إلى التوفيق .

(١٥) الاحاطة ج١، ص ٢٦٩، النفح ج٧، ص ١٨٧، الروض المعطار، مادة (ماست)، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام، ج١ ص ٦٥، ٦٦.

المعوبة .في الوصول إلى استعمال اربع سجعات جعلت الكاتب يبتعد عن هذا الشكل ويلجا إلى الشكلين السابقين)و مما يندرج ضمن هذا الشكل رسالة أبي عبدالله بن عياش، عن الخليفة محمد الناصر ابن الخليفة المنصور بمنزل الموحدين بظاهر المهدية حيث يقول (١)"... وكان قد اعد بمدينة إطرابلس مهماته ، واتخذها ملجأ من طواري الاغترار وآفاته ، والله قد نزهها لأن تكون عصرة لسيئاته ، وعصمة لهفواته ، فبينا نحن في اثناء هذه الحال بظاهر قابس إذا بوجوه قومها يرفعهم التيار المتدافع، ويقدمهم الموج الخافض الدافع، ويلوح للهدى على اسارير كبيرهم وصغيرهم نور ساطع، ويجمع بيننا وبينهم الاوطاع إلى الحق وهو سبب جامع " .

على الرغم من تمكن الكاتب استعمال اربع سجعات)إلا أن الفواصل في معظمها طويلة باستثناء الفاصلة الرابعة حيث انتهت بعد كلمتين، وهذا ما يستعمل لتنبيه المستمع والقارئ)لكي ينتقل إلى سجعة مختلفة ولكنه خالف ذلك في السجعة الأخرى، وكان عليه أن يستمر على النغمة السابقة فضعفت النغمة الموسيقية واختلت بين فاصلة وأخرى وكأني بالكاتب بدا يبحث عن السجعة الثالثه والرابعة) فسار قلمه من لفظة إلى اخرى)إلى أن عثر عليها ، وفي هذا يقول ابن الاثير "... ينبغي أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوة طنانة رنانة لاغثة ولا باردة "(٢)، وربما كان هذا التعليل سببا من الأسباب التي جعلت الكتاب يصرفون النظر عن هذا الصنف من السجع والاعتماد على السجعتين والثلاث سجعات .

ولكنه يحلو لبعض الكتاب)استعمال سجعة واحدة متكررة في فواصل عدة ، ويأتي بها الكاتب على طريقتين الاولى يستعمل فيها سجعة واحدة تتكرر اربع او خمس مرات)ثم يأتي بسجعتين او ثلاث سجعات، ويعود للسجعة الأولى)فيكررها حسبما تلين له إلى ان تخونه او

---

(١) مجموع رسائل موحدية ، ٢٥٤، الرسالة السابقة والثلاثون .

(٢) المثل السائر، ج ١، ص ٢١٣.

يغيرها بسجعتين أو ثلاث سجعات متشابهة ثم يعود إليها من جديد وهذا التنويع بين السجعات المتشابهة استعمله الكاتب ابو عبدالله بن عياش بمناسبة فتح جزيرة منورقة (١) .

أما الطريقة الثالثه فيستعمل الكاتب سجعة واحدة تتكرر عدة مرات بحيث تستمر النغمة نفسها ضمن فواصل متعددة ، ونستشهد لها برسالة الكاتب أبي الحسن بن عياش عن الأمير يوسف إلى اهل غرناطه وذلك في الرابع عشر من شهر شوال عام ٥٦٢هـ حيث يقول (٢) "... حيرته ، وندمه كما أن من صدق في الاعتلاق بحبله ، والتمسك بعضمته ، ويركن إلى ذراه واوى الى حرمه ، فقد اخذ بالوثيق من عهود ذممه ، وارتقى في مرتقى فوزه في سببه المتين وسلمه ونملي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بباهر حكمه ، ومعجز كلمه ، فهدى إلى نهج الحق وأممه ودل على سمته ولقمه وانار برسالته الجامعة ما غطى من غياهب الضلال وظلمه ، وابلغها حقيقية سمحة إلى عرب الانامل وعجمه ".

لقد استعمل الكاتب سجعة تكررت احدىعشرة مرة ، ثم غيرها ، وعاد إليها مرة اخرى، ولم يكتف باستعمال حرف الهاء بل جعله) مرتبطًا بحرف الميم ولم يبدله ، لافي الفقرة الأولى ولا في الثانية .

الجناس :

هو استعمال كلمتين متجانستين في الفظ مختلفتين في المعنى ، ويأتي على ضربين الأول يسمى الجناس التام لاتفاق اللفظين المتجانستين في أربع اوجه نوع الحروف عددها ، شكلها ، ترتيبها ، اما الناقص فهو ما اختلفت الكلمتان في نوع واحد من الاوجه السابقة على شرط ان يستعمل دون تكلف (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ الرسالة نفسها .

(٢) المن بالامامة ص ٢٣٤ .

(٣) المثل السائر ج١ ، ص ٢٦٢ ، كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٣ حسن التوسل ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، معجم البلاغة العربية ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ رقم ١٥٦ باب الجيم .

وقد تبين لنا أن الجناس في الرسائل الديوانية ورد على الشكل الثاني -الناقص -، ولم نقف على جناس تام من خلال انتقائنا للرسائل التي بين أيدينا، وربما كان السبب في لك اعتماد الكاتب على السجع، والإزواج، وتوازن الفقر، وهو ما يبث نغمة موسيقية بين الجمل .

وأما الجناس الناقص،فجاء على أوجه مختلفة، فمنها "اللاحق " وهو تباعد الحرفين المتجانسين في المخرج كأن يكون الأول شفويا والثاني حلقا (١)، ونستشهد له بقول أبي جعفر بن عطية (٢) " ... التزام الصلوات، وسائر الطاعات، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي أكرم التلاوات، واصفحوا واصلحوا، وتعاملو بالخير " .

لقد جانس الكاتب بين كلمتي اصفحوا واصلحوا، وذلك باختلاف حرف الفاء واللام، وهما متباعدان من حيث مخرجهما .

وأما الجناس المطلق،فيقصد به توافق الكلمتين من ناحية الحروف دون الاشتقاق (٣)،ونستشهد له بقول أبي جعفر بن عطية في قوله (٤) "... فإنا كتبنا إليكم - كتب الله لكم أجر من جاهد واجتهد" فجانس جناسا ناقصا بين جاهد واجتهد .

والجناس المشتق الناقص، يعتمد على اشتقاق اللفظتين من أصل واحد (٥) ونمثل له بقول أبي جعفر بن عطية حيث يقول (٦) "... عمرت بدعوته الأنجاد والأغوار، وخصم بحجته الكفر والكفار " . فاشتق اللفظة الثانية من الأولى وهي الكفر .

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية، ص ٦٠٢، رقم ٧٥٧ باب اللام .

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ٣، الرسالة الاولى .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٧، رقم ١٥١ باب الجيم، و ص ٣٨٣،رقم ٤٨٢ باب الطاء .

(٤) المصدر السابق، ص ٥، الرسالة الثالثة .

(٥) معجم البلاغة العربية ص ١٣٨، رقم ١٥٢ باب الجيم .

(٦) صبح الاعشى ج٦، ص ٤٣٣، مجموع رسائل موحدية، ص ٣٥، الرسالة العاشرة .

والجناس المضارع عكس اللاحق، ويعرف من حرفين متقاربين في مخرجهما، شفويين أو لسانيين (١)، وهذا ما نجده في رسالة أبي عقيل ابن عطية عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي بحضرة مراكش حول زيارة قبر المهدي بن تومرت حيث يقول (٢) " ... وتحمل لنفوسهم كل استبصار واستبشار، واستمر الأمر على هذه الصورة المجلوة والسور المتلوة " فجانس الكاتب جناسا ناقصا مضارعا بين الصورة والسورة ، لأن مخرج السين والصاد واحد إلا أنه باعد بين الاستبصار والاستبشار من حيث مخرج الصاد والسين وهو جناس لاحق .

وأما المكتنف فهو من الجناس الناقص كذلك، ويستدل به بزيادة حرف واحد في وسط الكلمة (٣)، ونستشهد له بقول ابي عقيل بن عطية "... فسرنا بمن امرنا بالنهوض من مشيخة الموحدين اعانهم الله واعيانهم "(٤) فجانس جناسا ناقصا مكتنفا بين اعانهم ، وهي من العون، واعيانهم، وهم الأعيان، الشرفاء وذلك بزيادة حرف الياء بين العين والألف .

وأما الجناس الناقص المردوف فيستشهد به بإضافة حرف واحد في أولى إحدى اللفظتين، كقول عبدالله بن عياش (٥)"... تشد بها قوى الطاعة، ويتوخى بها ما يتوجه من اقامة فروض الله المتمثلة المطاعة " . فجانس جناسا ناقصا مردوفا بين لفظة الطاعة ولفظة المطاعة باضافة حرف الميم .

وأما المصحف فهو اختلاف الحروف من حيث النقط (٦) وعلى نحوه

---

(١) معجم البلاغة العربية، ص ١٣٨ رقم ١٥١ باب الجيم وص ٣٤٨ رقم ٤٣٩ باب الفاء .

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ٨٣ الرسالة السابعة عشرة .

(٣) معجم البلاغة العربية، ص ١٣٧، رقم ١٥١ باب الجيم

(٤) مجموع رسائل موحدية، ص ٨٣ الرسالة السابعة عشرة .

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٤، الرسالة الثامنة عشرة .

(٦) معجم البلاغة العربية ص ٢٤١، رقم ٣١٦ باب الجيم .

جاءت رسالة عبدالله بن عياش في قوله (١)"... ولو يعلم الكافرون ان الكرة عليهم تجوس الخلال وتهلك الحي الحلال " .

والجناس الناقص المحرف هو توافق اللفظتين في عدد الحروف وشكلها واختلافها من حيث الحركات (٢) كقول أبي جعفر بن عطية في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "... فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل، ولا بالرسالة " (٣) فجانس جناسا ناقصا محرفا بين المرسل والمرسل وذلك بكسر السين الأولى وفتح الثانية ويقصد بالاولى المولى عز وجل والثانية، النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

الإزدواج

وهو من المحسنات اللفظية التي تردد استعمالها ضمن الرسائل الديوانية الموحدية ونقصد به توافق الفقرتين، على فاصلتين و وحرفين وهو شبيه بالاسلوب المتوازن، إلا أنه يختلف عنه في تشابه حرفين في الفقرتين المتوازنتين، في مقابل الأسلوب المتوازن، الذي يعتمد على تعادل الفقرتين وتشابه حرف واحد في الفاصلتين .

ولقد فطن كثير من كتاب الدواوين عند الموحدين لاستعماله، لكنه لم يات به غير المحدقين من الكتاب المتمكنيين، الذين اجادوا استعماله فلم يوظف متكلفا، ولا مختلا وقد عده ابو الهلال العسكري من حميد القول، إذ "... لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام من الإزدواج لكان القرآن، لان في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الإزدواج فيه حتى حصل في اواسط الأيات فضلا عما تزاوج في الفواصل منه "(٤).

فمن ذلك كتاب بخط أبي القاسم البلوي، عن الخليفة يوسف بحضرة مراكش إلى الطلبة الغزاة بإفريقيا، في غرة رجب عام ٥٦٤هـ

---

(١) مجموع رسائل موحدية ص ٢٣٩، الرسالة الخامسة والثلاثون .

(٢) معجم البلاغة العربية ص ١٦١، رقم ١٨٣ باب الحاء .

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٣، الرسالة الثالثة والعشرون .

(٤) كتاب الصناعتين، ص ٢٨٦ .

ومما جاء فيه (١)"... وذكرتم أنباء تلك الجهات - حاطها الله - وما عمرهم من وقور الخيرات، والهدون)واسترسل عليهم من الدعة والسكون، وما غفرهم من وقور الخيرات، وظهور البركات، وإرسال الرحمة التي آذنت بالاقبال، والخصب وبانصرام المحل والجدب، واشتغالهم بمصالحهم وإقبالهم على مراشدهم"، تضمنت هذه الرسالة عددا كبيرا من صور الازدواج، إذ تبرز سعتها في صور متعددة مثل الأمنة والدعة، الهدوء والسكون، وقور وظهور، الخيرات، والبركات الإقبال والمحل، الخصب والجدب، واشتغالهم واقبالهم، مصالحهم ومراشدهم، إلى آخر ذلك من صور الازدواج الواردة في النص.

ومن ذلك كتاب الخليفة العادل الموجه لأهل العدوة الاندلسية جعله ،ابن عذاري ضمن احداث عام ٦٢٢هـ وهو شبيه برسائل البيان المبتورة، استهلها بقوله (٢)"وأن تعلموا رضي الله عنكم أن الموحدين، اعزهم الله لم يزالو يتعرفون في أوبتهم هذه من التيسير والتسهيل واستصحاب الصنع الجميل ما قرب لهم كل قاص وذلل لهم كل عاص، ويسر كل عسير وجبر كل كسير".

وصور الازدواج واضحة في رسالة الخليفة العادل، ولو أنها قليلة فقد تعدى الكاتب تشابه حرفين إلى اكثر من ذلك حيث زاوج بين لهم الأولى والثانية، وكل الأول والثانية، وجاء بعدها بخاص وقاص ليزاوج بينهما في نهاية الفاملتين، وكذا يسر كل عسير، حيث زاوج ما بعدها بما يوافقهما بجبر كل عسير.

ومن صور الأزدواج التي نقتبسها من رسائل الانتصارات، كتاب الأمير يوسف بن عبدالمؤمن الصادر من جبل الكواكب، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان والكافة بمدينة غرناطة في الرابع عشر من شهر شوال عام ٥٦٢هـ، من إنشاء أبي الحسن بن عياش، حيث

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ١٧.

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧٠، ٢٧١.

يقول (١) " والقصد لما يراه من تذكير الغافل، وتبصير الجاهل وإقالة العاثر وهداية الحائر " فزاوج بين تذكير وتبصير وبين الغافل والجاهل في الجملة الاولى، وبين إقالة وهداية ، وبين العاثر والحائر في الجملة الثانية.

وكما هو واضح من خلال الرسائل الديوانية الموحدية ، ان الازدواج نادر ما يستعمل لأن الكتاب اعتمدوا على السجع في تحبير رسائلهم ، وعلى الرغم من قلة الازدواج في الرسائل فقد اسقط الكاتب نغما موسيقيا عذبا على الجمل وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على براعة تحكم الكاتب في قلمه ، وحسن استعماله للألفاظ المواتية والمناسبة لذلك.

الطباق

هو الجمع بين ضدين مختلفين ويستعمل في المطابقة بين لفظين وتطورت الكلمة فاستعملت مرادفة لمطابقة البعير في سيرة ، ويقصد بذلك أن يضع البعير رجليه موضع يديه (٢).

ويأتي الطباق - ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ - على وجهين إيجابي وسلبي .

فالاول أن ترد الكلمتان مختلفتين في اللفظ والمعنى، وقد كثر استعماله ضمن الرسائل الديوانية الموحدية ونستشهد له بكتاب الأمير يوسف بن عبد المؤمن بحضرة مراكش الموجه إلى اخيه الأمير ابي سعيد بقرطبة ، المؤرخ في الثالث من شهر رمضان عام ٥٦١هـ من إنشاء أبي الحسن بن عياش، وهو من رسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيه يقول (٣) "... ويوجب لكم الرضى في كافة اقوالكم

---

(١) المن بالامامة ، ٢٣٥.

(٢) الزمخشري اساس البلاغة ، ج ٢ ص ٦٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م كتاب الصناعتين ص ٣٤٤، حسن التوسل، ص ١٩٩.

(٣) المن بالامامة ، ص ٢٢٩.

وافعالكم تقوى الله في السر والجهر وخيفة في الباطن والظاهر ... وتوفيق في القول والعمل بفضل الله ... إلى الصغير والكبير ويجمع الناس لقراءته وتلقي مضمنه ويساوي فيه الغاءب والشاهد والبادي والحاضر باسماع من حضر ومخاطبة من غاب " حيث حشد الكاتب عددا كبيرا من صور الطباق على الرغم من قصر النص فطابق بين القول والعمل وبين السر والجهر، وبين الباطن والظاهر وبين القول والعمل، وبين الصغير والكبير وبين الغائب والشاهد، وبين البادي والحاضر، والخصوص والغياب وبين من يسمع ومن يخاطب - بفتح الطاء -.

ومن الامثلة على ذلك رسالة صفوان بن إدريس، عن السيد عبد الرحمن بن الخليفة يوسف بمرسية الموجهة إلى الفونس الثامن ملك قشتالة وطليطلة، المؤرخة في منتصف ذي الحجة، عام ٥٨٤هـ حيث يقول (١) "... تتساوى الاسنة والزجاج او تتماثل العقب والحجاج أو عمر بن عبدالعزيز والحجاج، ومتى تطابقت اللصوص في الحرم والحجاج؟ (وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)"(٢).

فطابق بين الأسنة والزجاج، وبين العقب والحجاج، وبين عمر بن عبدالعزيز والحجاج، وبين اللصوص والحجاج في الحرم، وبين بحرين الأول شرابه عذب والثاني مالح .

ومن صور الطباق كذلك ماورد في رسالة أبي محمد بن حامد عن عبيد الحضرة الموجهة إلى الخليفة محمد الناصر، وهي من رسائل الشكايات ومما جاء على لسانهم (٣)"... امتثال ما أمروا به ورحلوا عن هذه الجهات بقلهم وكثرتهم ... ليعلموا في حلهم وترحالهم ... فساروا تسيل بهم الاباطح والربى ... وبركة الحضرة الامامية تكتنفهم عن اليمين والشمال ... وتريهم النجح في صفى الأقوال والأعمال " .

---

(١) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ورقة ٣٤.

(٢) آية ١٢، سورة فاطر.

(٣) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ٢٣.

هذه الفقرة مشابهة للتي سبقتها من حيث كثرة الصور الواردة بها على الرغم من قصرها، وأما ما ورد بها من صور الطباق فيتمثل في قلهم وكثرتهم وبين حلهم وترحالهم، وبين الأباطح والربى وبين اليمين والشمال، وبين الأقوال والأفعال.

ويلاحظ الباحث أن الصور البيانية الأخرى متفاوته في الرسائل الديوانية الموحدية، فتقل وتكثر، بينما يحتل الطباق الحيز الكبير في مقابل الصور الاخرى من جناس ومقابلة.

ونختم القول عن الطباق الإيجابي برسالة كتبت اثناء تهيئ البيعة للخليفة المرتض (١) "... وقد حملوهم من المصالح التي لا ينفرد واحد دون شان بقليل منها ولا كثير والمنافع التي لا يختص خاص دون عام منها بصغير ولا كبير".

وأما الوجه الثاني من الطباق فهو السلبي، لكن بعد تفحص مجمل الكتب الديوانية الموحدية المتوافرة لدينا، لم نقف إلا على مثال واحد، وربما كان السبب في ذلك هو الهدف الذي كتبت من أجله الرسالة، وهو إبلاغ المرسل - بكسر السين - لذا ابتعد الكاتب الديواني الموحدي على الاستعانة بهذا الشكل، والاقتصار على الشكل الأول. وأما المثال الفريد فقد ورد بكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، من إنشاء أبي جعفر بن عطية حيث يقول "... ولا يكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام، ويميز ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز "(٢) فطابق طباقا إيجابيا بين الحلال والحرام، وطباقا سلبيا بين الشطر الثاني، حيث استعمل لام النفي بين يجوز ولا يجوز وهو المعروف بالطباق السلبي.

---

(١) رسائل ديوانية من سبتة، في العزفي ص ١١١ إنشاء، خلف الغافقي الفيتوري.

(٢) نظم الجمان، ص ١٦١. تحق محمد الحبيب العيلة الرباط ١٩٧٩.

المقابلــــة

وتعتني بـاللفظ والمعنى و هي اشمل واعم من الطباق، فيؤتى بالكلام وما يوافقه او يخالفه (١).

فمن ذلك قول ابن تومرت يستنفر الموحدين إلى الجهاد (٢)" ... فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة ... فكل هول وشدة غشيهم قابلوه بالقوة والتوكل على الله، وكل هزر واذى مسهم قابلوه بالصبر والاحتساب ".

فقابل المودة والرحمة بين الموحدين والغلاظة بينهم وبين عدوهم، وكل فزع وشدة حلت عليهم قابلوها بالتوكل على الله وفي مقابل ذلك تاتي بالجملة الثانية، فيقابلون الضرر والأذى بالصبر والاحتساب.

وفي رسالة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، المعروفة بالرسالة الجامعة لانواع الأوامر، قابل أبو جعفر بن عطية بين لقاء الانسان الخالي من اتباع الهوى لربه، وبين لقاء الشقي المذنب في قوله (٣)." ... فالسعيد من لقي ربه مبرءا من اتباع الهوى سليما و الشقي من آتي مليما، بالحساب الكبائر ملومًا.

ومن الأمثلة على ذلك كتاب أبي الحسن بن عياش حيث بعث السيدين أبي حفص وأبي سعيد، من ظاهر مرسية رسالة إلى الأمير يوسف في اواسط ذي الحجة عام ٥٦٠هـ حيث يقول (٤) "... وثبت الله اقدام

---

(١) حسن التوسل، ص ٢٠٣،٢٠٢، معجم البلاغة العربية، ص ٥٢١ رقم ٦١٩ باب القاف.

(٢) اعز ما يطلب، ص ٢٥٩، اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) نظم الجمان، ص ١٥٣ .

(٤) المن بالامامة ص ٢٠٦.

الموحدين وزلزل (١) أقدام الملحدين.

ومن صور المقابلة ما ورد في كتاب الشكاية الموجه من طرف عبيد الحضرة إلى الخليفة محمد الناصر "... ولم يعلموا أن الغي وإن اهمل مجتث فرعه واصله، وان البغي وإن أهمل ممحو نوعه واصله"(٢).

وبعث الخليفة العادل رسالة إلى مسلمي الأندلس يحثهم على الجهاد بعد أن اجتمع الجيش بالعدوة المغربية وهم على أهبة الجواز الى العدوة الاندلسية لكن بقاء هذا الجمع الغفير بالمغرب وهم على" ... حلول استدعاء واستنفار لاحلول إقامة واستقرار (٣). حيث قابل الجملة الأولى بالثانية من حيث الاستدعاء والاستنفار والاقامة والاستقرار.

ومن رسائل الحض على الجهاد قابل ابن تومرت بين عدة صور في قوله (٤) "... جعلوا الحق باطلا والباطل حقا والكفر ايمانا والايمان كفرا، والهدى ضلالا، والضلال هدى، والعدل جورا، والجور عدلا".

الخيال والصور البيانية

على الرغم من اهتمام كتاب الدواوين بنقل الصورة الواقعية للمجتمع الموحدي، فإن القالب الذي رسم لهم ليصبوا فيه كتبهم، لم يمنعهم من التخلص منه بين فترة واخرى، للاستعانة بالخيال والصور البيانية.

ولو أن الخيال مجال بعيد عن السلطة وتشريعاتها وقوانينها، فإن الكاتب أبا عبدالله بن عياش، لم تكتنفه الفرحة بعد حصار المهدية برا وبحرا، وفتحها على يد الخليفة محمد الناصر، وعلى اثرها وجه كتابا للأمة يصف من خلاله مدينة المهدية وكيف تم الاستيلاء عليها.

---

(١) في الاصل وزلزل (الله).

(٢) مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (الزوائد) ورقة ٢٢.

(٣) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٧١.

(٤) documents inedit dhistoire Almohade p 7 texte arabe.

"... ولما اجتليتنا منها عروسا قد مد بين يديها بساط (من) (١) الماء، وتوجت بالهلال، و(قرطت) (٢) بالثريا، ووشحت (بغيوم) (٣) السماء والسحب (نسجت) (٤) عليها (اردانها) (٥)، (فتبديها) (٦) تارة متلثمة وطورا سافرة، وكانما شرفاتها المشرفة انامل مخضبة بالدياجي (مختمة) (٧) بالكواكب الزاهرة تضحي (ضاحكة) (٨) عن شنب لا (تزال) (٩) تقبله افواه المجانيق، وتمسي باسمة عن (ثغر) (١٠) لا تبرح ترشقه شفاه سهام الحريق، خطبناها فارادت التنبيه على قدرها، والتوفير في (إغلاء) (١١) مهرها، ومن خطب الحسناء لم (يغله) (١٢) المهر، فتمنعت تمنع المقصورات في الخيام، واطالت إعمال العامل في خدمتها وتجريد الحسام إلى (أن) (١٣) تحققت عظم موقعها في النفوس، ورات كثرة ما القي (إليها) (١٤) من نثار الرؤوس، (فجنحت) (١٥) إلى الاحسان بعد النشوز، ورات اللجاج في الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز، فامكنت زمامها من يد (خاطبها) (١٦) بعد مطاولة خطبها وخطابها، وامتعته على رغم رقيبها بعناقها ورشق رضابها، فبات بها معرسا حيث لا مجال

---

(١) ناقصة في الاحاطة. (٢) في الاحاطة قرطته.

(٣) في مخطوط المرقصات، والاحاطة بنجوم.

(٤) في مخطوط المرقصات، والاحاطة، تسحب.

(٥) في مخطوط المرقصات، وطبعة ١١٢٨٦ مصر، وط ١٩٧٣، بيروت اردانا.

(٦) في مخطوط المرقصات، ط ١٢٧٦، مصر و ط ١٩٧٣، بيروت تبديها.

(٧) في الاحاطة مختتمة. (٨) ناقصة من الاحاطة.

(٩) في مخطوط المرقصات يزال.

(١٠) في المرقصات ط ١٢٨٦ مصر و ط ١٩٧٣، بيروت، والاحاطة لمس.

(١١) في الاحاطة إملاء. (١٢) في مخطوط المرقصات، يغلها.

(١٣) ناقصة من المرقصات ط ١٩٧٣، بيروت.

(١٤) في الاحاطة بها. (١٥) في الاحاطة، جنحت.

(١٦) في مخطوط المرقصات، خطابها.

إلا من البنود ولا خلوق إلا من دماء أبطال الجنود" (١).

ومن رسائل الانتصارات يصف كاتب عبد المؤمن بن علي نزول الجيش الموحدي مدينة تارودانت التي تشتهر بقصب السكر، وكيف اشعل الجند النار به فصار الدخان المتصاعد كالسحاب، حيث يقول (٢)"... ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت، واستقروا بها وهزموها وحرقوها واطلقوا النار في القصب، إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار ونحن ننظر إلى الدخان، قد علا، وارتفع في الهواء وتالف فصار كالسحاب المتراكم ".

ويصف أبو الحسن بن عياش جبل الكواكب بقوله (٣) "... جبل الكواكب ... الذي زاحم بمنكبه وتطاول بانفه، فلمنكبه العمم الذي لا يفرع ولأنفه الشمم الذي لا يقرع".

ويصف أبو جعفر بن عطية في رسالته الشهيرة التي حملته إلى ديوان الكتابة، ثم الوزارة - نهاية معركة وادي ماست وانتصار الموحدين بقوله (٤):"... (انبسطت)(٥) مراقات (الدماء)(٦) على صفحات الماء و(حكت)(٧) حمرتها على (زرقته)(٨) حمرة الشفق (على)(٩) (زرقة) (١٠) السماء و(ظهرت) (١١) العبرة للمعتبر، في جرى (الدماء)

---

(١) الاحاطة، ج٢ ص ٤٨٦، ٤٨٧، ابن سعيد المغربي المرقصات المطربات ص ١١ ط مصر ١٢٨٦ ، وط بيروت ١٩٧٣،دار حمدو ميو ص ١٨، مخطوط المرقص المطرب رقم ٧٥٤٦. (أوراق المخطوط غير مرقمة في الاصل). bibli univer lips.

(٢) نظم الجمان، ص ٢٢٢. (٣) المن بالامامة، ص ٢٣٨.

(٤) إعتاب الكتاب ص ٢٢٩، الإحاطة ج١، ص ٢٧٠ الروض المعطار، مادة (ماسة)، النفح، ج٧، ص ١٨٨، الاستقصاء، ج٢، ص ١١٣، الاعلام بمن حل بمراكش من واغمات الاعلام، ص ٧٧١.

(٥) في الاحاطة، سطت. (٦) في النفح، الداء.

(٧) في الروض المعطار، ضحكت.

(٨) في الاحاطة والروض المعطار، زرقة.

(٩) في الروض المعطار، في.

(١٠) في الاحاطة والروض المعطار، والاعلام، زرق.

(١١) في النفح، والاعلام، والاستقصاء، جري.

(١) (مجاري) (٢) الابحر (فمن لم تدركه منية بسنان ادركه الغرق بشر مكان) (٣).(٤).

---

(١) في النفح، والاعلام، والاستقصاء، ذلك الدم.

(٢) في الاحاطة والنفح والاستقصاء، جرى.

(٣) زيادة من الروض المعطار.

(٤) استشهد ابن سعيد المغربي - في المرقصات المطربات ص ١١ ط مصر، ص ١٧، ط بيروت والمخطوط بجملة واحدة و هي " وقد حكت الدماء على صفحة الماء حمرة البرق في زرقة السماء".

دام حكم بني عبدالمؤمن للمغرب ، والأندلس من عام ٥٢٤هـ إلى عام ٦٦٧ هـ وكان لهذه المدة الزمنية الطويلة ، ان حظي ديوان الخلفاء بمراكش ، بعدد وافر من الكتاب الذين علا صيتهم في المغرب بأقطاره الثلاثة ، وجزيرة الأندلس من خلال رسائلهم الديوانية ، التي كان يحملها الرقاصون ، لتقرا في النهاية ، على الأسياد الأمراء ، والولاة ، والرعية .

ولولا ضياع قسم كبير من هذه الرسائل لوجدنا عددا كبيرا من هؤلاء الكتاب)واما الرسائل التي وصلتنا ، فقد تجاوز كتابها عشرين كاتبا ، فرجعنا إلى ترجمة المشهورين منهم ضمن كتب التراجم ، ومنهم من استحال علينا الاهتداء إلى ترجمة لهم من خلال المصادر المتوفرة لدينا ، ومنهم من لا يمكن معرفة اسمه نظرا لذكر كنيته فقط ، كابن فلان ، أو أبي فلان ، واحيانا لم نتمكن من تحديد المنطقة التي صدرت منها الرسالة ، هل هي مغربية أم اندلسية ؟ لانها تذكر في العادة بفلانة ، وسكانها بأهل فلانة .

فقد وقفنا لابن عميرة (١) ، على رسالتين ديوانيتين الأولى وجهت من والي إشبيلية إلى الخليفة المستنصر (٢) ، والثانية عن الخليفة الرشيد موجهة إلى اهل شرق الأندلس ، مؤرخة في الحادي والعشرين من شهر شعبان عام ٦٣٦هـ(٣) .

---

(١) انظر ترجمته في عنوان الدراية ص ٢٩٨، ٢٩٩ ، رقم ٩٢ الاحاطة ج١ ص ص ١٧٩-١٨٦، ابن الابار ، تحفة القادم ، ص ٢٠٩ رقم ٩٩ ، اعاد بناءه وعلق عليه احسان عباس دار الغرب الاسلامي ط ١ ، عام ١٩٨٦، ابن سعيد الاندلسي، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ص ٤٢، رقم ٦. تحق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ عام ١٩٨٠.

(٢) صبح الاعشى ج ٦ ، ص ٤٣٤ .

(٣) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية - الاندلس وشمال إفريقيا - ص ٤٢١-٤٣٣ ط عام ١٩٨٠، سوريا، عصر المرابطين والموحدين ج٢ ، ص ٧٣٧ ، ٧٣٨، رقم ٦ .

كما وقفنا أيضا على أربع رسائل لأبي القاسم البلوي (١) صنفناها ضمن رسائل الاعتداءات والشكايات (٢) ، وأما أبو بحر صفوان بن إدريس ، صاحب زاد المسافر فاستشهدنا له برسالة واحدة ، وجهت الى ملك قشتالة وطليطلة (٣)، ومثلة ابو الربيع سليمان الموحدي ، في رسالته الموجهة إلى ملك غانة (٤) ، وابو موسى قاضي مراكش (٥) وغيرهم من الكتاب .

ومنهم من لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر ، كأحمد بن محمد الذي اورد له ابن صاحب الصلاة رسالة في بيعة الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، الصادرة عن أهل إشبيلية عام ٥٦٣هـ (٦)، الذي قال عنه عبدالهادي التازي لم يذكر ابن صاحب الصلاة " نعتا ، ولا نسبا ، ولا لقبا لأحمد هذا ، ولم يرد اسمه أكثر من هذه المرة ، وأظن انه يعني به ابا العباس احمد بن محمد بن أحمد بن مقدام الرعيني الإشبيلي ممن كان صاحب ابا بكر بن العربي في وروده على مراكش لبيعة عبدالمؤمن عام ٥٤٢هـ فقد ظل بعد عودته على صلة بالسادة الموحدين وقد توفي في آخر سنة أربع وستمائة "(٧)

وبعد الوقوف على مجمل الرسائل الديوانية الموحدية ، اخترنا ثلاثة كتاب ديوانيين أولهم ، أبو جعفر بن عطية من المغرب الاقصى ، والثاني أبو الفضل بن محشرة . من المغرب الاوسط ، والثالث ابو الحسن بن عياش من العدوة الأندلسية .

---

(١) الذيل والتكملة السفر ١ ، ق ٢ ،ص ص ٤٥٣-٤٦٠ رقم ٦٧٤ المقدح المعلي ص ١٦٠ رقم ٢٠ .

(٢) مخطوط الغطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ، ورقة ١٦٧-١٧١ .

(٣) مخطوط الغطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ورقة ٣٣-٣٥ .

(٤) النفح ج ٤ ص ١٠٤ .

(٥) التكملة رقم ١٩٣١ ، بغية الملتمس ص ٤٠٤ رقم ١١٥٥ .

(٦) المن بالامامة ، ص ٢٥٩-٢٦١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ هامش رقم ١ .

أبو جعفر بن عطية :

بعد سنتين من بيعة ابن تومرت ولد أبو جعفر أحمد بن أبي جعفر ابن محمد بن عطية ، ولقد أرادت الاقدار ، أن يعيش فترة طويلة من حياته خادما للمرابطين لان والده اما احمد جعفر بن محمد بن عطية ، عبر الزقاق تاركا وراءه قرية اجداده قمرلة ، وهي ناحية ، من نواحي طرطوشة في شمال شرق الاندلس ، وقيل من دانية (١) لينتقل إلى مراكش خادما للمرابطين.

ولا نعرف عن سلفه إلا ما ذكره أحمد بن القاضي قائلا ، إن اباه " كان من اهل الحفظ للحديث ، والمعروف بالتوثيق ، وسكن مراكش ، فحظي عند علي بن يوسف بن تاشفين، "(٢) ، ولم يكتف عبدالرحمن بن خلدون بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بل زاد ابنه تاشفين ، حيث كتب عنهما أبو أحمد (٣) ، ونقل الناصري الرواية نفسها ليثبتها ضمن كلامه عن ابي جعفر بن عطيه الابن (٤).

ولد ابن عطية الابن عام ٥١٧هـ (٥) بمراكش واعتقد انه كان يتردد في صباه على ديوان الكتابة ، الذي كان يشتغل به والده ،، فتتلمذ على يديه ، وعلى طائفة من شيوخ مراكش مترددا على الزوايا ، والكتاتيب ، وهي عادة أبناء المغرب ، في تعليم أبنائهم ، وهذا ما انفرد به لسان الدين بن الخطيب عن كثير ممن ترجموا لابن عطية الابن قائلا (٦) " إن ابا جعفر اخذ عن أبيه ، وعن طائفة كبيرة من اهل مراكش ".

وإذا كنا لا نعرف هؤلاء الشيوخ ، فإننا نعرف ، بأن أبناء المغرب والأندلس يستهلون دراستهم بحفظ قسم من القرآن - إن لم يكن

---

(١) الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٢٣٨ ، جذوة الاقتباس ، ص ١٧٨، الاحاطة ج١ ص ٢٦٤ ، الاستقصاء ج٢ ص ١٣١ ، النفح ج ٧ ، ص ١٨٢، اعلام المراكشي ، ج١ ، ص ٦١.

(٢) جذوة الاقتباس ، ص ١٧٨. (٣) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٨٠ .

(٤) الاستقصاء ج ٢ ص ١٣١.

(٥) الاحاطة ج١ ص ٢٧١، اعلام المراكشي ج١ ، ص ٦٦ .

(٦) الاحاطة ، ج١ ص ٢٦٠ .

كله - وبعض الاحاديث النبوية ، ثم ينتقل الطالب بعدها ليستقي مادة لغوية ومادة ادبية مستخرجة من دواوين شعراء العصر الجاهلي والعباسي.

وقد أخلص ابن عطية الأب لسيده علي بن يوسف بن تاشفين ، ثم لابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، في فترة كانت دولة الموحدين تنتقل من انتصار لانتصار ، ودولة المرابطين تعاني من كثرة الحروب ، وانضمام اكثر سكان المغرب الأقصى والأوسط للدولة الجديدة ، وبقي ابن عطية الأب مخلصا للمرابطين مدينا لهم بالجميل ، حيث بقي إلى آخر ايامه على ولائه لهم ، وبعد وفاة تاشفين بن علي وقع ابن عطية الاب في قضية عبدالمؤمن بن علي فعفا عنه (١) ، وعلى الرغم من ذلك فقد ابتعد ابن عطية الأب كل البعد عن الدولة الجديدة ، فاتجه نحو فاس، وعندما نزل عبدالمؤمن بن علي بها اعتزم ابن عطية الأب الهروب ، فقبض عليه ، ويقول عبدالرحمن بن خلدون إنه (٢) " اعتذر فلم يقبل عذره وقتل ".

لقد ذهب ابن عطية الأب ضحية إخلاصه للمرابطين، ويضيف عبدالرحمن بن خلدون بعد هذه الحادثة ان ابن عطية الابن كان في تلك الفترة يكتب لاسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (٣) ، وعمره لم يتجاوز الثالثة والعشرين، حيث يذكر أحمد بن القاضي أن والده توفي عام ٥٤٠هـ (٤) ، وقل من يصل إلى هذه الدرجة في هذا العمر المبكر ، فقد قال ابن الابار (٥)" وكان في اول امره قد كتب لاسحاق ابن علي بن يوسف بن تاشفين "وهو اقدم مصدر يمكن الاعتماد عليه حيث توفي ابن الابار عام ٦٥٨هـ ، أما لسان الدين بن الخطيب فقد ذكر انه (٦) كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين وعن ابنه تاشفين وعن ابي اسحاق ، وكان أحظى كتابهم " دون أن يستشهد برسالة واحدة من تلك الرسائل التي قيل انه كتبها عن الأمراء المرابطين.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٨٠ . (٢) المصدر نفسه ج ٦ ، ص٤٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٤٨٣ . (٤) جذوة الاقتباس ص ١٧٨ .

(٥) اعتاب الكتاب ص ٢٢٦ . (٦) الاحاطة ج ١ ، ص ٢٦٣ .

وقد نقل عنه المقري الرواية نفسها (١) .

ويذكر المقري أن الكتابة في الأندلس والمغرب تنقسم إلى قسمين (٢) " اعلاها كاتب الرسائل وله حظ في القلوب ، والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسمائه الكاتب ... وأهل الاندلس كثيرو الإنتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن فتراته لحظة ، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا عثراته من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه . والكاتب الأخر كاتب الزمام ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالأندلس وبحر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل فيه يحتاج صاحبه إلى عظماء الناس ووجوههم ".

ويتم اختيار كاتب الديوان حسب ما أورده عبدالرحمن بن خلدون حيث يقول (٣) "واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد من أن يتخير ارفع طبقات الناس، وأهل العلم لما يعرض في مجالس الملوك ، ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب ، والتخلق بالتفاضل مع ما يضطر إليه في الترسيل ، وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها ".

ولا اعتقد أن شابا في مثل هذا العمر يجالس الأمراء ، ويكتب عنهم ، فقد ولد ابو جعفر بن عطية عام ٥١٧هـ وعمر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أربعون عاما ، وعندما بلغ عمر أبي جعفر العشرين كان عمر علي بن يوسف بن تاشفين ستين عاما ، واستبعد أن يطلب أمير المسلمين من شاب في هذا العمر ان يكتب له رسالة ديوانية ترسل الى الملوك أو تقرأ على الرعية ، وقد ذكر ابن ابي زرع ضمن كتاب علي بن يوسف بن تاشفين اسم أبي محمد بن اسباط (٤) دون غيره من الكتاب ، وقد اضاف الغبريني ضمن ترجمته لابن محشرة رتبة أخرى للكاتب الديواني وهي كاتب السر (٥) ويبدو أن الخلفاء

---

(١) النفح ج ٧ ، ص ٢٨٣ .
( ) النفح ج ١ ، ص ٢٠٥ .
( ) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٧ .
( ) الانيس المطرب ، ص ٢٦٤ .
( ) عنوان الدراية ، ص ٢٦٤ .

والامراء بالعدوية تعودوا على تصنيف الكتاب حسب الدرجات فاعلاها كاتب السر ، ثم كاتب الديوان ، وياتي في الدرجة الثالثه ما ذكره المقري وهو كاتب الزمام واظن انه كان يكلف بتحقيق ما ورد في الرسالة وتصحيح اخطائها والتاكد من الآيات القرآنية الواردة بها،وربما اعاد تحبيرها حتى تخرج في احسن صورة

وهذا ما جعلني اقول إن ابا جعفر بن عطية ، لم يكن كاتبا لأحد من هؤلاء الأمراء ، ولكنه كلف بمساعدة والده في تحبير الرسائل ، واخراجها إلى الناس في احسن صورة لذا لم يعثر على رسالة واحدة ، ولا قصيدة واحدة قالها ابن عطية اثناء حكم المرابطين فسان جوج كولان ، sait gcorge collin ، و ليفي بروفنصال levi provencal ، اوليا أهمية كبيرة في استخراج الرسائل الديوانية الموحدية وتحقيقها وقد تردد اسم ابن عطية الابن في كتابات ليفي بروفنصال provencal فلو عثر على رسالة لابي جعفر بن عطية ، كتبت في عهد المرابطين ، أو أدنى إشارة لكان قد ذكرها.

اما رسالة الفصول ، التي وردت كاملة في مخطوط القروبين، فقد ذكرها بروفنصال provencal وقال إنه عثر علي نسخة أخرى مبتورة بالاسكوريال (١) ، وقدم لنا وصفا لمخطوط القرويين ، قائلا : إنه يحتوي على إحدى وستين رسالة ، اربع منها مشرقية ، ثنتان منها كتبها القاض الفاضل ، بعد فتح بيت المقدس عام ٥٨٣هـ ، وثنتان للبويهيين ، وست وثلاثون رسالة موحدية ، اضاف إليها رسالة نقلها من صبح الأعشى وأما الرسائل الباقية فعددها إحدى، وعشرون رسالة مرابطية (٢) ، ولم ينشر بروفنصال إلا الرسائل الموحدية ولم يقف على رسالة واحدة ضمن الرسائل المرابطية ، كتبها ابو جعفر بن عطية ، أو نسبت إليه .

---

un receuil de lettres officielles almohades p 3 (١)

ibid , p 3 . (٢)

أما مخطوط الاسكوريال رقم ٥٣٨هـ ، فقد وردت فيه رسالة كتبت عن الأمير تاشفين بن علي بن تاشفين قبل وفاته بمدة يسيرة،التي دار موضوعها حول إحراق كتب الغزالي ، واما كاتبها فهو ابو عبدالله ابن أبي الخصال ، وله رسالة اخرى عن الامير نفسه ، ختمت بما ياتي "(١) ... كمل ما كتب به الفقيه الاديب البليغ الأريب ذو الوزارتين ، عبدالله بن ابي الخصال عن امير المسلمين".

اما وقد كتب عن إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين فإنني استبعد ذلك،لأن ابن عذاري ذكر أن عبدالمؤمن بن علي بعد فتحه مراكش عام ٥٤١هـ،دخل قصر الامير فوجده مستخفيا في كدس فحم في إحدى غرف الدار المذكورة فسيق إلى الامير (عبدالمؤمن) فاشفق عليه وحن لصغرسنه وكان ابن ستة عشرعاما وهم أن يعفو عنه ويسجنه" (٢) وعمر أبي جعفر بن عطية ثلاثة وعشرون عاما، وقد شاهدت مراكش في تلك الفترة وما قبلها معارك دامية لم ينج منها احد ، وهذا ما يفسر عدم العثور على رسالة واحدة لأبي جعفر ، كتبت في فترة المرابطين ، وقد عقب محقق الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام على قول لسان الدين بن الخطيب ، الذي ذكر أن أبا جعفر بن عطية كتب لعلي بن يوسف بن تاشفين وابنه تاشفين وابنه إسحاق،قائلا إن ابن الخطيب التبس عليه الأمربين الابن وبين ابيه ابي جعفر بن محمد بن عطية فإن الذي كتب لعلي بن يوسف ثم لابنه تاشفين هو الأب لا الابن ، اما الابن المترجم فقد كتب لاسحاق ، وربما لابيه تاشفين (٣)) وقد استبعدت ذلك

وبعد القضاء على آخر حكام المرابطين ، لم يجد ابو جعفر بن عطية ما يفعله سوى الهروب من قبضة الموحدين ، فقد ظل والده مخلصا للمرابطين حتى القي القبض عليه للمرة الثانية بفاس ، فقتل وبقي ابنه خادما لإسحاق بن علي بعد مقتل والده .

---

(١) مخطوط الاسكوريال ، رقم ٥٣٨ ورقة ١٤ أ .

(٢) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٨ .

(٣) اعلام المراكش ص ٦١ ، هامش ٢ .

فابن الابار يقول إنه بعد مقتل " اسحاق وطائفة من اصحابه توارى ابو جعفر ، ودخل في غمار الناس ، وبلغ به الجد في الاستخفاء والاستتار إلى ان ارتسم في المرتزقين من الرماة ليتبلغ بما يجري عليه "(١) ولا تختلف رواية ابن الأبار عن رواية عبدالواحد المراكشي، الذي يقول إنه هرب من قبضة الموحدين بعد انقراض دولة المرابطين، فغير هيئته وتسلل في صفوف الجيش ، ويقصد به جيش عبدالمؤمن (٢) واما ابن الخطيب فيقول (٣)"لما انقطعت دولة لمتونة دخل لفيف الناس ، واخفى نفسه " وعلى الرغم من الاختلاف البسيط في سرد هذه الروايات،فهي تتفق في كونه هرب من قبضة الموحدين ، وتسلل في صفوف المرتزقة ، ويقصد بهم جيش الموحدين ، أو تسلل بين صفوف العامة فاختفى عن ابصار الناس.

لكن عبدالرحمن بن خلدون، يذكر رواية اخرى مفادها، أن عبدالمؤمن بن علي، عندما دخل مراكش، وقبض على آخر حكام المرابطين، عفا عن كل من كان معه من الناس (٤)،ونقل الناصري عنه الرواية نفسها (٥) .

وتنقطع أخبار أبي جعفر بن عطية ، حتى يكشف عنه في جيش القائد الموحدي أبي حفص عمر الهنتاني، من أُصحاب ابن تومرت، وذلك بعد القضاء على ثورة الماسي الذي خرج على الموحدين وادعى هو الاخر الهداية ، وتسمى بابن تومرت، وانتهت هذه المعركة بفوز الموحدين في ذي الحجة من عام ٥٤١هـ حسب رواية ابن خلدون (٦) او يوم الخميس السادس عشر من ذي الحجة عام ٥٤٢هـ حسب رواية ابن الأبار (٧)، وهذا ما يثبت قول المراكشي إنه هرب، وتسلل في صفوف الجيش وقد ذكر أن أبا جعفر بن عطية كان محسنا للرمي.

---

(١) اعتاب الكتاب ، ص ٢٦٦ . (٢) المعجب ، ص ١٩٩ .

(٣) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٣ . (٤) تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٤٨٣ .

(٥) الاستقصاء ج ٢، ص ١٣١ . (٦) المصدر نفسه ج ٦، ٤٨٠ .

(٧) اعتاب الكتاب، ص ٢٢٦ .

ولم يسبق للقائد الموحدي أبي حفص عمر الهنتاتي قبل هذه المعركة أن شاهد أبا جعفر بن عطية ، لكن ابن الأبار الذي عاش، في كنف الدولة الحفصية بتونس، يبدا ترجمته لأبي جعفر بن عطية بقوله " صنيعة الإيالة الحفصية " وينتقل ابن الأبار بعد هذه المقدمة فيثني على ابي حفص بعد قضائه على ثورة الماسي حيث يقول(١)"... إلى أن ثار الدعي المعروف بالماسي واستفحل أمره فنهض، إليه الأمير المعظم المجاهد المقدس المبارك .... ناصر دعاية التوحيد " .

ولم يكن لابي حفص يد في ذلك، فقد جمعت بينهما الصدفة فقط ، وتعرف عليه عبدالمؤمن بن علي، وقربه منه ، بعد أن قرا رسالته التي كتبها بهذه المناسبة . فبعد انتهاء المعركة يقول ابن الابار " (٢) فنبه على ابي جعفر ، وقد اخفي نفسه في زمام العسكر ، وتنكر جهده ، وهو المعروف غير المنكر ، فدعا به لسعادته وأوعز إليه بإرادته فكتب رسالته التي اورثه تشريفا وتكريما .

وتتفق رواية ابن الابار مع رواية ابن خلدون ، كون أبي حفص طلب من أبي جعفر الكتابة فوافقه على طلبه وكتب رسالته (٣) .

اما لسان الدين بن الخطيب فيقول إن أبا حفص اراد (٤) " إعلام الخليفة عبدالمؤمن بما سناه الله ، فلم يلق في جميع من استصحبه من يجلي عنه ، ويوفي بما اراده ، فذكر له أن فتى من الرماه يحاضر بشيئ من الادب ، والاشعار ، والرسائل ، فاستحضره ، وعرض عليه غرضه ، فتجاهل ، وتظاهر بالعجز ، فلم يقبل عذره واشتد عليه فكتب رسالة فائقة مشهورة " .

ويقول عبدالواحد المراكشي، إن ابا جعفر وفق في كتابة هذه الرسالة ولكن بدون أن يستشهد بها فاهملها ، وقال إن الذي منعه عن رسمها هو طولها (٥) .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ . (٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٨٤ . (٤) الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٤ .

(٥) المعجب، ص ١٩٩ .

ولقد كانت هذه الرسالة ، وسيلة في وصوله إلى الكتابة والوزارة لدى عبد المؤمن فعندما " قرئت في مجلس الخليفة استغربها الحاضرون من الطلبة ، والفقهاء والكتاب والنبهاء والشعراء واستحسنها الخلفاء لما فيها من وصف الحال بعناية الابداع ، وانها اخذت من الفصاحة ، والبلاغة ، والتشبيه الغريب بالقلوب والاسماع واجمع البلغاء على إبداعها غاية الإبداع ، فكانت سببا بسعده ورفعة قدره وتحمده فاستكتبه عبدالمؤمن إثر ذلك ثم علا قدره "(١) .

وهذه الرسالة هي الأولى التي كتبها أبو جعفر بن عطية للموحدين ، وربما كانت اول رسالة ديوانية يكتبها في حياته ، بعد ان تدرب على قراءة الرسائل اثناء مساعدة والده في ديوان المرابطين وقد ورد فيها عن الماسي .

"... فصرع (بحمد الله)(٢) (تعالي)(٣) لحينه ، وبادرت إليه منونه ، واتته وافدات الخطيات عن يساره ، ويمينه و(قد)(٤) كان يدعي (انه بشر بأن) (٥) المنية في هذه الاعوام لا تصيبه ،(٦) ، والنوائب لا تنوبه ، ويقول في سواه قولا كثيرا ، ويختلق على الله إفكا وزورا فلما (عاينوا)(٧) هيئة ، اضطجاعه و(راو)(٨) ما خطته الأسنة (على أضلاعه)(٩) ، ونفذ فيه من أمر الله (تعالى)(١٠) ، مالم يقدروا على استرجاعه (انهزم)(١١) من كان لهم من الاحزاب ، وتساقطوا على وجوههم

---

(١) البيان المغرب(قسم الموحدين) ص ٣١ .

(٢) في الاحاطة واعلام المراكشي ، والحمد لله

(٣) زيادة من النفح . (٤) ناقصة في الاحاطة واعلام المراكشي .

(٥) ناقصة في الاحاطة .

(٦) في المصدر نفسه ، لا تصيبه ، ويزعم انه يبشر بذلك ، والنوائب لا تنوبه .

(٧) في النفح ، راوا . (٨) في المصدر نفسه ، وما .

(٩) في الاحاطة ، واعلام المراكشي ، في اعضائه .

(١٠) ناقصة في الاحاطة واعلام المراكش .

(١١) في الاحاطة واعلام المراكشي هزم .

تساقط الذباب، وأعطوا عن بكرة أبيهم (صفحات) (١) الرقاب، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب، فامتلأت تلك الجهات باجسادهم، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم، واخذ الله (تعالى) (٢) بكفرهم، وفسادهم، فلم يعاين منهم إلا من خر صريعا وسقى الارض نجيعا " (٣).

لقد كان ابو جعفربن عطية بسيطا في حياته، وكتاباته، فلم يتكلف في استعمال الكلمات الفخمة بل كتب باسلوب بسيط، فجاءت معانيه واضحة، إلى جانب استعماله الجمل القصيرة، فاستحوذ بقلمه، على فكر عبدالمؤمن فأعجب به وبقلمه وقربه، وزاده منصب الوزارة .

فابن الأبار يذكر انه الوزير الكاتب، دون ان يفصل بين الكتابة والوزارة وعند كلامه عن الرسالة التي كتبها لعبد المؤمن يقول (٤)" وبسببها أوثر بالكتابة الكلية والوزارة " .

ويقول عبدالرحمن بن خلدون، لما قرأ عبدالمؤمن رسالته اعجب ببلاغته فجعله كاتبا له ثم استوزره (٥) وقد ورد الكلام نفسه عند عبدالواحد المراكشي . ولسان الدين بن الخطيب، والمقري .

وكان عبدالمؤمن بن علي يصطحب وزيره في رحلاته وغزواته فبعد عودتهما من زيارة ضريح ابن تومرت كتب ابو جعفر بن عطية رسالة وجهت إلى طلبة الأندلس والتي دار موضوعها حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٦) وصحب عبدالمؤمن وزيره إلى تلمسان ، حيث كتب عنه رسالة حول انتصار جيش الموحدين بمنطقة سطيف (٧) ، كما وجهه

---

(١) في الاحاطة واعلام المراكشي صفحة (٢) زيادة من النفح .

(٣) اعتاب الكتاب، ص ٢٢٨، ٢٢٩، الاحاطة ج١، ص ٢٦٩، ٢٧٠ النفح، ج٧، ص ١٨٧، ١٨٨، الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، ج١، ص ٦٥، ٦٦.

(٤) اعتاب الكتاب . (٥) تاريخ ابن خلدون ج٦، ص ٤٨٣ .

(٦) نظم الجمان ص ص ١٥٠-١٦٧ .

(٧) مجموع رسائل موحدية ص ص ٢٦-٤٣، الرسالة التاسعة .

عبد المؤمن لعقد الصلح مع نصارى المرية (١) وعندما قام اخوه المهدي بن تومرت، عبد العزيز ،وعيسى بالثورة على عبد المؤمن ارسله لاطفاء الفتنة ، فكتب أبو جعفر بن عطية رسالة حول هذا الموضوع (٢) ولما خرج عبد المؤمن من مراكش قاصدا سلا ، لاستقبال كبراء العرب، قبل أن يعين ابنه محمدا وليا لعهده إصطحبه معه ، وكتب عنه رسالة بهذه المناسبة (٣) إلى غير ذلك من الرسائل التي كتبها ، اثناء رحلاته مع الخليفة عبد المؤمن .

ولم يكن عبد المؤمن بن علي يستطيع الاستغناء عنه في اموره السياسية ، وإخماده للثورات، التي كانت تقوم بين فترة واخرى، في المغرب الاقصى والأوسط،وهذا ما يتضح من خلال رسالته التي كتبها من بجاية في رفقة عبد المؤمن الموجهة لاهل قسنطينة حيث وعظهم ودعاهم للدخول في طاعة الموحدين . (٤) .

ونجد من خلال الرسائل التي حققها بروفنصال ان أبا جعفر بن عطية لم ينفرد بالكتابة للخليفة عبد المؤمن، بل جعل أخاه عقيل بن عطية كاتبا للخليفة كذلك واصطحبه الخليفة عبد المؤمن إلى بجاية ليكتب عنه رسالة بعد فتح قسنطينة (٥) وبعد زيارتهما لضريح ابن تومرت كتب عنه رسالة في الثامن من شوال عام ٥٥٢هـ (٦) كما كتب عنه رسالة أخرى بمناسبة فتح المرية، وبياسة وأبذه (٧) .

---

(١) الانيس المطرب، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، الاحاطة ج١ ص ٢٦٥ ، الاستقصاء ج٢ ص ١١٢ .

(٢) مجموع رسائل موحدية ، ص ص، ٣٧ - ٤٦ ، الرسالة الحادية عشرة .

(٣) المصدر نفسه ص ص، ٥٥ - ٦١ ، الرسالة الثالثه عشرة .

(٤) مجموع رسائل موحدية ص ص ١٧-٢٢ ، الرسالة السابقه .

(٥) المصدر نفسه ص ص ٢٢ - ٢٦ ، الرسالة الثامنه .

(٦) المصدر نفسه ص ٨١-٩٣ الرسالة السابعة عشر .

(٧) المصدر نفسه ص ص ٧١-٨١ ، الرسالة السادسة عشره .

ولم يشارك ابو جعفر بن عطية الخليفة في غزواته فقط بل شاركه في نظم الشعر وإبداء الراي في مختلف امور الحياة، حيث نجد عبد المؤمن يقول بعد ان شاهد جارية تنظر من الشباك :

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُبَّاكِ إِذْ نَظَرَتْ

فقال ابن عطية : حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى العُشَّاقِ بِالمُقَلِ

فقال عبد المؤمن :كَأَنَّمَا لَحْظُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال ابن عطية : سَيْفُ المُؤَيَّدُ عَبْدُ المُؤْمِنَ بْنُ عَلِي

ووجد الخليفة، في كاتبه، ووزيره ما ترتاح له النفس لذا قال عنه ابن الابار " بهر بهاؤه، واشتهر ابتداؤه، وانتهاؤه، حتى ساق الايام بل الأنام بعصاه، واستوثق له ادنى الشرق واقصاه "(١) .

لكن مع كل هذا يبقى ابو جعفر بن عطية الأديب الكاتب، الذي ينظر إلى الحياة نظرة تختلف في بعدها عن نظرة الخليفة، ونجد عبد الواحد المراكشي يقول (٢)، اخبرني الفقيه المتفنن ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن ابي جعفر الوزير عن ابيه عن جده الوزير ابي جعفر قال : دخلت على عبد المؤمن وهو في بستان له قد اينعت ثماره ،وتفتحت ازهاره، وتجاوبت على اغصانها اطياره، وتكامل من كل جهة حسنة، وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان، فسلمت، وجعلت انظر يمنة وشامة، متعجبا مما ارى من حسن ذلك البستان، فقال لي : يا ابا جعفر، اراك كثير النظر إلى هذا البستان قلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين، والله إن هذا المنظر حسن فقال : يا ابا جعفر المنظر الحسن هذا ؟ قلت : نعم، فسكت عني، فلما كان بعد يومين او ثلاثة، امر بعرض العسكر آخذي اسلحتهم وجلس في مكان مظل، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلا والتي بعدها احسن منها ، جودة، سلاح وفراهة خيل، وظهور قوة، فلما رأى ذلك التفت إلي وقال يا ابا جعفر، هذا هو المنظر الحسن، لا ثمارك واشجارك .

---

(١) الانيس المطرب، ص ٢٠٣، النفح ج ٧ ص ١٨٦، شجرة النور الزكية ص ١٣٥ ق ٢ .

(٢) المعجب، ص ٢٠١، ٢٠٢ .

لقد عاش أبو جعفر أطول فترة من حياته خادما للمرابطين مدينا لهم، وشاءت الاقدار أن يتولى منصب الوزارة والكتابة لدى الخليفة عبدالمؤمن، الذي امر بقتل والده، ولم ينظم أبو جعفر للموحدين إلا بعد وفاة إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، ولو حكم المرابطون أكثر من هذه المرة، لبقي أبو جعفر بن عطية مخلصًا لهم، لكن الوزير الكاتب لم يكن ناكرًا لجميل عبدالمؤمن، وبذل كل جهده في خدمة دولة فهذا الناصري يقول عنه (١) "حمدت سيرته وادارته، وقاد العساكر، وجمع الاموال، وبذلها، وبعد في الدولة صيته، ونال من الرتبة عند السلطان مالم ينله أحد في دولته، وتحبب الى الناس باجمال السعي والاحسان، فعمت صنائعه ... وكان محمود السيرة مبخت المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المأخذ ميسر المآرب، وكانت وزارته زينا للوقت، وكمالا للدولة "، وأما رسائله الديوانية التي كتبها عن عبدالمؤمن بن علي، فقد بقي رائدا لها، بحيث نجد كل الكتاب الذين تولوا مهنة الكتابة من بعده ينهجون نهجه ويسيرون على منوال رسائله، التي اصبحت نموذجا يحتذي بها كل من احترف الصنعة من بعده، وتطورت الاحداث في عهده حيث عين عبدالمؤمن ابنا له وليا للعهد وجعل ابناءه ولاة على البلاد.

وجمع مجموعة كبيرة من سكان المغرب الأوسط ومن المقربين لديه من منطقة كومية وكانت جماعة كبيرة من اهله تحسد ابا جعفر بن عطية على المكانة الرفيعة التي وصلها، ويأتي على رأسهم كل من بايع ابن تومرت ولا يزال حيا في تلك الفترة من أهل الخمسين والسبعين، فعندما كلف الخليفة ابنه بمهمة الجهاد في العدوة الاندلسية عام ٥٥١هـ، بعث معه وزيره أبا جعفر بن عطية، ولما خلا الجو لحساده، اوغروا صدر الخليفة عليه (٢).

---

(١) الاستقصاء ج ٢، ص ١٣١.

(٢) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٥، النفح ج ٧ ص ١٨٣، الاستقصاء ج٢، ص ١٣٢.

وبعد عمل منصل وصل عبدالسلام الكومي من اهل الخليفة أن يستميل قلبه ،ونجد الخليفة عبدالمؤمن ينقلب ضد كاتبه ووزيره ، وفي تلك الفترة قدمت قصيدة بين يديه من انشاء مروان بن عبدالعزيز يقول فيها (١) .

قُلْ لِلإِمَامِ أَطَالَ اللَّهُ مُدَّتَهُ   قَوْلاً تَبَيَّنَ لِذِي لُبٍّ حَقَائِقُهُ
إِن الزَّرَاجِينَ قَوْمٌ قَدْ وَتَرتَهُمُ   وَطَالِبُ الثَّأْرِ لَمْ تُؤْمَنْ بَوَائِقُهُ
وَلِلْوَزِيرِ إِلَى آرَائِهِمُ مَيْلٌ   لِذَاكَ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ عَلاَئِقُهُ
فَبَادِرِ الْحَزْمَ فِي إِطْفَاءِ نَارِهِمُ   فَرُبَّمَا عَاقَ عَنْ أَمْرٍ عَوَائِقُهُ
هُمُ الْعَدُوُّ وَمَنْ وَالاَهُمُ كَهُمُ   فَاحْذَرْ عَدُوَّكَ وَاحْذَرْ مَنْ يُصَادِقُهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِي نَاصِحٌ لَكُمُ   وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لاَ تَخْفَى طَرَائِقُهُ

وكما اختلفت الروايات في كثير من امور حياته تضاربت في سبب قتله ، قال لسان الدين بن الخطيب (٢) وعبدالواحد المراكشي (٣) والمقري (٤) إن الخليفة اطلعه على سر فأفشاه وزاد لسان الدين ابن الخطيب (٥) " كونه لم يقف في اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين حتى تزوج بنت يحيى الحمار من امرائهم ، وكانت امها زينب بنت علي بن يوسف " .

ويقول عبد الواحد المراكشي ان زينب بنت ابي بكر بن يوسف ابن تاشفين المعروفة ببنت الصحراوية ، واخوها يحيى فارس المرابطين يعرف أيضا بيحيى بن الصحراوية (٦) .

ورغم هذه الاختلافات، فليس هناك اي ضرر، من زواج ابي جعفر ابن عطية بأميرة مرابطية ، وقد قربه عبدالمؤمن، وعفا عن كل سكان مراكش بعد مقتل اسحاق بن يوسف بن تاشفين آخر امراء المرابطين .

---

(١) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٦ ، النفح ج ٧ ص ١٨٢ ، الاستقصاء ج٢ ص ١٣٢

(٢) الاحاطة ج ١ ص ٢٦٦ .   (٣) المعجب، ص ١٩٩ .

(٤) النفح ، ج ٧ ص ١٨٣ .   (٦) الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(٥) المعجب، ص ١٩٩ .

ولما انتهى الأمر إلى أبي جعفر، وهو بالعدوة الأندلسية قفل راجعا إلى مراكش وعندما توجه عبدالمؤمن إلى تينمل، لزيارة ضريح ابن تومرت، اصطحب ابا جعفر وأخوه عقيل، وبعد عودتهم، من الزيارة، امر عبدالمؤمن بقتلهما .(١)

لقد كان عبدالمؤمن تلميذا مخلصا لمعلمه ابن تومرت، وحضر معه أيام التمييز حيث امر إبن تومرت عبدالواحد الونشريسي بقتل مجموعة كبيرة من الذين شك في إخلاصهم وقد تميزت دولة الموحدين عن المرابطين بسياستها الدموية حيث، لم يشفق ابن تومرت، ولا عبدالمؤمن، على كل من شك في اخلاصه للدولة، فامر الخليفة بقتل ابن عطية الاب عام ٥٤٠هـ ثم قتل ابنيه ابا جعفر وابا عقيل في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٥٥٣هـ (٢) .

ابن محشرة :

هو ابو الفضل، حسب عبدالواحد المراكشي (٣)، وابن ابي زرع (٤)، وعبدالملك المراكشي (٥)، وأما عند الغبريني(٦) فهو، ابو الفضل، وابو العلى، وهو أبو العباس عند بن عذاري (٧)، ولسان الدين بن الخطيب (٨) .

والملاحظ ان كنية أبي الفضل، ترددت غير مرة، وقد اجمعت عليها المصادر فهو إذن أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر تميم القيسي عند الغبريني، ولم يتمكن محمد بن شريفه من قراءة الكلمة المطموسة بين تميم والقيسي، فكتب ابن محمد بن طاهر بن تميم [.......] القيسي (٩) .

---

(١) الاحاطة ج١، ص ٢٦٦ .

(٢) الحلة السيراء ج٢، ص ٢٣٨، البيان المغرب (قسم الموحدين)ص ٥٨ .

(٣) المعجب، ص ٢٤٤ . (٤) الانيس المطرب، ص ٢٠٦ .

(٥) الذيل والتكملة السفر ٨، ق ١، ص ٥٤ - (٦) عنوان الدراية، ص٥٣ .

(٧) البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ص ١٦٦ .

(٨) الاحاطة، ج٤، ص ٣٥٥ . (٩) الذيل والتكملة السفر٨، ق ١، ص ٥٤ .

وهو جعفر بن احمد عند عبدالواحد المراكشي (١)، وعلي بن طاهر عند ابن الزبير (٢) وابن طاهر عند ابن ابي زرع (٣) ولسان الدين بن الخطيب (٤)، واكتفى ابن عذاري بطاهر دون أي ذكر (٥)

المعروف بمحشرة عند ابن أبي زرع (٦)، وبابن محشرة عند عبدالواحد المراكشي (٧)، وابن عذاري (٨) والغبريني (٩) وهو ابن محشرة عند عبدالملك المراكشي (١٠)، وابن الزبير (١١)، ولسان الدين بن الخطيب (١٢) .

ولد عام ٥٤٠هـ (١٣)أوقبلها بيسير بمنطقة أشير من قلعة بني حماد، وهي ضاحية من ضواحي بجاية ولا نعرف عن عائلته سوى أنه كان من بيت علم وجلال، وأن اباه كان قاضيا ببجاية (١٤) ولا نعرف عن صباه وشيوخه إلا انه كان تلميذا لابي القاسم القالمي(١٥)، وانفرد ابن الزبير عن كل المترجمين - بكسر الجيم - لابن محشرة انه " روى عن ابي بكر بن غالب بن عطية، وابي بكر بن سابق، وابي محمد التامقلق، وروى عنه ابن أخته القاضي أبو عبدالله . (١٦)

---

(١) المعجب، ص ٢٤٤ . (٢) صلة الصلة ص ٢٩١ .

(٣) الانيس المطرب، ٢٠٦ . (٤) الاحاطة، ج٤، ص ٣٥٥ .

(٥) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٦ .

(٦) الانيس المطرب، ص ٢٠٦ . (٧) المعجب، ص ٢٤٤ .

(٨) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ١٦٦ .

(٩) عنوان الدراية، ص ٥٣ .

(١٠) الذيل والتكملة، السفر ٨، ق ١ ص ٥٤.

(١١) صلة الصلة، ص ٢٩١ . (١٢) الاحاطة، ج٤، ص ٣٥٥ .

(١٣) الذيل والتكملة السفر ٨ ق ١ ص ٥٤ - عنوان الدراية، ص ٥٥

(١٤) المصدر نفسه، ص ٥٣ .

(١٥) المصدر نفسه، ص ٥٣ .

(١٦) صلة الصلة ص، ٢٩١ .

ولا نعرف من المدن التي رحل إليها طالبا للعلم إلا مدينة بجاية، التي استدعاه منها الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن إلى ديوانه بمراكش،والسبب في ذلك أن كاتب سر الخليفة توفي في تلك الفترة، وبعد البحث عن كاتب آخر، شاءت الأقدار ان يزور ابو سرحان مسعود إبن سلطان الرياحي المعروف بمسعود البلطي (١)، الخليفة يوسف بمراكش " وكانت له عنده مزية، وكان يحضر معه اكثر الأوقات في الخلوات قال : دخلت عليه يوما فوجدته مغتما، وقد ظهر التغير في وجهه، فقلت له يا سيدنا يا أمير المؤمنين ما الذي أهمكم لا اهمكم الله ؟ فقال لي إن كاتب سرنا فلانا قد مات وقد احتجنا إلى من نقيمه مقامه، وما وجدنا، لأنه يحتاج في كاتب السر ان يكون على صفة كذا، وعلى نعت كذا فقلت له بشراك يا سيدنا يا أمير المؤمنين، هذا الرجل ببجاية، ابو الفضل بن محشرة، ووصف له في صفاته ما وقع منه موقع القبول، فكتب إليه أمير المؤمنين من حينه، وأمر والي بجاية ان يحتفي به ويحمله غير محمل فلم يمكنه بعد وصول الأمر الاطاعة أمير المؤمنين ولم يمكنه التخلف "(٢)

وكان ابن محشرة البجائي مضطرا للرحيل عن بلده، فوفد على مراكش مكرها عندما بعث الخليفة يوسف في طلبه " مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله، ولكن عزة العلم أغنته عن الناس، وحملت له من المزية في الأنفس ازيد مما يقاس " (٣) .

و تم استدعاء ابن محشرة بعد وفاة كاتب سر الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن كما ذكر الغبريني، وأعتقد انه يقصد أبا الحسن بن عياش المتوفي عام ٥٦٨هـ وعمر ابن محشرة ثمانية عشر عاما او ما يزيد .

---

(١) هو مسعود بن سلطان بن زمام، كان من الخارجين على بني عبدالمؤمن، عنوان الدراية هامش ١ ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤ .

(*) مدينة صغيرة تقع بشرق المغرب الاوسط (الجزائر) تحيط بها الجبال، الاستبصار، ص ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٣ .

فعبد الواحد المراكشي يذكر ان ابن محشرة خدم ابا القاسم القالمي (١) إلى أن توفي، فكتب مكانه أي انه كان موجودا بمراكش ساعة وفاة القالمي، وهؤلاء الكتاب الثلاثة خصهم الخليفة يوسف لنفسه، اي انهم كانوا معروفين بكتبة سر الخليفة .

ولما مثل بين يدي الخليفة يوسف لمس فيه الأخلاق الحميدة فوقع أبو الفضل من نفس الخليفة موقعا حسنا، فأكرمه، ورفع منزلته، غير أن الحساد، كادوا أن ينجحوا في تعكير صفو هذه العلاقة الجيدة، حين اتهموا ابا الفضل بالتقاعس عن المجيئ فور استدعاء الخليفة له، والتأخر عن تلبية ندائه، وعندما واجهه الخليفة معاتبا أجاب مشبها اتيان الخليفة باتيان الصلاة قائلا له " يا أمير المؤمنين انت إمام المسلمين، وما احسب أن محل الإمامة إلا كمحل الصلاة، فكما آتي إلى الصلاة آتي الى هذا المحل، وقد قال رسول الله صلى الله وسلم (إذا اقيمت الصلاة، فلا تاتوها، وانتم تسعون واتوها تمشون، وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا)"(٢)فاستحسن الخليفة ذلك منه، وعظمت منزلته في نفسه .

وبعد وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي، كتب ابن محشرة للخليفة يعقوب المنصور ثم لابنه محمد الناصر، وذكر ابن عبد الملك، أن ابن محشرة دخل بلاد الاندلس وكتب إلى الخليفة المنصور (٣)، لكن ابن الزبير قال إن الشيخ - يقصد ابن عبد الملك -ذكره في الذيل " ولم يذكر انه دخل الأندلس والله أعلم " (٤) .

لكن آخر ما وصل إلينا من رسائل ابن محشرة هي رسالته المؤرخة في ٢٦ من جمادى الثاني عام ٥٨٦هـ (٥)، وذلك قبل وفاته

---

(١) المعجب، ص ٢٤٤ .   (٢) عنوان الدراية، ص ٥٤، ٥٥ .

(٣) الذيل والتكملة السفر ٨ ق ١ ص ٥٤ .

(٤) صلة الصلة، ص ٢٩٩ .

(٥) مجموع رسائل موحدية ص ص ٢١٨-٢٢٨، الرسالة الرابعة والثلاثون.

باثني عشر عاما فاستخلفه ابو عبدالله بن عياش، أي ان رسائل ابن محشرة التي وصلتنا، كتبت في عهد الخليفة يوسف وابنه يعقوب المنصور، والى جانب براعته في الكتابة جمع بين سعة الرواية والفقه والنبل، والتقوى،والحفظ والذكاء واضاف عبدالملك المراكشي حسن الخط والتواضع (١) .

أما انتاج ابن محشرة الأدبي فكل ما وصل إلينا من رسائله الديوانية التي حققها ليفي بروفنصال، المستخرجة من مخطوط القزوين من طرق زميله جورج كولان عام ١٩٢٦م وعددها تسع رسائل، وقد كتبت عن الخليفة يوسف وابنه يعقوب المنصور .

الرسالة الاولى هي السادسة والعشرون، في مجموعة بروفنصال ، وقد كتبها ابن محشرة عن الخليفة يوسف ابن عبدالمؤمن بن علي بتونس، وذلك في منتصف شهر شوال عام ٥٧٦هـ الموجهة الى الطلبة والموحدين، والشيوخ، والاعيان والكافة بقرطبة يخبرهم بتحرك قبيلة رياح نحو جزيرة الأندلس للجهاد، والملاحظ أن هذه الرسالة تؤكد مشاركة القبائل العربية في الجهاد بالعدوة الاندلسية، كما ذكر ذلك عبدالرحمن بن خلدون (٢) .

فبعد فتح قفصة اتجه الخليفة يوسف نحو المنطقة الشمالية بالمغرب الأدنى فجمع أشياخ العرب من قبيلة رباح وعرفوه " ... أن الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس - مهدها الله - ... وإن كانت هده البلاد هي التربة التي مست أولا جلودهم، وقضوا فيها من الشباب عهودهم، فالذي ينتقلون إليه من الرباط في سبيل الله بجمع لهم الخير في الدين، والدنيا والشرف بالكون في عداد كلمة الله العليا، وبين لهم انهم إذا استقبلوا هذا الغزو السعيد، والغرض الحميد بنيات متجردة وعزائم فيه

---

(١) الانيس المطرب، ص ٢٠٦، ٢٠٧، المعجب ص ٢٤٤، الذيل والتكملة السفر ٨ ق ١ ص ٥٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٥٠٠ .

متجددة، ونفروا إليه، بجعلتهم من غير استثناء، واستصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وأبناء ... وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الأندلس - مهدها الله - ثم صمدوا لعدوهم وتفرغوا لرواحهم في سبيل الله وغدوهم كانت خواطرهم لغزو أعدائهم أفرغ "(١) .

وكتب ابن محشرة بعد وفاة الخليفة يوسف لابنه يعقوب المنصور، الذي ذكر أن اباه الخليفة يوسف كان قد نقل مجموعة كبيرة من القبائل العربية إلى المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس، لمشاركة اخوانهم في الجهاد، بالعدوة الأندلسية، وقد عاد الجيش الموحدي ظافرا، فرأت القبائل العربية، وإخوانهم الموحدون مبايعة الخليفة يعقوب المنصور أميرا للمؤمنين فقد "... رجع الموحدون - أعزهم الله - من غزوتهم المبرورة التي أعز الله بها المسلمين ...وبلغهم من نكاية أعدائهم، وتدويخ اكنافهم، وارجائهم، ما تجاوز امانيهم وآمالهم، تعين الوقت الموعود، وحضر الزمن المرسوم له المحدود، وكان بحكم الاحتفال للغزوة المباركة، وحرص الكافة على اغتنام أجور المساهمة فيها والمشاركة أجمع من الموحدين - أعانهم الله - ومن انضاف إليهم من الأجناد، ومن كافة العرب ...واحضروا لأخذ البيعة عليهم افواجا، وسلكوا من الطاعة الصادقة سبلا فجاجا، واقتفوا في ذلك من آثار هذا الأمر العظيم ... وبادر الأعيان من الموحدين، وغيرهم - وفق الله جميعهم - إلى البيعة، وسارعوا، وترادف الناس بعدهم، وتتابعوا، واعطى الجميع صفقة ايديهم باخلاص من سرائرهم، وبايعوا،والزموا فروض البيعة بشروطها، وقيودها، ووقفوا عند رسومها المعلومة، وحدودها، وأمضوا على أنفسهم، احكام حقوق الطاعة الصحيحة وعهودها " (٣) .

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ١٥٢، ١٥٣، الرسالة السادسة والعشرون .

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ١٦١،١٦٢، الرسالة السابعة والعشرون .

وإلى جانب ما تحمله رسالة ابن محشرة، من أهمية من بيعة الخليفة المنصور ومشاركة القبائل العربية، إلى جانب إخوانهم البربر في الجهاد، بالعدوة الأندلسية فهي تصحح تاريخ وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي، فقد ذكر ابن عذاري (١) والنويري (٢)، وابن أبي زرع(٣)، ولسان الدين بن الخطيب (٤)، والزركشي (٥)، ان وفاة الخليفة يوسف كانت يوم السبت الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وصحب ابن محشرة الخليفة يوسف أثناء جهاده بمنطقة شنترين، وكتب هذه الرسالة في بيعة الخليفة يعقوب المنصور في السابع من جمادي الاول، أي بعد وفاة الخليفة يوسف بخمسين يوما وهو ما يؤكد الخطأ الذي وقع فيه عبد الواحد المراكشي (٦) حيث ذكر ان وفاة الخليفة يوسف كانت في السابع من شهر رجب من العام نفسه ، أي بعد بيعة الخليفة يعقوب المنصور بمدة شهرين، ونقل عنه ابن خلكان (٧) هذا التاريخ .

وأما الرسالة الثامنة والعشرون ضمن مجموعة بروفنصال فقد كتبها ابن محشرة عن الخليفة يعقوب المنصور، في أواخر رمضان عام ٥٨٠هـ الموجهة إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان، الكافة باشبيلية، التي يدور موضوعها، حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بصفة عامة، وبخاصة القرار الذي اتخذه الخليفة بمنع شرب الرب حيث كتب ابن محشرة عن الخليفة قائلا " ... فإن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزا أغفلوا فيه الاجتهاد ورتعوا حول حماه رتعا ارتعهم فيه أوكاد، وتسامحوا فيه تسامحا خرق المتعارف من المأذون فيه والمعتاد، وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على احترام، ولا يتخوف بما يكتسب من آثام ... ولما تقرر عندنا من الالتباس في ذلك ما تقرر، وتردد على أسماعنا ما استرسل فيه وتكرر ، وعلمنا أن

---

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٤ .

(٢) نهاية الارب، ص ٤٣٣ . (٣) الانيس المطرب، ص ٢١٥ .

(٤) رقم الحلل، ص ٥٨ . (٥) تاريخ الدولتين، ص ١٤ .

(٦) المعجب، ص ٢٦١ . (٧) وفيات الاعيان، ج ٠٧، ص ١٣٨ .

الذي وسع على الناس من اتخاذه لم يتبين لهم الحق فيه على وجهه ولن يتحرر، وان ذلك مما يصعب عليهم بسبب ما تساهلوا فيه ويعتذر، راينا - والله المستعان - ان قطعه بالكلية اخلق بالاحتياط لدينهم واجدر، فمن العصمة الا يجدوه ومن العون لهم على تركه ان يعدموه ويفقدوه، فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله - عزوجل - فاقطعوه جملة وتفصيلا، ولا توجدوا احدا إلى بيعه سبيلا واشتدوا في ذلك اشتدادا لا يوسع مستسمحا فيه مدوفا عن هذا القصد الحميد ولا عدول، واخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وافقروها واصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيروها، والديار المعروفة ببيعه ايضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها واريقوا ما تلقون من مشتبه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده اشد عقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك ابلغ تتبع واشده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنا من كان فاقيموا عليه ما رسمه الشرع في ذلك وحده". (١)

لقد تبين لنا ان هذه الرسالة لا تختلف عن رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي سبقتها، باستثناء انها صدرت عن الخليفة الثالث يعقوب المنصور، وذيلت بتاريخ مختلف عن الرسائل التي سبقتها، وكانت الرسالة الجامعة لانواع الأوامر ورسالة الفصول نموذجا لكتابة رسائل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلال حكم الموحدين للمغرب والاندلس، واعتقد ان الكتاب الذين تولوا منصب الكتابة الديوانية في عهد الموحدين، اعتمدوا، على رسائل ابي جعفر ابن عطية في إخراج رسائلهم الديوانية في احسن صورة .

وتنبه بروفنصال Provencal لهذه الظاهرة، فقال: إن الكتاب الذين جاؤوا بعد ابي جعفر بن عطية اعتمدوا في كتابة رسائلهم التي تناولت موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على رسالة الفصول ، فيغيرون تاريخها واسماء الشخصيات التي ارسلت إليهم ويحتفظون بشكلها الخارجي (٢) .

---

(١) مجموع رسائل موحدية ص ص ١٦٥-١٦٧، الرسالة الثامنة والعشرون .

(٢) Un receuilde letres officilles almohades p 49 no23

وكتب ابن محشرة رسالته الرابعة عن الخليفة يعقوب المنصور ، في الخامس من ربيع الثاني عام ٥٨٠هـ ووجها إلى الطلبة والموحدين والاشياخ، والاعيان والكافة باشبيلية، وتتضمن الرسالة ، موضوع إعادة فتح بجاية بعد سقوطها في يد شقي ميورقة على ابن غانية (١) الذي غادر جزيرة - ميورقة - وتوجه إلى المغرب الأوسط ليستولي على المنطقة الشرقية منه (بجاية)، ففرض الضرائب على الناس، وطمع في الاستيلاء على قسنطينة *، ولكن أهلها قاوموة ، وردوه عنها ، وأرسل الخليفة جيشا بقيادة الطلبة،فقضوا عليه وتم بعون الله عزوجل فتح بجاية للمرة الثانية على يد الخليفة يعقوب المنصور بعد أن فتحها جده عبدالمؤمن بن علي (٢) .

وعن هذه الحادثة، يقول ابن محشرة " ... وقد علمتم - وفقكم الله ... ما كانت عليه حالة الكافر الغادر، اللعين الخائن الخاسر ... ولما عنت للفاسق الفرصة، اغتنم بزعمه انتهازها، ولما مكنته الغرة، حاول براية البائس اقتناصها واحتيازها، وتطلب من أمانيه ... فداخل أوباشا ممن كان ببجاية ممن رق دينه، وضعف إيمانه ويقينه، وزان على قلبه شيطانه المضل وقرينه، فيسروا له تمهد

---

(١) يقول الفرد بل Alfred Bel: إنه في عام ٥٤١هـ خلف الموحديون المرابطين، وانتهت الامبراطورية التي اسسها يوسف بن تاشفين، بوفاة حفيدة إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين بفتح مراكش وعندما عبر الموحدون جبل طارق، لغرض الجهاد، عظم خطرهم ، وبدأت الدولة الجديدة تهدد امراء البليار، بقايا المرابطين بالاندلس، وعلى أمل التحرر من قيد الموحدين، إلى جانب الحقد الذي يكنه علي بن غانية لبني عبدالمؤمن، دخل الامير علي بن غانية في محاربة الموحدين، ونقل صحبة اخويه، قلب المعركة إلى المغرب الاوسط عن طريق البحر، فاستولى على بجاية، وكان آخر حكام بني حماد يحمل في قلبه حقدا على الموحدين، الذين قضوا على دولته، ولكن بعد انتصارات قليلة اضطر علي بن غانية للهروب إلى المغرب الاقصى، وتوفي بها بعد ثلاث سنوات من الصمود، وترك بعده اخاه، قائدا لقواته .
Les Banov ghania Alfred Bel p 9, 10, paris ,1903

(*) قسنطينة : من المدن الجزائرية، تقع على جبل عظيم، ولها نهر كبير، وهي مدينة حصينة الاستبصار، ص ١٦٥،١٦٦ . بسط الأرض في الطول والعرض، ص ٧٦ .

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ص ١٧ - ٢٣، الرسالة السابعة، المصدر نفسه ص ٢٢ - ٢٦، الرسالة الثامنة .

صهوتها ... ولما قر فيها قراره، وانتشر بها فساقه وفجاره، ووضح له من أمله الكذوب في تملكها صبحه ونهاره، تعاوت إليه ذئاب الغارة وكلابها ... فقوي طمعه في الاستيلاء على ذواتها، وسولت له نفسه الخبيثة الاستحواذ على جهاتها، والتمكن من ارجائها وجنباتها ... ولما استفزه بما تهيأ له ببجاية وجهاته الغربية طمعه، واستجره حرصه المؤذي وجشعه، ووعدته التملك لأقطارها، والاستيلاء على بواديها وأمصارها، ظنونه الخائبة، قصد إلى قسنطينة -كلأها الله- مؤملا اختداع أهلها، ومقدرا نفوذ حيله في خترها وختلها، ومعملا، جهده، ومصرفا مكره وكيده، فيما يَمل حبله الواهي بحبلها، فالفي بمائر أهلها مستحكمة وعقائدهم على التقوى منبرمة وقلوبهم على الطاعة الصحيحة، والموالاة الخالصة الصحيحة، ملتئمة منتظمة فخاب بحمد الله سعيه وفال رأيه " (١) * .

أما الرسالة الثلاثون، في مجموعة بروفنصال Provencal - المؤرخة في الثامن عشر من شهر شعبان عام ٥٨٤هـ فقد كتبها ابن محشرة عن الخليفة يعقوب المنصور، من قابس**وجهت إلى الطلبة ،الموحدين والأشياخ والكافة بمراكش، وفيها يصف ابن محشرة الهزيمة النهائية التي تلقتها عائلة ابن غانية، واعادة فتح قابس .

---

(١) مجموع رسائل موحدية ص ص ١٧٠ - ١٧٤ الرسالة التاسعة والعشرون .

(*) يقول ابن الأثير إنه بعد وفاة الخليفة يوسف، خرج علي بن غانية من جزيرته متجها شطر بجاية، ودخلها بدون قتال نظرا لمساعدة جماعة من بني حماد، وكان واليها في طريقه إلى مراكش، ولما سمع باستيلاء الميورقي على بجاية رجع بصحبة ثلاث مائة فارس، وجمعت له القبائل البربرية والعربية الف فارس اخرى، لكن على الرغم من هذا، انهزم والي بجاية **، وعاد إلى مراكش، واتجه علي بن غانية الى قسنطينة وحاصرها بدون جدوى، وعاد والي بجاية مرة أخرى إلى بجاية صحبه جيش آخر أرسله الخليفة المنصور فحاصر الجيش المدينة برا وبحرا، حتى اضطر الميورقي الى الهروب صحبة اخويه إلى نواحي إفريقية، الكامل، ج ٩، ص ١٦٦.

(**) يقول الفرديل، إن القبائل البربرية والعربية انضمت، إلى جانب الميورقي، وكان هذا سببا في هزيمة والي اشبيلية .
les Banov ghanya, p 44

(*) قابس، مدينة قديمة تقع في جنوب تونس لها حصن منيع، وتشتهر بزراعة الموز، شبهها ابن سعيد المغربي بمدينة دمشق في بلاد الشام، الاستبصار، ص١١٢، ١١٣، مبسط الارض في الطول والعرض، ص ٧٨.

بعد خروج الميورقيين من جزيرتهم، اتجهوا إلى بجاية، فلما لحق بهم جيش الموحدين بقيادة الطلبة، فرت عائلة الميورقي إلى إفريقية بتونس، واختارت المنطقة الصحراوية منزلا لها، واعتدت ومن معها على أهل تلك المنطقة، واستولت على زرعهم وعندما وصل الجيش الموحدي إلى إفريقية في فصل الصيف، تم القضاء على بعض هؤلاء المتمردين، وبعد فشل خطة الميورقيين اتجهوا نحو قابس بصحبة مجموعة من الغز، فاتجه الجيش الموحدي إلى القيروان ثم قابس، حيث نشبت معركة دموية، انتصر على أثرها الموحدون على الميورقيين، والغز، واستمر البحث عن المتمردين، يوما وليلة، ثم دخل جيش الموحدين قابس، وأمن أهلها (١) .

وفي الثاني من شهر رمضان عام ٥٨٤هـ كتب ابن محشرة رسالة عن الخليفة يعقوب المنصور، أخبرهم فيها بحصار الجيش الموحدي لمدينة قفصة، ودخول أهل الجرير تحت لواء الموحدين، واستهل ابن محشرة رسالته مذكرا الموحدين، بانتصار جيشهم في مناطق افريقية، واستيلائه على مدينة قابس ومغادرته إياها متجها نحو المناطق الصحراوية بنواحي الجريد، التي تقع بمنطقة نائية لم تطأها أقدام الجيش الموحدي من قبل لانعدام الماء بها، وذكرهم في مستهل رسالته هذه باستقبال سكان المنطقة لهم مما أتاح لهم دخولها سلما، وسلم لهم سكان الجريد القادة الذين نصبهم المتمردون على بلادهم باستثناء الذين تمكنوا من الهروب، إلى الصحراء، تاركين وراءهم ممتلكاتهم، ثم قدم ابن محشرة وصفا دقيقا لبلاد الجريد حيث يقول : "... لم يكن الوصف يعرف عن صفتها، ولا يؤدي كنه صورتها، ولا يطلع السامع على ما يجتليه المعاين من حقيقتها... إقليم متسع الأكناف، رحب الأوساط والأطراف، كثر المنافع والمرافق، والالطاف، جم الحدائق الغلب والجنات الالفاف، وكل مدينة منه مستقلة بذاتها "(٢) .

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ص ١٨٠ - ١٩١، الرسالة الثلاثون .

(٢) مجموع رسائل موحدية، ص ١٩٧، الرسالة الحادية والثلاثون .

وكتب ابن محشرة رسالة من قفصة، بأمر الخليفة يعقوب المنصور، وجهها الى الطلبة، الموحدين والاشياخ، والاعيان، والكافة بمراكش .

فبعد فتح قابس اتجه الجيش الموحدي بقيادة الخليفة يعقوب المنصور إلى مدينة قفصة، المحاطة بأسوارها الشاهقة، وعند الوصول إليها " ... شرع في العمل بالآلات المذكورة فنصب إليهم مجانيق ينهد من جنادلها النيق، ولا يبل كليهما ولا ستفيق، فيذهب بها كل يوم منهم، ومن أسوارهم طائفة منهم او فريق، ويصب عليهم منها عذاب واصب وحريق، وتصيبهم منها صواعق لا تستطيع نفوسهم المحروبة وقلوبهم المنحوبة، صبرا على إحتمال بلائها المهلك، ولا تطيق، واستمرت مدة على نكايتها فيهم، وقتل مقاتلهم وهدم مبانيهم واحدق بهم أذاها الملازم من جميع أرجائهم، ونواحيهم، حتى الحقت بالأرض مسافات من جدارهم ... وهدمت عددا من ابراجهم الشاهقة، وديارهم "(١) ولما تيقن اهل قفصة من تمكن الجيش الموحدي منهم طلبوا الأمان، وقفل الخليفة يعقوب المنصور راجعا إلى مراكش مصطحبا بمجموعة كبيرة من الغز التركمان لاستعمالهم بعد ذلك في الجهاد بالعدوة الاندلسية .

وكتب ابن محشرة رسالة ديوانية اخرى على لسان الخليفة يعقوب المنصور في العاشر من ربيع الأول عام ٥٨٤هـ وجهها، إلى الطلبة، والموحدين والأشياخ والأعيان بمراكش، لخص فيها الانتصارات والفتوحات بالمناطق الشرقية من المغرب الأوسط والادنى، واطلع الخليفة أهل مراكش على نتائج هذه الرحلة المباركة إلى البلاد الشرقية حيث تم فتح بجاية وقابس وقفصة .

وبعد نهاية هذه الرحلة الطويلة بالبلاد الشرقية أمر الخليفة ولاتها الاعتناء بسكانها، فاعيدت لهم أراضيهم المسلوبة ،

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ٢٠٤، ٢٠٥، الرسالة الثانية والثلاثون .

وعين الخليفة مجموعة من الطلبة الذين سيقومون بمراقبة وسير الأعمال بها .

والملاحظ أن هذه الوثيقة التي جاءت لتحمل نتائج هذه الرحلة التي أشرف الخليفة يعقوب المنصور بنفسه على إتمامها ، ونجاحها ، تحمل التاريخ الدقيق لاستيلاء الجيش الموحدي على بلاد المغرب الأدنى، وعودة المجاهدين إلى مقرهم بمراكش .

بعد عودة الخليفة يعقوب المنصور، من رحلته للمغرب الأوسط ، والأدنى التي توجت بانتصاراته ، وفتوحاته عزم على عبور بحر الرقاق، والاتجاه إلى الاندلس لجهاد النصارى بها ، ويعتبر هذا الجواز للعدوة الاندلسية الجواز الأول، وأما الثاني فقد توج بمعركة الأرك الشهيرة ، فكتب ابن محشرة على لسانه رسالة وجهت إلى طلبة سبتة في ٢٦ من جمادى الثاني عام ٥٨٦هـ، اخبرهم أن الخليفة قرر الجواز إلى العدوة الأندلسية لجهاد النصارى، فاستنفر جند الموحدين واخوانهم العرب، واتجه شطر جزيرة الاندلس، بدون أن ينتظر وصول الوفود التي لبت نداء الجهاد، وأمر الخليفة يعقوب المنصور طلبة سبتة أنه عزم على الجهاد، لأن ملك قشتالة الفونس الثامن بعث إليه كتابا يطلب منه ابرام اتفاقية سلم بينهما ، وانه مستعد لمحاربة النصارى في مقابل ذلك، فوافق الخليفة على ذلك، وبمثابة وصول الجيش قصر المزار، وصل وفد ملك قشتالة الى اشبيلية فاستقبلهم الطلبة ومن معهم من الموحدين، وتم عقد الهدنة مع ملك قشتالة ، وبعث ملك ليون الفونس التاسع وفدا لتجديد الهدنة المبرمة مع الموحدين، ولم يبق للخليفة إلا الاتجاه نحو البرتغال للقاء ملكها ابن الريق، ويذكر ابن محشرة - على لسان الخليفة يعقوب المنصور - المناطق التي مر بها المجاهدون بعد عبورهم جبل طارق إلى أن وصلوا إلى شنزين وخلال هذه الرحلة جمع الموحدون الغنائم، التي حازوا عليها، وقفل الخليفة راجعا إلى مراكش بدون أن يدخل البرتغال، بعد أن بث الرعب في نفس ملكها، واعتبرت هده الرحلة

انتصارا أضيف إلى الانتصارات بالمغرب (١) .

أبو الحسن بن عياش :

هو أبو الحسن (٢) عبدالملك بن عياش بن فرج بن عبدالملك بن هارون الأزدي (٣) من أهل يابرة * أصلا، وينتسب، إلى قرطبة، حيث كان أبوه إماما بمسجد من مساجدها (٤) .

أخذ عن أبيه فاقرأه وسمع منه (٥)، كما روى عن أبي عبدالله ابن مسعود ومحمد بن مسعود بن أبي الخصال، وأبي القاسم بن بشكوان .

كما روى عنه ابناه، أبو الحسن علي وأبو محمد عبيدالله (٦)، وكان زاهدا فاضلا ورعا مشتهرا بالأدب، والبلاغة والشعر، فكان من القلة الذين جمعوا ما بين النثر والنظم، كما كان من أهل الحديث والفقه (٧)، مما دعا أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين قاضي الجماعة، بقرطبة إلى استدعائه، ليكتب عنه أواخر أيام المرابطين (٨) .

وبقي أبو الحسن في صحبة أحمد بن محمد بن حمدين حتى أثار صاحبه الفتنة، في قرطبة فاضطر إلى الفرار من قرطبة متجها نحو

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ص ٢١٨-٢٢٨، الرسالة الرابعة والثلاثون.

(٢) ذكر عبدالواحد المراكشي لقبه، أبو محمد، المعجب ٢٤٤.

(٣) الذيل والتكملة السفر٥، ق١ ص ٢٦.

(*) مدينة اندلسية قديمة وهي كورة من كور باجة الروض المعطار مادة (يابرة) .

(٤) un recueil de lettre officielle almohade, p 8
وانظر الذيل والتكملة السفر ٥، ق ١ ص ٢٦، واعلام المراكشي ج ٨، ص ٣٥٧، الانيس المطرب، ص ٢٠٦، التكملة، رقم ١٧٣١ .

(٥) الذيل والتكملة السفر ٥، ق ١، ص ٢٦، اعلام المراكشي ج ٨، ص ٣٥٧ التكملة رقم ١٧٢١ .

(٦) الذيل والتكملة السفر ٥، ق ١ ص ٢٦، اعلام المراكشي ج ٨ ص ٣٥٧، بعد ان ذكر عبدالملك المراكشي اسم ابنه ابو محمد عبد الله انتقل بعدها فقال هو ابو محمد عبدالله .

(٧) المصدر السابق، السفر ٥ ق ١، ص ٢٧، المصدر السابق ج ٨، ص ٣٥٧.

(٨) المصدر السابق، السفر ٥ ق ١ ص ٢٧، المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٥٧، التكملة، رقم ١٧٢١ .

إشبيلية (١)، لينقطع إلى التعبد، والتزهد، لا يتقوت إلا من مال صديقه أبي الاصبع الباجي لعلمه بطيب مكسبه لوراثته إياه عن أسلافه "(٢) .

وظل أبو الحسن بن عياش على حاله هذه، إلى أن أرسل، ابو اسحاق براز بن محمد المسوفي، عامل الخليفة عبدالمؤمن بن علي باشبيلية يلزمه الكتابة عنه " فتقلدها على كره، وتقية على نفسه (٣)، لكن ابن حذاري ذكر أن الذي قربه هو ابو بكر المرادي (٤) ، وليس ابو اسحاق براز محمد المسوفي وهكذا اعتاد أبو الحسن صحبة ذوي الشان، والسلطة، والكتابة عنهم "فعدل عن طريقته الاولى المثلى "(٥) ، ويقصد بها عبدالملك المراكشي، حياة الزهد، والتعبد، فكتب عن ابي حفص عمر بن الخليفة عبدالمؤمن بن علي وصحبه إلى تلمسان (٦)، ثم كتب عن الخليفة عبدالمؤمن بن علي بعد مقتل ابا جعفر بن عطية (٧) وبعد وفاة الخليفة عبدالمؤمن بن علي ، بقي أبو الحسن ابن عياش كاتبا ديوانيا لدى الخليفة الجديد، أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٨)، لكن عبدالملك المراكشي ذكر أنه كتب عن ابي يعقوب يوسف، وهو واليا باشبيلية، لكننا لم نقف على رسالة واحدة كتبها، أبو الحسن عن والي اشبيلية ابن الخليفة عبدالمؤمن .

---

(١) المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٥٧، الذيل والتكملة السفر ٥، ق ١ ص ٢٧، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق السفر ٥، ق ١ ص ٢٧، اعلام المراكشي، ج ٨، ٣٥٧ .

(٣) الذيل والتكملة، السفر ٥، ق ١، ص ٢٧، اعلام المراكشي ج ٨ص ٣٥٧.

(٤) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧.

(٥) الذيل والتكملة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧، اعلام المراكشي ج ٨، ص ٣٥٧ التكملة رقم ١٧٢١ .

(٦) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٦٧، الذيل والتكملة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧، اعلام المراكشي ج ٨، ص ٣٥٧ .

(٧) المعجب، ص ٢٠٠، الذيل والتكملة السفر ٥، ص ٢٧، اعلام المراكشي، ج ٨ ص ٣٥٧ .

(٨) الذيل والتكملة السفر ٥ ق ١ ص ٢٧، اعلام المراكشي ج ٨، ص ٣٥٨.

وحظي، ابو الحسن بن عياش، بالمنزلة الرفيعة، والرزق الوفير، فقد نال دنيا عريضة، وكانت له منهم منزلة، وكان ممدحا "(١)، وندم ابو الحسن بن عياش على تحوله، من حياة الزهد والعبادة إلى مصاحبة ارباب النفوذ، واصحاب السيادة وذي السلطة، ويروى صاحب ابو الاصبع الباجي، أن أبا الحسن بن عياش قال قبل وفاته بثلاثة أيام .

عَصَيْتُ (هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا) (٢) (فَعِنْدَمَا) (٣)
رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكِبَرِ

أَطَعْتَ الْهَوَى، عَكْسَ الْقَضِيَةِ لَيْتَنِي
خُلِقْتُ كَبِيرًا وَانْتَقَلْتُ إِلَى الصِغَرِ

لقد جمع ابو الحسن بن عياش بين الشعر والنثر، فمدحه ابن الابار قائلا :" كان عبدالملك، مع تقدمه في الاداب، وتصرفه في النثر مشاركا في النظم، من ابرع الناس خطا واحسنهم وراقة،وكانت له من الولاة منزلة جليلة "(٤) .

واذا كنا لا نعرف السنة التي ولد فيها أبو الحسن بن عياش ، فقد اجمعت المصادر أن وفاته كانت في عام ٥٦٨هـ (٥)،وذكر ابن صاحب الصلاة ان وفاته كانت باشبيلية في ليلة الاربعاء غرة جمادى الاخرة عام ٥٦٨هـ، وأن جنازته كانت مشهورة وصلى عليه الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن (٦) .

---

(١) المصدر السابق السفر ٥ ق ١ ص ٢٧، المصدر السابق ج٨ ص ٣٥٨ .

(٢) في زاد المسافر، ص ٥٣، الهوى عصر الشباب .

(٣) في النفح، ج ٦، ص ١٠٥، وعندما وفي التكملة فبعدما رقم ١٧٢١ اعلام المراكشي ج ٨ ص ٣٥٧ .

(٤) التكملة رقم ١٧٢١ .

(٥) المصدر نفسه رقم ١٧٢١، الذيل والتكملة السفر ٥ ق ١ ص ٣٠ اعلام المراكشي ج٨، ص ٣٥٩ .

(٦) المصدر السابق السفر ٥ ق ١ ص ٣٠ هامش رقم ٢، النص غير وارد بالنص بالامامة واعتقد ان عبدالملك المراكشي نقله من الجزء المفقود .

كتب أبو الحسن بن عياش أول رسائله عن الخليفة عبدالمؤمن ابن علي بمراكش في ١٤ من شهر رجب عام ٥٥٤هـ (١) ووجهها حسب ما يبدو من خلال الرسالة إلى طلبة العدوة الأندلسية، ويهدف أبو الحسن من هذه الرسالة إشعار طلبة الاندلس بوصول كتابهم المبشر بانتصارهم على العدو بالعدوة الاندلسية وطلب منهم التوجه إلى الله عزوجل بالدعاء والشكر مما منه عليهم من الانتصارات المتتابعة التي نالوها بفضل تقواهم، واخلاصهم، وختم رسالته ناصحا إياهم بالتريث في اصدار الاحكام النهائية، فإذا طرأ عليهم اي طارئ فليتذكروا وليتشاوروا وليتفقوا فيما بينهم على ماهو أجدر بالمسلمين عامة، وليطلع الخليفة على قرارهم، قبل الشروع في تنفيذه وعلى الرغم من ان الرسالة في الأصل مبتورة ومختصرة على غير عادة الرسائل الموحدية، فإننا نعتقد أن الخليفة، يقصد التحفظ في إصدار أحكام القتل، ومشاورة الخليفة قبل تنفيذ القرار، وقد كثرت احداث القتل في العدوة الاندلسية والمغربية خلال حكم المرابطين لهما.

وكتب أبو الحسن بن عياش رسالته الثانية عن الامير يوسف بن عبدالمؤمن وذلك قبل أن تتم بيعته النهائية عام ٥٦٣هـ ليلقب بامير المومنين ووجهها بإذن من الامير إلى السيد ابي سعيد ابن الخليفة عبدالمؤمن، والشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن (٢)، من جماعة الخمسين، يخبرهم بان الأمير يوسف عزم على التوجه إلى منطقة صنهاجة لجهاد المرتدين فيها، غيرانه اتفق مع مجموعة من الموحدين على ان يخرج الموحدون بصحبة الشيوخ والحفاظ لقتال قبيلة صنهاجة، وذلك يوم السبت السابع عشر من شهر شعبان عام ٥٦٠هـ (٣) وفي تلك الفترة كانت الممالك النصرانية قد عاثت فسادا بمنطقة اشبيلية، فاتفق الشيوخ، والطلبة على إرسال عسكر من الموحدين والعرب، على ان يقودهم السيد إسماعيل بن الخليفة عبدالمؤمن، وذلك بعد عيد

---

(١) مجموع رسائل موحدية ص ص ٩٣-٩٥، الرسالة الثامنة عشرة .

(٢) Voir, documents inedits d'histoire almohade p3 texte arabe

(٣) Voir, UN Recueil de Lettre, officielle almohade, p 50

الفطر رفقا بالمسافرين، ومما جاء على لسان الامير يوسف قوله " ... قد كنا - أعزكم الله - على عزم الحركة مع الموحدين - اعانهم الله - إلى جهة المرتدين من صنهاجة - اخذهم الله - والتصميم في غزوهم والنهوض إليهم على الثقة بما عند الله لهذا الأمر العزيز من مضمون النصر ومذخور الظهور على من غمص حقه وكفر نعمته وصد عن سبيله وخلصنا في ذلك النية المجردة لاقامة الله المقصورة على جهاد عدوه وحماية دينه وتظهير دعوته)ثم وقع الاتفاق بعد افاضة المذاكرة وإدارتها وثبات العزيمة منا على مشاهدة هذه الحركة المباركة أن يخرج فيها الموحدون بجملتهم صحبة اشياخهم وحفاظهم واجمعوا على ذلك ... وقد كان أشياخ طلبة الموحدين - أعزهم الله - قبل هذا تذاكروا في مشي أخينا اسماعيل - وفقه الله - إلى اشبيلية - حرسها الله - صحبة عسكر من الموحدين والعرب - وفرهم الله - ليكونوا بها مقيمين ... فازف شهر الصوم فارجاناه إلى انقضائه تخفيفا على المسافرين ورفقا بهم ، فحين انقضى - قبله الله منا ومنكم - اتى التعويل على ذلك . ونحن إن شاء الله ننفذه إثر هذه المكاتبة بالعسكر المذكور من الموحدين والعرب (١) .

ووجه الخليفة يوسف رسالة إلى ابن مردنيش،يدعوه فيها للانضمام، إلى حزب التوحيد، واقترح عليه انه سيتولى المنصب الذي يرغب فيه لأن الخليفة لا يريد له إلا الخير، بدلا من مساعدته للمسيحيين، وتمنى الخليفة يوسف ان تتوج المبادرة التي بداها والده الخليفة يوسف (٢)، بانتصارات للجميع، وفي المقطع الثاني من الرسالة، أصبح أسلوب الخليفة عنيفا حيث أخبره بأن الشيخ ابا حفص عمر الهنتاني من جماعة العشرة، اتجه صحبة جيش من الموحدين إلى العدوة الاندلسية لغرض الجهاد، ضد النصارى، وغزو المسلمين الذين

---

(١) مجموع رسائل موحدية، ص ١٣٩ - ١٤٠، الرسالة الرابعة والعشرون .

(٢) المصدر نفسه ص ص ٣٥ - ٣٧، الرسالة العاشرة .

لم ينضموا بعد لحزب التوحيد، وقد أرسل الخليفة كتابا لأبي حفص عمر الهنتاتي، قبيل كتابة هذه الرسالة حيث أطلعه بالقرار الذي اتخذه بشأن ابن مردنيش وطلب منه التوجه إلى شرق الاندلس و انتظار كتابه الذي سيحسم القول في هذه القضية، ومن خلال هذه الرسالة اتضح لنا ان أسلوب الخليفة يوسف في مخاطبة ابن بمردنيش تميز بالعنف ثم باللطف ثم اتخذ الخليفة القرار النهائي ، وهو انتظار رد ابن مردنيش على الرسالة بالقبول أو بالرفض ليخبر بدوره اباحفص عمر الهنتاني عن الاجراءات اللازمة، وكتب ابو الحسن بن عياش على لسان الخليفة يوسف " ... وقد كان سيدنا امير المؤمنين - ايد الله أمرهم - في القديم ومنذ زمن طويل، خاطبكم بهذه الدعوة وحملكم فيها على منهج النصيحة، ولم يكن بلغ الكتاب اجله، ونحن لأوامره العلية مراعون وللمدعاة إلى دعاكم إليها داعون، ولرايه الجميل في هداية الخلق مشيعون مشايعون فاقبلوها نصيحة تحرز لكم حظ السناء، وتوجب لكم رتبة الخاصة من الأولياء وتقتضي منكم في خير عمركم افضل المناب في معونة هذا الأمر واحسن الغناء، وتجمع عليكم بهذا التلافي الفائت في تلك الاوقات الماضية والآناء وتكونوا على هذه الرتبة كمن اجاب في أول النداء والله تعالى يعينكم على تقبل هذه الوصايا ... وقد كان الشيخ الاجل ابو حفص - اعزه الله - تحرك في هذه السنة بعساكر الموحدين - أعانهم الله - الى الجزيرة الاندلسية - حماها الله - بنية الجهاد والغزو، فخاطبناه بما رأيناه من هذه المخاطبة إليكم أن يتنكب ذلك الجانب، ولأن لا يعرفه بقصده وأن يتجلى عنه إلى سواه ريثما يصل كتابكم، ويستعلم ما عندكم، من إجابة الدعاء والتلفت إليه فيكون بدار الجواب على حكم ذلك (١)".

---

(١) مجموع رسائل موحدية ص ١٤٨، ١٤٩، الرسالة الخامسة والعشرون

ولم تكن هذه الرسالة هي الأولى التي كتبها ابو الحسن بن عياش في شان ابن مردنيش ولا الثانية بعد رسالة عبد المؤمن بن علي، بل اورد ابن صاحب الصلاة رسالة له في الانتصارات وذلك أواسط ذي الحجة عام ٥٦٠هـ عن أبي حفص عمر وابي سعيد عثمان ابني الخليفة عبد المؤمن بن علي بشأن ابن مردنيش، قبل أن يلجأ إلى جزيرة ميورقة، حيث استطاع الجيش الموحدي بمساعدة اخوانهم العرب شن معركة انتصروا فيها عليه وعلى النصارى الذين انضموا إليه، وساعدوه، وفي هذه الرسالة قدم أبو الحسن بن عياش وصفا دقيقا لخروج الجيش للقاء ابن مرنيش،بشرق الأندلس، وذكر المراحل التي قطعها الجيش، ومروره بالمدن الأندلسية . وحصوله على غنائم كثيرة قبل أن يلتقي بابن مردنيش، الذي اضطر بعد انهزام جيشه امام الموحدين إلى الهروب، والانعزال بجزيرة ميورقة .

وهذه الرسالة التي وجهت بأمر من ابني الخليفة عبد المؤمن بظاهر مرسية إلى الأمير يوسف بمراكش يقول فيها أبو الحسن بن عياش (١) ".. وفي خلال مقام تلك الأيام بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والميسرة من تلك الأقطار والجهات، فاستاقوا من الغنائم ... عددا جما وسوائم كثيرة من الدواب وعشرات الالاف من الغنم فملأت الوادي، واشتملت على كريمتها الايادي ، ونقلب الموحدون فنعم لا تحص عدة تتناسق منها نعم فنعم والشكر الله على ما اولاه ... وهناك استوضح أن الشقي ابن مردنيش، واصحابه من النصارى دمرهم الله قد خرج بجملته الذميمة ... فلما كان يوم السابع من ذي الحجة حين الزوال استخار الله الموحدون على أن ياخذوا بينه وبين الثنايا التي تحول بينه وبين مرسية، فتميزوا شعوبا وقبائل، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من اخلاص التوبة وامحاض النية، فرأى الاعداء ماهالهم واهلهم واحال حالهم هذا على امتداد شوكتهم، وكثرة عدتهم، وترددوا بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس

---

(١) المن بالامامة، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٦ .

اكثرهم ارغون وقفوا يتشاورون ويتنازعون، ولم يجدوا حميدا عن الطريق التي ضمنهم ولا منفذا إلا في الساقات التي حفت محيطة بهم وعمتهم ... فلما كان وقت الصلاة اختار الله للموحدين أن ناشبوهم للقتال، وقد كثر الذكر والاهلال فزحفت العساكر إليهم ... واحتدمت الحرب وحمي الوطيس ... وانبرى الموحدون الأول من اهل تينملل وهنتاته، فصبروا صبر أمثالهم، وخولهم الله إقبالا في اسقبالهم، واجفل الكفرة منهزمين، وولوا الادبار مديرين والسيف ياخذ منهم فوق ما يدع، وحزب الله يتقدم غالبا فيصرع ويضرع، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ... ولاذ الشقي الغليل، في العدد القليل إلى الاخبية التي اعدها للفرار لا للقرار " .

وكتب أبو الحسن بن عياش رسالة على لسان الخليفة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيرا على منوال رسالة الفصول والجامعة لانواع الأوامر، ولكنها اختلفت عنهما في كونها تطرقت الى موضوع واحد وهو التريث في إصدار حكم القتل على المتهمين حتى يطلع عليها الخليفة كما حملت هذه الرسالة العلامة السلطانية بخط يد الخليفة يوسف، وهي العلامة التي اتخذها الخلفاء الموحدون شعارا لكتاباتهم، حيث يقول (١) ... من حضرة مراكش، حرسها الله ، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ... وقد أمر الله من أمر الناس بطاعته أن يحكموا بالعدل ويضعوا للعباد موازين القسط ... ولما كان الموحدين اعزهم الله شرقا وغربا، وبعدا وقربا خطابا يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى في العمل فيه كافتهم، بالا يحكموا في الدماء حكما من تلقائهم ولا يهرقوها ببادٍ أو برأيٍ من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويقرر فيما يرونه لديهم، إلا بعد أن ترفع إلينا النازلة على وجهها، وتؤدي على كنهها وتشرح حسب ما وقعت عليه، وتنتهي بالتوثق والبيان على ما انتهت إليه وتقيد بالشهود العدول المعروفين في

---

(١) المن بالامامة، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

موضعهم بالعدل والرضى الموجبين للقبول، وتكتب اقوال المظلومين وحججهم واقرارهم واعترافهم وحجج الطالبين ومقالاتهم واستظهارهم في بيناتهم، معطي كل جانب حقه، موفي كل قائل قوله، فتكون مخاطبتكم - اعزكم الله - ومخاطبة من يتناوله هذا الكتاب، وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تحمل الشهادة ويؤدي فيها الأمانة على ما يجب من البيان الذي لا يعزوه التباس ولا يطمس وجهه اشكال، ويتوثقون في المطلوبين بالدماء بسجنهم وتنقحهم ... واعلموا وفقكم الله واسعدكم - أن هذا الحكم عام في سائر النوازل التي أطلقت السنة فيها القتل وسننه وحكمت به وشرعته كمن قتل نفسا واقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل دينا وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الاحصان باعتراف أو دليل او شهادة مقبولة وما خير الائمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الارض بالفساد والمتاولين امر الله بالاستهزاء والعناد سواء سن ذلك كله او وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد"

يقول ابن صاحب الصلاة انه في بداية عام ٥٦٤هـ عم الأمن في العدوة المغربية وانضم المتمردون لحزب التوحيد فكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ووجه الخليفة يوسف وجهه شطر العدوة الاندلسية لاغاثة المسلمين بها، بعد اعتداء النصارى عليهم، وامر بضرب الطبول بحضرة مراكش ولاستعداد للعبور إلى العدوة الاندلسية لكن الموحدين اتفقوا على أن يكون الشيخ ابو حفص عمر الهنتاتي قائدا لهذه المعركة، وعلى اثرها أمر الخليفة كاتبه، أبو الحسن بن عياش بكتابة رسالة إلى ولاة الاندلس غيرهم بقرار الخليفة بجواز الجيش للعدوة الاندلسية ومما ورد فيها (١) " ومازلنا وفقكم الله على اتمام العناية بتلكم الجزيرة مهدها الله والحرص على عونها، والانتواء لنصرتها، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة، اشفاقا على استضام منها، جيرتها الاعداء، وابناؤها الاعقاء مجسمين وروما وما كادرها به من

---

(١) المن بالامامة ص ٢٩٣، ٢٩٤ .

التكلف والتحيف والتنقص وفغر الافواه وكشر النيوب والارصاد لفيض ما فاض فيها من نور التوحيد وخفض ما نصب من أعلام هذا الأمر، ... لما تولى الله هذه الجهات منة التمهيد، وبسط لها نعمة التسكين والتوطيد، انعطف النظر إلى محل مثاره رسال سبيل الاعتناء إلى قراره وتوجه حفل الاشتغال إلى الجزيرة - مهدها الله - ... رأينا في اثناء ما نحاوله من مروم هذه الغزوة الميمنة المباشرة ان نقدم بين أيدينا عسكرا مباركا من الموحدين - اعانهم الله - صحبة الشيخ الأجل أبي حفص - أعزه الله - يكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين ومؤذنا بما عزنا عليه - والله المستعان - من التحرك بجملة أهل التوحيد والقصد لهذا العزو الميمون الذي جعلناه نصب العين، وتجاه الخاطر !

فتعاونوا مع إخوانكم الواصلين على بركة الله إليكم على جهاد اعدائكم إلى أن يوافيكم إن شاء الله هذا العزم، ويلم بكم هذا القصد ... وإذا طالعتم - وفقكم - هذه الانباء واستعلمتم ما في ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وأثار هذه القصود وحملتم ذلك على الثقة بما وعد الله هذا الأمر والتلفت إلى ما عوده، رايتموها نعمى تخولتكم ورحمى انتحتكم واتتكم وشرحتم لها صدوركم وعمرتم بها احناءكم وشعلتم بها مشاهديكم وسرروهم بها غايبكم وشاهدكم واذعتموها إذاعة تلج صدور الأولياء وتحرج منها صدور الاعداد ويكون للمؤمنين منها مطلع امل، وللكافر مطلع هول ووجل ".

لقد تعود الخلفاء الموحدون بعد فوزهم في كل معركة ان يبعثوا إلى الرعية رسالة يبشرونهم بفوز الجيش الموحدي، وانهزام العدو، مع ذكر بعض الغنائم، التي ظفروا بها لكن هذه الرسالة انفردت عن كل رسائل الفتوحات والانتصارات ارسلت قبل بدء المعركة وقبل تحرك الجيش من حضرة مراكش، وهذا ما يؤكد عزيمة الخليفة يوسف، و نيته في فوز جيشه وعودته ظافرا .

خاتمة

لقد واجهت الدولة الموحدية مصاعب عدّة منذ بدايتها وحتى اثناء فترة الدعوة ، كان مصدرها احيانا الكتلة المصمودية نفسها ، وبخاصة وان الخلافة استمرت في يد بني عبد المؤمن وسلالته من غير عصبية المصامدة ، وكانت الفترات الانتقالية بين عهد خليفة وآخر تشكل مناسبة لقيام ثورات من قبل بعض القبائل في بداية عهد الخليفة ، أو قيام معارضة من قبل عائلة الخليفة أو بعض الأشياخ ، مما أدى إلى إعادة تنظيم وراثة الخلافة على اساس سليم بعد وفاة الخليفة المستنصر .

ونظرا لغرابة الأسرة المؤمنية الحاكمة عن الكتلة المصمودية وشعورها بعدم الارتياح ، فقد استقدمت جماعات كبيرة من قبيلة كومية لتعزيز نفوذ اسرة بني عبد المؤمن ، كما نقلت جماعات من القبائل العربية من إفريقية بهدف خلق توازن بين قبائل المغرب الأقصى والأوسط ، زيادة على استخدام القبائل العربية في الجهاد بالعدوة الأندلسية وإبعادها عن المغرب الأوسط والأدنى .

ونظرا لاعتماد الدولة منذ تاسيسها على عصمة المهدي بن تومرت ، فإننا نجد في اكثر الرسائل تصريحا بعصمة المهدي ، وتسمى عبد المؤمن وغيره من الخلفاء بالخلفاء الراشدين كما نجد أن الرسائل الديوانية الموحدية تحمل صيغة التوحيد للتعبير عن مذهبهم في توحيد الله عزوجل ، كما ركزت الرسائل على الدعاية باعتبارها سلاحا فعالا لتغطية السلبيات ولرفع معنويات الرعية ، فتدعي أن إنتصار الجيش الموحدي في المعارك قضية طبيعية لان القدر يتصرف لمصلحتهم لأنهم يدافعون عن الحق ومن هنا امكنهم أن ينعتوا حكام الدولة المرابطية بالكفر .

وقد استعمل الموحدون سلاحا آخر إلى جانب السلاح السابق ، وهو الدعاية سواء أكانت تتعلق بتثبيت مبادئ المهدي في الأذهان أم

باظهار أو الحرص على تطبيق أصول الشريعة - القرآن والسنة - وهما سياسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلما دعت الضرورة إلى ذلك ، عند تولي خليفة جديد السلطة أو المرور بازمة سياسية او اجتماعية او اقتصادية .

وبعد أن كانت دعامة الدولة الموحدية ترتكز على مذهبها الإصلاحي ، وعصبيتها القبلية فإن الجانب المذهبي سيتحول شيئا فشيئا إلى الإطار الشكلي . وأما العصبية القبلية التي كان قوامها الصراع بين قبيلة مصمودة وقبيلة كومية ، فإن قوة القبيلة الثانية ستقل أهميتها تدريجيا ، وعلى العموم إذا كان جانب القوة العسكرية ، كاساس للدولة سينكسر في معركة العقاب ، فإن جانب القوة المذهبية كاساس للدولة كان يسير نحو الضعف إلى ان يوجه إليها الخليفة المأمونه الضربة القاضية بالتنكر لعصمة المهدي . وبدا تراجع الموحدين عن الأندلس ، فوجه الخليفة محمد الناصر رسالة إلى الرعية يعتذر فيها عن هزيمته في العقاب بعد انتصار والده في الارك ، ودخلت الدولة الموحدية في حلقة فارغة ، ادت لنشوب مجموعة من الصراعات بين الخلفاء والأمراء الضعاف، والتي كانت السبب المباشر لزوال دولتهم التي دامت من عام ٥١٥ هـ الى عام ٦٦٧ هـ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المخطوطات

- البلوي : أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبدالرحمن القضاعي ت ٦٥٧هـ، مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل الخزانة الحسنية رقم ٦١٤٨.
- مخطوط الأسكوريال رقم ٤٨٨.
- مخطوط الأسكوريال رقم ٥٣٨.
- مخطوط جائزة الحسن الثاني ، الخزانة الحسنية الرباط رقم د ٤٥٠٢ عام ١٩٨١.
- مخطوط الخزانة الحسنية رقم ٤٧٥٢.
- مخطوط المرقص المطرب ، Bibi univ lips no 7546

ثانياً المصادر العربية

- ابن الأبار :- ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، ت ٦٥٨هـ

- اعتاب الكتاب،تحق صالح الاشتر ، دمشق ١٩٦١.

- تحفة القادم ، اعاد بناءه وعلق عليه احسان عباس بيروت ١٩٨٦م .

- التكملة لكتاب الصلة ،نشر عزت العطار الحسيني،القاهرة ١٩٥٦م .

- التكملة لكتاب الصلة ، ط مدريد ١٨٨٦م

- الحلة السيراء ، تحق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣م

- ابن الاثير :- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ

- الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٧٨م .

- ابن الاثير :- ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٧هـ

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحق أبو الفضل ابراهيم القاهر، مصر ١٩٥٢.

- ابراهيم مراد :- مختارات من الشعر المغربي والاندلسي لم يسبق نشرها ، بيروت ١٩٨٦م

- أحمد أمين :- ظهر الاسلام ، القاهرة ١٩٥٣م

- احمد بن حنبل :- ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني - مسند الإمام احمد بن حنبل ، بيروت ١٩٧٢م

- ابن الأحمر :- أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي - مستودع العلامة ، ومستبدع العلامة تحق محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني المغرب ١٩٦٢م

- الإدريسي :- ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني، ت ٥٦٠ هـ

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ط

OPVS GE OGRAPHICM NAPOLI ROMA

- ابن أبي اصبيعة :- موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ت ٦٨٨هـ

- عيون الإنباء في طبقات الاطباء تحق نزار رضا بيروت ١٩٦٥م .

- اوس بن حجر : - ديوان اوس بن حجر تحق محمد يوسف نجم ١٩٦٠م

- البخاري ابو عبدالله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦هـ - صحيح البخاري، تحق مصطفى ديب، بيروت ١٩٥١م

- البكري :- ابو عبيد

- كتاب الأمثال، تحق احسان عباس، وعبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٨٣م

- البيذق :- ابو بكر بن علي الصنهاجي

- اخبار المهدي بن تورت وبداية دولة الموحدين، تحق عبد الحميد حاجيات الجزائر ١٩٧٤م

- ابن تومرت :- محمد، ت ٥٢٤ هـ

- اعز ما يطلب، تحق عمار طالبي، الجزائر ١٩٨٥م

- ابو تمام :- حبيب بن أوسي الطائي ت ٢٢١ هـ

- ديوان ابي تمام، ضبطه وشرحه شاهين عطية، بيروت ١٩٨٧م

- ابن جبير :- محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي ت ٦١٤

- رحلة ابن جبير، بيروت ١٩٨٨م

-جرير بن عطية بن حذيفة ، ت ٦٤٠ ـ .

- شرح ديوان جرير، تأليف اسماعيل بن عبدالله الصاوي، بيروت ١٣٠٣هـ

- الحميري :- محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ق ٩ هـ

- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحق احسان عباس، بيروت ١٩٨٤م

- صفة جزيرة الاندلس تحق بروفنمال - بيروت

- الحنبلي :- ابو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٦هـ

- شذرات الذهب في اخبار من الذهب، القاهرة ١٣٠١ هـ

- ابن حوقل :- ابو القاسم محمد بن علي ت ٣٦٧ هـ

- صورة الأرض د ت

- ابن الخطيب :- لسان الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن احمد السليماني بن الخطيب ت ٧٧٦ هـ

- الإحاطة في اخبار غرناطة ، تحق محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٧٣م

- الإحاطة ، نصوص جديدة لم تنشر، تحق عبد السلام شقور، المغرب ١٩٨٨

- رقم الحلل في نظم الدول، تونس ١٣١٦ هـ

- ابن خلدون :- عبد الرحمن محمد بن خلدون المغربي ت ٨٠٨ هـ

- مقدمة ابن خلدون، بيروت د ت

- تاريخ ابن خلدون المسمى(كتاب العبر و ديوان المبدأ والخبر في ايام العرب،والعجم ،والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، بيروت ١٩٢٩م

- ابن خلكان :- ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان ت ٦١٨ هـ

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان تحق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٨م

- ابن ابي دينار :- ابو عبدالله بن محمد بن ابي القاسم القيرواني.

- المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، تحق محمد شمام ، تونس ١٩٦٧م

- ابو داود: - سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي ت ٢٧٥

- سنن ابي داود القاهرة ١٩٨٨

- الرعيني :- ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي ت ٥٩٢ هـ

- برنامج شيوخ الرعيني، تحق ابراهيم شبوح، دمشق ١٩٦٢م

- ابن الزبير :- ابو جعفر احمد بن ابراهيم ت ٧٠٨

- صلة الصلة ، تحق ليفي، بروفنصال ، الجزائر ١٩٣٧م

- ابن ابي زرع :- ابو الحسن علي بن عبدالله ت ٦٣٦ هـ

- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣م

- الذخيرة السنية ، الرباط ١٩٧٢م

- الزركشي :- ابو عبدالله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحق محمد ماضور، تونس ١٩٦٦م

- الزمخشري :- جا الله ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت ٥٣٨

- المستقص في امثال العرب، اعتنى بتصحيحه محمد بن عبد الرحمن خان، دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٢م

- ابن سعيد المغربي:- علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ، ت ٦٨٥ هـ

- اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي،تحق إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٨٠م

- كتاب الجغرافيا ، تحق إسماعيل العربي، بيروت ١٩٧٠م

- المرقعات المطربيات القاهرة ١٢٨٦ هـ بيروت ١٩٧٩.

- المغرب في حلى المغرب، تحق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٨٠ م

- شهاب الدين الحلبي - أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان (ت ٧٢٥هـ)

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحق اكرم عثمان يوسف، بغداد ١٩٨٠

- ابن صاحب الصلاة - ابو مروان عبد الملك بن محمد بن يحيى بن إبراهيم الباجي (ت ٧٩٤هـ)

المن بالامامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين.

تحق عبدالهادي التازي ، بيروت ١٩٨٧.

- صفوان - ابو بحر صفوان بن ادريس التجيني المرسي ت ٥٩٨هـ

- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، أعده وعلق عليه ، عبدالقادر محداد بيروت ١٩٧٠.

- الصيرفي - ابو القاسم يحـ بن منجب بن سليمان الشهير بالصيرفي .

- قانون ديوان الرسائل ، تحق علي بهجت القاهرة ١٩٠٥.

- الضبي - أحمد بن يحى بن أحمد بن عميرة الضبي ت ٥٩٩ هـ .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، القاهرة ١٩٦٧م .

- عبدالواحد المراكشي - محي الدين أبو محمد عبدالواحد بن علي بن التجيني ت ٦٦٧هـ .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي القاهرة ١٩٤٩م .

- ابن عذاري المراكشي - أبو العباس احمد بن محمد بن عذاري ،
- البيان المغرب (قسم الموحدين) تحق الأساتذة : محمد بن تاويت، ومحمد إبراهيم الكتاني، ومحمد زنيبر ، وعبدالقادر زمانة بيروت ١٩٨٥م .

- ابن عبدوس - ابو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي ،
- الوزراء والكتاب ، تحق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري،وعبدالحفيظ شلبي القاهرة ١٩٨٠م .

- ابن عبدالملك المراكشي - ابو عبدالله محمد بن عبدالملك المراكشي ت ٧٠٣هـ
- الذيل والتكملة السفر الاول ق ١ ، ٢ ، تحق ممد بنشريفة بيروت د ت
- الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، تحق احسان عباس بيروت ، ١٩٦٤م .
- الذيل والتكملة ، السفر الخامس ق ١ ، ٢ ، تحق احسان عباس بيروت د ت
- الذيل والتكملة السفر السادس تحق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٣ .
- الذيل والتكملة السفر الثامن ق ١ ، ٢ تحق محمد بنشريفه الرباط ١٩٨٥م .

- العسكري - ابو الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ت ٣٩٥هـ
- كتاب المناعتين الكتابة ، والشعر تحق ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٨١م .

- الغبريني - ابو العباس احمد بن احمد بن عبدالله الغبريني ت ٧١٤هـ
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحق عادل نويهض ، بيروت ١٩٦٩م .

- أبو الفرج الأصبهاني - علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ .
- كتاب الاغاني ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- الفرزدق - ديوان الفرزدق ، تحق همام بن غالب بن صعصعة بيروت ١٩٦٠م .

- الفيتوري - خلف الخافقي .
- رسائل ديوانية من سبتة في عهد العزفي
تحق محمد الحبيب الهيلة بالرباط ١٩٧٩م .

- ابن القنفذ - أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن
الخطيب القسنطيني ت ٨١٠هـ .
- الفارسية في مبادي الدولة الحفصية تحق
محمد الشاذلي النيفر ، وعبدالمجيد
التركي تونس ١٩٦٨م .

- ابن القاضي المكناسي - احمد بن محمد بن أبي القافية ت ١٠٢٥هـ
- جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل بمدينة
فاس ، الرباط ١٩٧٣م و ١٩٧٤م .

- ابن القطان - ابو علي حسن بن محمد بن عبدالملك بن
يحيى الكتامي ، ت ٦٢٨ هـ .
- نظم الجمان ، تحق محمود علي مكي ،
جامعة محمد الخامس الرباط د ت

- ابن القلانسي - ابو يعلى حمزة بن احمد بن علي بن
محمد ت ٣٥٨هـ .
- ذيل تاريخ دمشق بيروت ١٩٠٨م .

- القلقشندي - ابو العباس احمد بن علي بن احمد ت
٨٢١هـ .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، بيروت ١٩٨٧م .
ج١ شرحة وعلق عليه وقابل نصوصه ، محمد حسن
شمس الدين .
ج٥ صبح الاعشى في صناعة الإنشا ، نبيل خالد
الخطيب .
ج٦ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، يوسف طويل
ج٧ صبح الاعشى في صناعة الانشا .

- الكلاعـــــــــــي — - ابــو بالقاسم محمد بن عبدالغفــور الإشبيلي الأندلسي ، من اعلام ق ٦ هـ .
- إحكام صنعة الكلام ، بيروت ١٩٦٦م .

- ابــن ماجـــــة — - ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ .
- سنن ابي ماجة ، تاليف محمد ناصر الدين الألباني بيروت ١٩٨٠م .

- مالك بن أنس — - الموطا تحق، فؤاد عبدالباقي القاهـرة ١٩٥١م .

- المتنبـــــــــي — - ابو الطيب احمد بن الحسين ت ٣٥٤ هـ
- ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح أبي البقا العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبـــي بيروت ١٩٧٨م .

- مجهـــــول — - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تق سهيل إدريس، عبدالقادر زمامة، الدار البيضاء

- مجهـــــول — - كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار تحق سعد زغلول عبد الحميد الدار البيضاء ١٩٥٤م .

- مجهـــــول — - مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية تحق بروفنصال ، الرباط ١٩٤١م .

- محمد بن عيسى — - ابـو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت٢٧٩هـ
- سنن الترمذي ، الجامع الصحيح ، تحق وشر احمد محمد شاكر بيروت د ت

- ابن مخلوف — - محمد بن محمد
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية بيروت ١٣٤٩ هـ .

- المراكشي - عباس بن ابراهيم
- الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام الرباط ١٩٧٤م .
- مسلم - ابو الحسن مسلم بن الحاج القشيري النسابوري ت ٢١٦هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي القاهرة د ت
- المفضل بن سلمة - ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي
- كتاب الامثال ، تحق شالس انبروس أستوري القاهرة ١٩٨٢م .
المقري - شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ .
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحق يوسف الشيخ محمد البقاعي بيروت ١٩٨٦م .
- ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ
- لسان العرب بيروت ١٩٦٨م .
- الميداني - ابو الفضل أحمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النسابوري ت ٥١٨هـ .
- مجمع الأمثال تحق ابو الفضل احمد بن محمد بيروت ١٩٨٢م .
- الناصري - ابو العباس احمد بن خالد ت ١٣١٥م
- الاستقصاء الأخبار دول المغرب اللاقصى تحق ، ولدي المؤلف ، جعفر ومحمد الدار البيضاء ١٩٥٤م .

- النويري - شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ، ت ٧٣٢هـ
تاريخ المغرب الأقصى في العصر الوسيط ، من كتاب نهاية الأرب في فنون الادب ، تحق مصطفى ابو ضيف الرباط د ت .

- ياقوت الحمـــوي - ابو عبدالله ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ .
  - معجم الادباء بيروت د ت .
  - معجم البلدان بيروت ١٩٧٩م .

ثالثاً: المراجع العربية :

- انجل جنزلس بلنسا، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر حسين مؤنس القاهدة ١٩٥٥.

- الفردبل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، تر عبدالحميد بدوي بيروت ١٩٨١.

- بدوي طبانه، معجم البلاغة العربية، جدة الرياض ١٩٨٨.
- روجي ليتورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تر، امين طيبي، ليبيا، تونس ١٩٨٢.
- حسن إبراهيم حسن، التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٦٧.
- حسن جلاب، الدولة الموحدية اثر العقيدة في الأدب مراكش ١٩٨٥.
- سعد زغلول عبدالحميد، محمد بن تومرت، وحركة التجديد في المغرب والأندلس، بيروت ١٩٧٢.
- حسن السائح، الحضارة الاسلامية في المغرب، الدار البيضاء ١٩٨٦.
- سلامة محمد سلمان، دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، دراسة سياسة وحضارية، مكة المكرمة ١٩٨٥.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت ١٩٨٣.
- عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب - العصر الاسلامي - بيروت ١٩٨٣.
- عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور إلى اليوم - عهد الموحدين - المغرب ١٩٨٧.
- عبدالله كنون، النبوغ المغربي، بيروت ١٩٦١.
- عبدالله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي القاهرة ١٩٧١.
- ليفي بروفنصال، الاسلام في المغرب والاندلس، تر عبدالرحمن بدوي ١٩٨١.
- ليفي بروفنصال، الشرق الاسلامي والحضارة العربية، تطوان ١٩٥١.

- محمد عبدالله عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس القاهرة ، ١٩٦٤.
- محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية - الأندلس وشمال إفريقية - دمشق ١٩٨٠.
- محمد المنوني ، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين الرباط ١٩٧١.
- محمد المنوني ، ورقات من الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، الرباط ١٩٧٩.
- يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين القاهرة ١٩٥٨.

رابعاً: دوريات عربية :

- أميـن توفيق طيبي، جبل طارق معقل إسلامي عبد العمور الوسطي، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة ١٥ العدد ٥١ كانون الأول ١٩٨٥.

- حسين مؤنس، عقد بيعة بولاية العهد لأبي عبدالله محمد المعروف بالخليفة الناصر، مجلة كلية الآداب جامعة القاهدة المجلد ١٢ العدد ٢ ديسمبر ١٩٥٠.

- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية المجلد ٣ العدد ١ عام ١٩٥٣.

- سعد غراب، حول إحراق المرابطين لإحياء الغزالي، اعمال الملتقي الأول الإسباني التونسي عام ١٩٧٩.

- عبدالعزيز بن عبدالله، تطور الفن في عهد الموحدين، مجلة البينة السنة الاولى العدد ٩ يناير ١٩٦٣.

- عبدالعزيز بن عبدالله، المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية.

- عبدالهادي التازي، المنشآت الصحية بالمغرب عبر التاريخ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ١٣، ١٤ السنة ٤ تموز، كانون الاول ١٩٨١.

- عمار طالبي، رسالتان موحديتان، اشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٦٩.

- محمد بن عبدالله، موقعة العقاب او هضاب تولوسا، مجلة تاريخ العرب والعالم السنة ١٥ العدد ٥٧ يوليو ١٩٨٣.

- مولود قاسم نايت بلقاسم، مجلة الثقافة، العدد ٩٩ الجزائر عام ١٩٨٥.

خامساً مراجع أجنبية :

- Alfred bel, Les Banou ghanya poris 1903
- Charle andre julien, histoire de lafrique du Nord paris 1966 .
- Gaston deverdum, marrakech des origines A 1912 , edition technique Nord africaine Rabat 1959 .
- Jean brignon, histoire du Maroc paris 1967.
- Jean brignon, la berberie musulmane et lorion au moyen age paris.
- Jaque caille . la ville de rabat jusquau protectorat francais, paris.
- Rachid Bourouiba, ibn tumart 2er edition sned alger 1982 .
- Robert brunschvic, la berberie oriental sous les hafsides des origines a la fin du 15 siecle t 2 paris 1947 .
- Levi provencal, documents inedits dhistoire Almohade paris 1928.
- Levi provencal, islam doccident paris 1932.

سادساً: دوريات أجنبية :

- Alfred bel, contribution A letude des dirhrems de lepoque almohade, Hesperis t 16, 1933.

- Anna mascarello, quelque aspects des activite italiennes dans le maghreb Medival, revue dhistoire et de civilisation du maghreb, faculte de lettre dalger no 1 juiller 1968 .
- Eugene tisserant, gaston wiet une lettre de lalmohade murtada au pape innocent 4 , Hesperis t6, 1926 .
- G marcy, les phrases berbers des documents inedits dhistoire Almohades, Hesperis, T 14 , 1932.
- Henri Basset et henri terrasse, sancturaire almohade, colletion Hesperis, No5, 1932.
- Levi provencal, un recueil de lettres oficiel almohade hesperis, T28, 1941.
- Louis di giacomo, une poetesse andalouse du tenps des almohades, hafsa bint alhadj Ar-Rukuniya, Hesperis, t 34, 1947.
- Pierre de cenival, leglise chretienne de marrakech au 13 siecle, Hesperis, 1 er trimestre, 1927.
- Rachid bourouiba, la poesie a lepoque de abd Almumin, societe historique algerienne revue dhistoire et de civilisation du magheb, No. 11 juin 1974 sned, Alger.

ملخص باللغة العربية

لقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول وخاتمه ، وقد حاولت في الفصل الأول أن اكشف الأحداث واربطها بالرسالة الديوانية الموحدية واقتصرت على فترة ابن تومرت وعبد المؤمن، ويوسف والمنصور، وأعدت تشكيل القبائل الموحدية في الإطار الاجتماعي معتمداً على تصنيف، ابن تومرت وعلى الرسالة الثالثة عشرة في مجموعة بروفنصال Provencal، كما تطرقت إلى ذكر سكان المغرب خلال القرن السادس ونصف السابع، نظراً لمشاركة البربر والعرب والغز، وهم الاتراك في الجهاد بالعدوة الاندلسية وهو ما تمثله بعض رسائل المن بالإمامة ومجموعة بروفنصال Provencal، كما تناولت الجانب القضائي معتمداً على مخطوط الخزانة الحسنية وموضوع المرأة الموحدية معتمداً على بعض الاشارات الواردة في مخطوط العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، ومجموعة بروفنصال Provencal، وختمته بالجانب الحضاري الذي يمثله بيمارستان مراكش، ثم تحدثت عن تطور الحركة الفكرية الثقافية عند الموحدين واستشهدت ببعض الشخصيات التي كان لها الفضل في تطوير الحركة الفكرية الموحدية ، كما حاولت ان ادعم الراي بكثير من النصوص التي قمت بتجرمتها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، اما الفصل الثاني، فقد صنفت فيه الرسائل الديوانية الموحدية إلى سبعة محاور، وهي: رسائل البيعة ورسائل التقاديم ورسائل الأمر بالمعروف والنص عن المنكر ، ورسائل التوقيعات، والمعاهدات ورسائل الجهاد، واستشهدت بمعظم النصوص المهمة في الرسالة التي لها صلة وثيقة بالموضوع فأزلت بعض الالتباس عنها ، كما اضفت إلى رسائل العدوتين بعض الرسائل التي تناولت موضوع العلاقات بين الموحدين وبعض الجمهوريات الإيطالية كبيشة وجنوة وفاتيكان، كما حاولت هذه الدراسة ان تشمل الفترة الموحدية كلها في المغرب والاندلس من نشاة الدولة إلى سقوطها ، واما الدراسة الفنية لهذه الرسائل فقد جعلتها في الفصل

الثالث بعد دراسة معظم الرسائل، فدرست بنية الرسالة الديوانية الموحدية كما استخرجت بعض القضايا البلاغية التي تناولتها الرسالة الديوانية في عهد بني عبد المؤمن، كما حاولت ان اركز على الرسائل المخطوطة لإعادة بناء الرسالة الديوانية الموحدية كما كتبت في الأصل، أما الفصل الرابع فقد قمت بترجمة لثلاثة من اشهر كتاب الرسالة الديوانية في العدوتين واختصرت في الخاتمه كل نتائج الدراسة.

letter under the Mohad. However, I concentrated my research on the letters that were not studied before.

Afterwardks, I restructured the Diwani letter in comparison with the text by Al Qalqashandi . However, all hte emerging conclusions are still relative and not absolute.

Eventually, the fourth chapter was designated to study three distinguished authors of the Diwani letters in Al-Maghreb and Al-Andalus. The Conclusion revealed the main results of the study.

Morcover, I gaue an outlook of the citizens in al-maghreb in the sixth fcentury and the first haff of the seventh century , that is because the Arabs and the Turks participated in Al-Jihad in Al-Andalus, This is revealed in the letters of Al-Mann Bilitmame and some of the provensal letters.

On the other hand, I stated the juridicial part depending on the manuscript No 4752 at Al-Hasaniyo library Ribat, Then I gave an idea about the" woman" topic under the mohad depending on " Makntout Al Ata' Aj Jazil Fi Kashf Ghita' Attarseel" No 6148 at Al-Hasaniya Library (Ribat).

Then I touched upon the luetural Development under Al-Mohad, . Stating some of the outstanding figures that actually contributed to such & dovelopment.

In Chapter two, I classified the Diwani Mohad letters into seven categories . Then I guoted some important relevant paragraphs in those letters. I trieol to eliminate ambiguity therein. Moreover, I added some letters that focused on the relations between Al-Mohad Country and some of the Italian cities.

Nevertheless, I tried to cover the overall Mohad ara in Al-Maghreb and Al-Amdalus eversince the establishment of the country ftill it was defeated.

The technical part of this study was covered in its third chapter after studying all the Diwani letters. I studiede the structure ofr the Diwani letter. Then I divided it into parts from which I concluded some issues dealt with in the Diwani

e- Old Arabic Proverbs .

f- Al-Eejaz walttnab

h- Pronthetical sentences and sentences of Compliments.

2. Styles :

a- Mursal

b- Mutowazen

c- Musjia

d- Jinas

e- Isdiwaj

f- Tibaq

g- Muqabala

3. The feelings and lipe circumstances of Muslims.

IV. Authors of Diwani letters:

a- Abu Jafar Bin Atiyya

b- Abu fadi Bin Mohshara

c- Abu Al-Hasan Bin Ayyash

Within the political frame, at tried to highlight all the wents, some of which were related to the Diwani letters. However, due to the long duration of the Bane Abdul Muemen rule in Al-Maghreb and Al-Andalus , I limited my study to the rule of Ibn Tumort, Abdul Muemen, Yusuf and Al-Mansour.

As for the social frame, I tried to reestablish the Mohad tribes, categorization depending on the classification adopted by Ibn Tumart as well as the thirteenth fletter of provencal.

Abstract

The title of this study is "The Diwani letters diterature in Al-Maghreb and Al-Andalus Under the Mohad". It comprises an introduction, four chapters and conclusion.

In the introduction, I touched upon the main manuscripts and typed material that I used in this study. In addition, I stated the reason behind my choice of this subject as well as the obstacles and difficulties I faced throughout my preparing this study.

However, the four chapters focus on :

I. The political, social and cultural domains of the study.

II. Subjects of the" Diwani Letters".

a- Letters of allegiance pledge.

b- Credentials of prefects military chiefs and Judges. fairness .

c- Letters of Command and probibited matters Interdiction .

d- Claim letters.

e- Letters of Tawqiat

f- Treaties .

g- Letters of the Holy war (Jihad)

III. Technical and stylistic attributes of the diwani letters:

1. a- Introduction, body and conclusion.

b- Iqtibas

c- Tadmeen Al-Ahadeeth

d- Variation of poetry and prose.

Higher Studies
Department of Arrabic
University of Jordan

The Student

The Diwani Letters Literature in Al Maghreb and - Andalus.

Presented, by

Mahmoud Mohamed Abd Arahmane Khiari

Supervised, Prof, DR

Abd EL Karim Khalifa

This This Thesis was subnitted in partial fulfillent of the Requirements for the degree of master of arts in arrabic litterature at faculty of graduate studies in Jordan University

1991